ديوان

ترجمان الأشواق

للشيخ الإمام

محيي الدين بن علي ابن العربي

اعتنى به

عبد الرحمن المصطاوي

مكتبة لسان العرب

دار المعرفة
بيروت - لبنان

lisanarabs.blogspot.com

مكتبة لسان العرب
أ.علاء الدين شوقي
lisanarabs.blogspot.com

ديوان
ترجمان الأشواق

مكتبة لسان العرب
lisanarabs.blogspot.com

ديوان
ترجمان الأشواق

للشيخ الإمام

محيي الدين بن علي ابن العربي

اعتنى به

عبد الرحمن المصطاوي

مكتبة لسان العرب

lisanarabs.blogspot.com

دار المعرفة

بيروت ـ لبنان

lisanarabs.blogspot.com

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار المعرفة بيروت ـ لبنان

Copyright© All rights reserved
Exclusive rights by **Dar El-Marefah** Beirut - Lebanon.

ISBN 9953-446-16-4

الطبعة الأولى
1425 هـ 2005 م

DAR EL-MAREFAH
Publishing & Distributing

دار المعرفة
للطباعة والنشر والتوزيع

جسر المطار ـ شارع البرجاوي ـ ص.ب: ٧٨٧٦ ـ هاتف: ٨٣٤٣٠١ ـ ٨٥٨٨٣٠ ـ فاكس: ٨٣٥٦١٤ بيروت ـ لبنان
Airport Bridge, P.O.Box: 7876, Tel: 834301, 858930, Fax: 835614, Beirut-Lebanon
http//:www.marefah.com E.mail: info@marefah.com

كم تناغي بالنقا من حَاجرِ
يا سليلَ العربيّ العُرُبا
أنا إلاّ عربيٌّ، ولذا
أعْشَقُ البيضَ، وأهوى العَرَبا

ابن عربيّ

lisanarabs.blogspot.com

مكتبة
لسان العرب
أ. علاء الدين شوقي
lisanarabs.blogspot.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي يحبّ الجمال، وصلّى وسلّم على الذي قال: «**إن الله جميلٌ يحب الجمال**»، وعلى آله وصحبه والآل. **أما بعد:**

كنت قد سمعت أيام الطلب من أستاذنا الفاضل الدكتور عيسى علي العاكوب أبياتاً عذبة أنشدها بصوته الحسن، فوقعت في نفسي، وحفظتها من إنشاده، وما زال صوته يتردّد في أذني:

مَرَضي من مريضةِ الأجفانِ　　علِّلاني بذكرها علِّلاني
بأبي طَفْلةٌ لَعوبٌ تهادى　　من بنات الخدور بين الغواني
طلعت في العيان شمساً، فلما　　أفلتْ أشرقتْ بأفق جناني
عرّفاني إذا بكيتُ لديها　　تسعداني على البكا تسعداني

وعجبت لما قال: هذه الأبيات للشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربّي.

وشاءت الأقدار أن أقرأ «ترجمان الأشواق»، بعد حين من الدهر. وسألني أخي الفاضل الأستاذ عبد المجيد طعمة حلبي صاحب دار النهج بحلب الشهباء أن أكتب تعليقات على «الترجمان» وشرحه تفيد القارىء فلبّيت رغبته، فقمت بهذا العمل الذي تراه؛ فخرجت الآيات القرآنية الكريمة الواردة في شرح الديوان، وكذلك خرجت الأحاديث النبوية، وشرحت المصطلحات الصوفية من «الرسالة القشيرية» و«الموسوعة الصوفية» لعبد المنعم الحفني، وشرحت بعض الكلمات الغريبة من حيث دلالتها اللغوية، ووضحت أسماء المواضع والبلدان. وترجمت للأعلام الذين ورد ذكرهم في «الشرح»، وألحقت بهذه

الطبعة «اصطلاحات الصوفية» لابن عربي لظني بأنها تعين القارىء على الفهم الصحيح لمضمون هذا الديوان.

وإني إذ أدفع بهذا العمل إلى المطبعة أسأل الله السميع القريب، أن يغفر لمؤلفه، ولقارئه، وأسأله أن يعفو عني ويغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات يوم يقوم الحساب. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حلب

15 محرم 1425هـ

6/ 3/ 2004م

وكتبه

عبد الرحمن المصطاوي

lisanarabs.blogspot.com

التمهيد

أولاً: ترجمة ابن عربي:

- موقف العلماء منه.
- مصنفاته.
- مصادر ترجمته.

ثانياً - قصة «ترجمان الأشواق».

- سبب شرح «ترجمان الأشواق».

ثالثاً - تأملات في «ترجمان الأشواق» و«فتح الذخائر والأغلاق».

رابعاً - عملي في «الديوان».

lisanarabs.blogspot.com

أولًا ترجمة ابنِ عربيّ

(560 - 638 هـ = 1165 - 1240م)

ابن عربي: هو محمد بن علي بن محمد ابن عربي، أبو بكر الحاتميّ، الطائي، الأندلسيّ، المعروف بـ محيي الدين بن عربي، الملقّب **بالشيخ الأكبر**: فيلسوف من أئمة المتكلمين في كل علم.

ولد في «مرسية» بالأندلس، وانتقل إلى إشبيلية، ثم قام برحلة إلى المشرق العربي، فزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز.

وأنكر عليه أهل الديار المصرية **«شطحات»** صدرت عنه فعمل بعضهم على إراقة دمه كما أريق دم الحلاّج، وحُبس. ثم أطلق سراحه، فاستقر في دمشق. وتوفي فيها. وقبره بالصالحية في مسجد يعرف باسمه في سفح جبل قاسيون.

لُقّب ابن عربي بـ «محيي الدين» باعتبار مصنّفاته إذ بلغت نحو أربعمائة كتاب، ويعرف بالأندلس باسم **ابن سُراقة**.

موقف العلماء منه:

اختلف العلماء فيه اختلافاً كثيراً، منهم من نظر إليه على أنه أحد فلاسفة الإسلام، فهو عندهم إمام أهل الكشف، خاتم الولاية كما أن محمد بن عبد الله ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين!؟

والحق أن الفلسفة الصوفية اكتملت بالشيخ الأكبر والكبريت الأحمر ابن عربي، فأصبحت فلسفة صوفية ذات منهج واضح تسعى لتقريب ما وراء العقل إلى العقل.

ومنهم من نظر إليه على أنه رأس الضلالة والإلحاد. وعلى رأسهم شيخ

الإسلام ابن تيمية، وعلي القاري الذي له رسالة يرد بها على كتاب «فصوص الحكم» لابن عربي.

ومن أبرز المنافحين عن ابن عربي الإمام السيوطي حيث ألّف «تنبيه الغبي في تبرئة ابن عربي». والفيروز آبادي صاحب «القاموس»، والسُّهروردي، وصلاح الدين الصفدي. وتقي الدين السبكي.

مصنّفاته[1]:

- الفتوحات المكية: يقع في (65) باباً، يلخّصها الباب التاسع والخمسون من الكتاب نفسه، والكتاب في التصوف وعلم النفس.

اختصر الشعراني «**الفتوحات**» في كتابه «**اليواقيت والجواهر**».

- **فصوصُ الحِكَم**: وهو الذي ألّب الفقهاء عليه وخاصة شيخ الإسلام ابن تيمية.
- **ديوان ابن عربي**: وهو مجموع شعره، معظم ما فيه فاتر متكلف.
- **مفاتيح الغيب**.
- التعريفات.
- **مواقع النجوم ومطالع أهلّة الأسرار والعلوم**.
- **كنه ما لا بدّ للمريد منه**.
- فتح الذخائر والأغلاق شرح ترجمان الأشواق.

مصادر ترجمته:

- ميزان الاعتدال، للذهبي: 3/ 108.

(1) انظر: **الأعلام**: 6/ 281، حيث أشار الزركلي إلى معظم مصنفات ابن عربي المطبوعة وأغلب مخطوطات كتبه.

- نفح الطيب: 2/ 161.
- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين: 2/ 160.
- الموسوعة الصوفية، عبد المنعم الحفني، ص404.
- الأعلام، الزركلي: 6/ 281.

وانظر ترجمته في المراجع الآتية:

- تاريخ الفكر الأندلسيّ، آنخل بالنثيا، ص371.
- ابن عربي: حياته ومذهبه، آسين بلا سيوس، ترجمة الدكتور عبد الرحمن البدوي.

ثانياً - قصة «ترجمان الأشواق»:

لما نزل محيي الدين ابن عربي مكة المكرمة سنة 598هـ تعرّف جماعة من الفضلاء والأكابر، ومن بينهم زاهر بن رستم بن أبي الرجا الأصفهاني، فسمع عليه كتاب الترمذيّ في الحديث.

وكان لهذا الشيخ الأصفهاني بنت عذراء، هيفاء، تقيّد النظر، تلقب بـ **«عين الشمس والبها»** لجمالها، اسمها «نظام».

ثم إنها شاعرة، وأديبة فصيحة، أخلاقها كأنها روضة من الرياض. وقد علّل ابن عربي سبب عدم إسهابه في وصف خَلْقها وخُلُقها بسبب **«النفوس الضعيفة السريعة الأمراض السيئة الأغراض»** مع أنه صرّح بهذا إلا أنه وصفها وصفاً عذباً مسهباً؟!

فقلّدها أحسن القلائد، وعبارات الغزل اللائق، ولم يبلغ بعض ما تجده النفس ويثيره الأنس!

إذن ديوان **«ترجمان الأشواق»** كل اسم فيه، وكل دار يندبها الشاعر إنما هما اسم «نظام» ودارها، فعنهما يكني وإلى الواردات الإلٰهية يومي جرياً على طريقته الصوفية.

ثم إن ابن عربي سأل الله أن يعصم قاري هذه الأشعار من سبق خاطره إلى ما لا يليق بالنفوس الأبية، والهمم العلية.

سبب شرح «ترجمان الأشواق»:

ذكر ابن عربي سبب شرحه لهذا الديوان فقال[1]: إنه بدر الحبشيّ وإسماعيل بن سودكين وهما من أصحابه ومريديه سمعا بعض الفقهاء بمدينة حلب ينكران هذه الأشعار، وينكران هذه الأسرار الإلٰهية المنطوية عليها وأن الشيخ يتستَّر لكونه منسوباً إلى الصلاح والدين.

ونذكّر أن ابن عربي أنشأ ديوانه **«ترجمان الأشواق»** بمكّة شرّفها الله، وشرع بشرحه في مدينة حلب وحضر سماع بعض شرحه بعض الفقهاء وذلك الفقيه الذي عاب عليه قول الشعر، وذلك بقراءة ابن العَديم وفي منزل ابن عربي.

ثمّ أعجله السفر، فأتمّ شرحه بأقصر.

وقد قال ذلك الفقيه بعد أن سمع شرح الديوان لإسماعيل بن سودكين[2]: «ما بقيت بعد هذا الأمر أتهم أحداً من أهل هذه الطريقة فيما يتكلمون به من الكلام المعتاد، ويزعمون أنهم يشيرون به إلى علوم اصطلحوا عليها بهذه الألفاظ».

وبعد أنْ أتمَّ ابن عربي شرح **«ترجمان الأشواق»** سمّاه: **فتح الذخائر والأغلاق شرح ترجمان الأشواق»**.

ثالثاً - تأمّلات في «ترجمان الأشواق» و«فتح الذخائر والأغلاق».

أولاً - نظم ابن عربي ديوان «ترجمان الأشواق» وفق ظروف تاريخية واقعية في زمان معيّن 598هـ. ومكان معيّن: مكة المكرمة، وكان الباعث له

(1) انظر خاتمة هذا الكتاب.

(2) انظر الصفحة الأخيرة من هذا الديوان.

على نظم هذه الأشعار فتاة معيّنة هي «نظام» بنت زاهر الأصفهاني، ذات الحسن والبها، والعلم والأخلاق.

ثانياً - أكثر الشاعر من ذكر أسماء المواضع التي ذكر شعراء الغزل في الأدب العربي، مثل: رامة، تهامة، حاجر. . . وذكر أسماء تغزّل بهن الشاعر العربي، نحو: ليلى، زينب، سلمى. وجعل العبارات بلسان الغزل والتشبيب لتعشق النفوس بهذه العبارات فتتوفّر الدواعي على الإصغاء إليها.

ثالثاً - ضمّن ابن عربي بعض قصائده في الترجمان أبياتاً لبعض شعراء الغزل الصريح في الأدب العربي، مثل عمر بن أبي ربيعة: انظر البيتين الأخيرين من قصيدة «مرضي من مريضة الأجفانِ»؟.

رابعاً - وصف ابن عربي «ملهمته» الظاهرية «نظام» وصفاً حسياً لكنه لم يُسهب كثيراً، وقد علّل ذلك بسبب خوفه من أصحاب النفوس المريضة ذوي الأغراض السيئة.

خامساً - صرّح أنه قلّدها في «ترجمان الأشواق» أحسن القلائد بلسان النسيب الرائق وعبارات الغزل اللائق. لكنّه لم يبلغ بعض ما تجده النفس ويثيره الأُنس.

سادساً - نظم فيها بعض خاطر الاشتياق من تلك الذخائر والأغلاق فأعرب عن نفسه التّواقة. ونبّه على ما بينهما من العلاقة، إيثاراً لمجلسها الكريم. وكل ما مرّ من التأملات هو المعنى.

سابعاً - جعل ابن عربي من «المرأة البتول» رمزاً للحب الإلٰهي، فهو في أشعاره يومي إلى الواردات الإلٰهية والتنزلات الروحانية والمناسبات العلوية جرياً على طريقته في التصوف. وهذا معنى المعنى.

ثامناً - كانت «نظام» الأصفهانية تدرك معنى المعنى ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: 14].

تاسعاً - سأل ابنُ عربي الله عز وجل أن يعصم قاري هذا «الديوان» من

سبق خاطره إلى ما لا يليق بالنفوس الأبية، والهمم العلية، المتعلقة بالأمور السماوية. ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: 4].

عاشراً - أشار بعض ذوي النفوس الضعيفة السريعة الأمراض السيئة الأغراض إلى أن ابن عربي إنما يريد المعنى الظاهري لـ «ترجمان الأشواق»، وقالوا: إن الشيخ يتستَّر لكونه منسوباً إلى الصلاح والدين، وكان هذا سبباً لشرح «ترجمان الأشواق».

حادي عشر - شرع ابن عربي بشرح ترجمان الأشواق بمدينة حلب، وحضر شرحه جماعة من الفقهاء وقرأ بعض شرحه القاضي ابن العَديم صاحب «زُبْدةُ الحَلَب».

وحضر شرحه أيضاً ذلك الذي أنكر على الشيخ الأكبر أشعاره في الترجمان، ولما سمعه تاب إلى الله سبحانه وتعالى ورجع عن الإنكار على الفقراء.

ثاني عشر - استخار ابن عربي الله في شرح **«الترجمان»** وهو في حال اعتماره في رجب وشعبان ورمضان.

ثم بدأ بشرحه بحلب وأتمّه بأقصر. وسمّاه:

«فتح الذخائر والأغلاق شرح ترجمان الأشواق»

ثالث عشر - ولا بدّ لقاري هذا الديوان وشرحه من أن يعرف الألفاظ التي اصطلح عليها المتصوفة، ويعرف الرمز الصوفي، ويدرك المعنى الظاهري، ويتذوق المعنى الرمزي حتى لا يصنّف مع ذوي النفوس الضعيفة السريعة الأمراض السيئة الأغراض.

رابع عشر - إن ظاهرة التكرار في شرح الديوان كثيرة جداً، فابن عربي تارة يكرر إحدى الآيات القرآنية، مثلاً ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: 54]. ويكرر

بعض الأحاديث النبوية الشريفة تارة أخرى أو يكرر بعض المصطلحات الصوفية.

رابعاً عملي في هذا الديوان:

أولاً - تخريج الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة.

ثانياً - شرح المصطلحات الصوفية بالاعتماد على «**الرسالة القشيرية**»، و«الموسوعة الصوفية».

ثالثاً -شرح بعض الكلمات الغريبة من حيث دلالتها اللغوية وبيان أسماء المواضع والبلدان.

رابعاً - ترجمت للأعلام الذين ورد ذكرهم في «الشرح».

خامساً - كتابة التمهيد وفيه: ترجمة ابن عربي، وقصة الديوان، وتأملات في «الترجمان» وشرحه.

سادساً - ألحقنا بهذه الطبعة رسالة «**اصطلاحات الصوفية**» لابن عربي كي تساعد القارىء على تذوق الأشعار وفهمها الفهم الصحيح.

فَتْحُ الذَّخَائر والأَغْلاق

شرح

تُرْجُمَان الأَشْوَاق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الحسَن الفَعال، الذي يحب الجمال، خلق العالم في أكمل صورة وزيّنه، وأدرجَ فيه حكمته الغيبيّة عندما كوّنه، وأشار إلى موضع السرّ منه وعيّنه، وفصّل للعارفين مجمله منه وبيّنه، جعل ما على أرض الأجسام زينة لها، وأفنى العارفين في مشاهدة تلك الزينة وجداً[1] ووَلهاً، وصلى الله على المتجلي إليه في أحسن صورة، والمبعوث في أكمل شريعة وأحسن سيرة، محمد بن عبد الله المكلّم بالمقام العلي، والمخصوص بالكمال الكلي والتنزيل الوفي، وعلى آله وصحبه وسلّم.

أمّا بعد: فإني لما نزلت مكّة سنة خمسمائة وثمان وتسعين [598] ألفيت[2] بها جماعة من الفضلاء، وعصابة من الأكابر الأدباء والصلحاء بين رجال ونساء، ولم أرَ فيهم مع فضلهم مشغولاً بنفسه، مشغوفاً فيما بين يومِه وأمسِهِ، مثل الشيخ العالم الإمام، بمقام إبراهيم عليه السلام، نزيل مكة البلد الأمين مكين الدين أبي شجاع زاهر بن رستم بن أبي الرجا الأصفهاني[3]، رحمهُ الله تعالى، وأخته المسنّة العالمة شيخة الحجاز فخر النساء بنت رستم[4]. فأمّا الشيخ فسمعنا عليه كتاب أبي عيسى الترمذي[5] في الحديث وكثيراً من

---

(1) الوجد: ما يصادف قلبك ويردِ عليك بلا تعمُّد ولا تكلُّف، وقيل: الوجد هو المصادفة. انظر الرسالة القشيرية، ص61، دار الخير.

(2) ألفيتُ: وجدت.

(3) زاهر بن رستم: لم أقف له على ترجمة.

(4) فخر النساء بنت رستم: هي شقيقة زاهر بن رستم، كما ذكر ابن عربي.

(5) الترمذيّ: محمد بن عيسى بن سورة، الترمذيّ، أبو عيسى: من أئمة علماء الحديث وحفّاظه، من أهل «ترمذ» على نهر جيحون، تتلمذ للبخاري. مات بترمذ 279 هـ له: «الشمائل المحمدية» و«الجامع الكبير».

الأجزاء، في جماعة من الفضلاء، كان يغلب عليهم الأدب فكأنّ جليسه في بستان، وكان، رحمهُ الله تعالى، ظريف المحاورة لطيف المؤانسة، ظريف المجالسة، يمتع الجليس، ويؤانس الأنيس، وكان لهُ ﷺ، من أمره شأن يُغنيه، فلا يتكلم إلا فيما يعنيه، وأمّا «فخر النساء» أخته بل فخر الرجال والعلماء فبعثت إليها، لأسمع عليها، وذلك لعلوّ روايتها، فقالت: فَنِيَ الأمل، واقترب الأجل، وشغلني عمّا تطلبُهُ مني من الرواية الحث على العمل، فكأني بالموت قد هجم، فأقرع سنّ الندم[1]. فعندما بلغني كلامها كتبت إليها أقول شعراً:

حَـالـي وحـالُـكِ فـي الـرّوَايَـةِ وَاحِـدٌ ... مـا الـقَـصْـدُ إلا الـعِـلْـمُ وَاسْـتِـعـمـالُـهُ

فأذنت لأخيها أن يكتب لنا نيابة عنها إجازة[2] عنها في جميع روايتها. فكتب، رضي الله تعالى عنه وعنها، ذلك ودفعهُ لنا وكتب لنا جميع مسموعاته إجازة عامة وكتبت إليه من قصيدةٍ عملتُها فيه قولي:

سـمـعْـتُ «الـتّـرمِـذيَّ» عـلـى الـمَـكِـيـنِ ... إمـامِ الـنّـاسِ فـي الـبَـلَـدِ الأمِـيـنِ[3]

وكان لهذا الشيخ، رضي الله عنه، بنت عذراء، طفيلة[4] هيفاء، تقيد النظر، وتزين المَحَاضِرَ والمُحاضِر، وتحيّر المناظر، تسمى **بالنظام**: وتلقب بعين الشمس والبها، من العابدات العالمات السائحات الزاهدات شيخة الحرمين، وتربية البلد الأمين الأعظم بلا مَيْن[5]، ساحرة الطرف، عراقية الظرف، إنْ أَسهبت أَتعبت، وإنْ أوجزت أَعجزت، وإن أفصحت أوضحت.

(1) أي صكّها ندماً.

(2) الإجازة: من أجاز العالمُ تلميذه: أذن له في الرواية عنه.

(3) البلد الأمين: مكّة المكرمة.

(4) طَفيلة: من الطَّفْل: الرّخص الناعم الرقيق. يقال امرأة طَفْلة الأنامل: ناعمتها.

(5) المَين: الكذب (ج) مُيُون

إن نطقت خرس قسّ بن ساعدة[1]، وإن كرمت خنس معن بن زائدة[2]، وإن وفّت قصّر السموأل[3] خطاه، وأغرى ورأى بظهر الغرر وامتطاه. ولولا النفوس الضعيفة السريعة الأمراض، السيئة الأغراض، لأخذت في شرح ما أودع الله تعالى في خَلْقِها من الحسن، وفي خُلُقها الذي هو روضة المزن. شمس بين العلماء، بستان بين الأدباء، حقة مختومة[4]، واسطة عقد منظومة. يتيمة دهرها[5]، كريمة عصرها، سابغة الكرم، عالية الهمم، سيدة والديها، شريفة ناديها، مسكنها جياد، وبيتها من العين السواد، ومن الصدر الفؤاد. أشرقت بها تهامة[6]، وفتح الروض لمجاورتها أكمامه، فنمت أعراف المعارف، بما تحمله من الرقائق واللطائف. علمها عملها، عليها مسحة ملَك وهمّة ملِك، فراعينا في صحبتها كريمَ ذاتها مع ما انضاف إلى ذلك من صحبة العمةِ والوالد، فقلدناها من نظمنا في هذا الكتاب أحسن القلائد بلسان النسيب الرّائق[7]، وعبارت الغَزَل اللائق. ولم أبلغ في ذلك بعض ما تجده النفس، ويثيره الأنس، من كريم ودّها، وقديم عهدها، ولطافة معناها، وطهارة مغناها. إذ هي السؤال والمأمول، والعذراء البتول[8]، ولكن نظمنا فيها بعض

---

(1) قُس بن ساعدة: أحد حكماء العرب، من بني إياد، ومن كبار خطبائهم. كان أسقف نجران. وهو من المعمَّرين. نحو 600م.

(2) معن بن زائدة: من أجواد العرب، وأحد الشجعان الفصحاء أدرك العصرين الأموي والعباسي. مات سنة 151 هـ.

(3) السمؤال بن غريض بن عادياء: شاعر جاهلي حكيم، من سكان خيبر، صاحب حصن «الأبلق» أشهر شعره لاميته، وهي من أجود المغرب. مات نحو 560م.

(4) الحُقَّة: الحُقّ وهو وعاء صغير ذو غطاء يتخّذ من عاج أو زجاج أو غيرها.

(5) يتيمة دهرها: مفردة لا نظير لها. يقال: بيت من الشعر يتيم: مفرد لا نظير له.

(6) تهامة: موضع في جزيرة العرب، منه مكّة؛ وتهامة هي السهول الساحلية بمحاذاة البحر الأحمر، من ينبع إلى نجران؛ وسمّيت بذلك لشدة حرّها وركود ريحها من (التهم).

(7) النسيب الرائق: الغزل الرائق العذب.

(8) البتول: البتول من النساء: العذراء المنقطعة عن الزواج إلى الله.

خاطر الاشتياق، من تلك «**الذخائر والأعلاق**»[1]. فأعربت عن نفس توّاقة[2]، ونبهت على ما عندنا من العلاقة، اهتماماً بالأمر القديم، وإيثاراً لمجلسها الكريم.

فكلّ اسم أذكره في هذا الجزء فعنها أُكنّي، وكل دارٍ أندبها فدارها أعني، ولم أزل فيما نظمته في هذا الجزء على الإيماء إلى الواردات الإلٰهية، والتنزّلات الروحانية، والمناسبات العلوية، جرياً على طريقتنا المثلى، فإن الآخرة خير لنا من الأولى[3]، ولعلمها، رضي الله عنها، بما إليه أُشير ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: 14] والله يعصم قارىء هذا الديوان من سبق خاطره إلى ما لا يليق بالنفوس الأبيّة، والهمم العليّة، المتعلقة بالأمور السماوية، آمين بعزة مَن لا ربّ غيره ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: 4].

وكان سبب شرحي لهذه الأبيات أن الوَلَدَ بدراً الحبشي والوَلَد إسماعيل بن سودكين[4] سألاني في ذلك وهو أنهما سمعا بعض الفقهاء بمدينة حلب ينكران هذا من الأسرار الإلٰهية وأن الشيخ يتستّر لكونه منسوباً إلى الصلاح والدين، فشرعتُ في شرح ذلك وقرأ عليّ بعضَهُ القاضي ابن العَديم[5] بحضرة جماعة من الفقهاء، فلمّا سمعه ذلك المنكر الذي أنكره تاب إلى الله سبحانهُ وتعالى ورجع عن الإنكار على الفقراء وما يأتون به في أقاويلهم من

(1) **الذخائر والأعلاق**: الذخيرة ما خُبيء لوقت الحاجة، وما أُعد للدنيا والآخرة. وذخائر الله قوم من أولياء الله يدفع بهم البلاء عن عباده. العِلق: النفيس من كل شيء يتعلق به القلب.

(2) أعربت: أفصحت. توّاقة: كثيرة الشوق.

(3) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الضحى: 4].

(4) انظر خاتمة شرح هذا «الديوان».

(5) ابن العَديم: عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيليّ: مؤرّخ، محدّث، من الكتّاب، ولد بحلب، وتوفي بالقاهرة: 66 هـ من كتبه «بغية الطلب في تاريخ حلب». كبير جداً، اختصره في «زبدة الحَلَب في تاريخ حلب».

الغزل والتشبيب[1] ويقصدون في ذلك الأسرار الإلٰهية، فاستخَرْتُ الله تعالى تقييد هذه الأوراق، وشرحتُ ما نظمته بمكّة المشرّفة من الأبيات الغزلية في حال اعتماري في رجب وشعبان ورمضان أُشير بها إلى معارف ربانية، وأنوار إلٰهية، وأسرار روحانية، وعلوم عقلية، وتنبيهات شرعيّة، وجعلت العبارة عن ذلك بلسان الغزل والتشبيب لتعشق النفوس بهذه العبارات فتتوفّر الدواعي على الإصغاء إليها، وهو لسان كلّ أديب ظريف، روحاني لطيف، وقد نَبَّهتُ على المقصد في ذلك بأبيات، وهي:

كُلّمَا أذكرهُ من طَلَلِ ... أو رُبوعٍ أو مَغانٍ كلّما[2]
وكذا إن قلتُ: ها، أو قلتُ: يا ... وألا، إن جاء فيهِ، أوْ أمَا
وكذا إن قُلتُ: هيْ، أو قلتُ: هوْ ... أو هُمو، أو هنّ جمْعاً، أو هُما
وكذا إن قُلتُ: قد أنجدَ لي ... قَدَرٌ في شِعرِنَا، أوْ أتْهَما[3]
وكذا السُّحبُ إذا قلتُ: بكتْ ... وكذا، الزّهرُ إذا ما ابْتسَمَا
أوْ أُنادي بحُداةٍ يَمّمُوا ... بانةَ الحاجر، أو وُرقِ الحِمى[4]
أو بدورٌ في خدورٍ أفَلَت ... أو شموسٌ، أو نباتٌ أنجَما[5]
أو بروقٌ، أو رعودٌ، أو صَبا ... أو رياحٌ، أو جَنوبٌ، أو سَما
أو طريقٌ أو عقيقٌ أو نَقا ... أو جبالٌ، أو تلالٌ، أو رِمَا

---

(1) التشبيب: شبَّب بفلانة: تغزّل بها ووصف حسنها وشبَّب الشاعر ذكر أيام اللهو والشباب.
(2) الطّلَل: ما يبقى شاخصاً من آثار الديار ونحوها. الربوع: جمع الربع: الموضع يُنزل فيه زمن الربيع، والدار، وما حول الدار، والمنزل، والحيّ.
(3) أنجد: أتى «نجد». أتهم: أتى تهامة.
(4) بانة الحاجر: البانة واحدة البان: نوع من الشجر سبْط القوام، ليّن، يشبّه به الحسان في الطول واللين، الحاجر: اسم موضع. وُرْق: جمع ورقاء: الحمامة.
(5) أفلت: غابت. أنجم النبات: طلع.

أو خليلٌ أو رحيلٌ أو رُبى أو رياضٌ، أو غياضٌ، أو حِمَى
أوْ نِساءٌ كاعِباتٌ نُهَّدٌ طالعاتٌ كشموسٍ، أو دُمَى[1]
كلّما أذكُره ممّا جرى ذكرهُ، أو مِثْلُهُ أن تَفْهَما
منهُ أسرارٌ وأنوارٌ جَلَتْ أو علَتْ جاءَ بها ربُّ السَّمَا
لفؤادي، أو فؤادٌ من له مثلُ ما لي من شروطِ العُلَما
صفةٌ قُدْسيّةٌ عُلْويّةٌ أعلمت أنَّ لصدقي قِدَمَا
فاصرِفِ الخاطرَ عن ظاهرِها واطلبِ الباطنَ حتى تَعْلَمَا

قال الشيخ، رحمه الله: فمن ذلك حكاية جرت في الطواف.

كنت أطوف ذات ليلة بالبيت فطاب وقتي وهزّني حالٌ[2] كنت أعرفه فخرجت من البلاط من أجل الناس، وطفت على الرمل، فحضرتني أبيات فأنشدتها أُسمع بها نفسي ومن يليني لو كان هناك أحد، وهي قوله:

لَيتَ شِعري هَلْ دَرَوْا أيَّ قَلْبٍ مَلَكُوا؟!
وفُؤادي لَوْ دَرَى أيَّ شِعْبٍ سَلَكُوا!
أتُرَاهُمْ سَلِمُوا أمْ تُرَاهُمْ هَلَكُوا؟
حَارَ أرْبابُ الهَوَى في الهَوَى، وارْتَبَكُوا

فلم أشعر إلا بضربةٍ بين كتفيّ بكفّ ألين من الخزّ، فالتفتُّ فإذا بجاريةٍ من بنات الروم لم أرَ أحسن وجهاً ولا أعذب منطقاً ولا أرقّ حاشية ولا ألْطفَ

(1) كاعبات: جمع كاعب: كعبت الفتاة: نهد ثديها.
نُهّد: الناهد المرأة التي نهد ثديها؛ أي برز وارتفع.

(2) الحال: ما يرد على القلب أو يحلّ به من كرب أو حزن أو بسط أو قبض. والحال هو الوارد. انظر الموسوعة الصوفية عبد المنعم الحفني، ص713.

معنى ولا أدقّ إشارة ولا أظرف محاورة منها، قد فاقت أهلَ زمانها ظَرْفاً وأدباً وجمالاً ومعرفة، فقالت: يا سيدي كيف قلتَ؟ فقلتُ:

لَيْتَ شِعري هل دَرَوْا أيَّ قَلْبٍ مَلَكُوا

فقالت: عجباً منك! وأنت عارف زمانك تقول مثل هذا! أليس كلّ مملوك معروفاً، وهل يصحّ الملك إلا بعد المعرفة وتمني الشعور يؤذن بعدمها والطريق لسان صدق فكيف يجوز لملك أن يقول مثل هذا؟ قل يا سيدي فماذا قلتَ بعده؟ فقلت:

وفُؤادي لَو درى أيَّ شِعبٍ سَلَكُوا!

فقالت: يا سيدي الشِّعب الذي بين الشغاف[1] والفؤاد هو المانع له من المعرفة، فكيف يتمنى مثلُك ما لا يمكن الوصول إليه إلا بعد المعرفة؟ والطريق لسان صدق فكيف يجوز لمثلك أن يقول مثل هذا يا سيدي؟ فماذا قلتَ بعده؟ فقلت:

أَتراهم سلِمُوا أم تراهم هلكُوا؟!

فقالت: أما هم فسلموا ولكن اسأل عنك فينبغي أن تسأل نفسك هل سلمت أم هلكت يا سيدي؟ فما قلت بعده؟ فقلت:

حَار أرباب الهوى في الهوى، وارتبكُوا

فصاحت وقالت: يا عجبا كيف يبقى للمشغوف فضلة يحار بها والهوى شأنه التعميم يخدِّر الحواسّ ويُذهب العقول ويدهش الخواطر ويذهب بصاحبه في الذاهبين فأين الحيرة وما هنا باقٍ فيحار، والطريق لسان صدق والتجوز من

---

(1) الشغاف: غلاف القلب، أو سويداؤه وحبّته. ج شُغُف.

مثلك غير لائق؟ فقلت: يا بنتَ الخالة ما اسمُكِ؟ قالت: قُرة العين. فقلتُ: لي، ثم سلمت وانصرفت، ثم إني عرفتها بعد ذلك وعاشرتُها فرأيتُ عندها من لطائف المعارف الأربع ما لا يصفه واصف.

شرح الأبيات الأربعة:

لـيـتَ شِـعْـري هـل دَروا   أيَّ قـلـب مَـلَـكُـوا؟!

يقول: ليتني شعرت، «هل دروا»: الضمير يعود على المناظر العُلى عند المقام الأعلى حيث المورد الأحلى التي تتعشّق بها القلوب وتهيم فيها الأرواح ويعمل لها العمال الإلٰهيون.

«أيَّ قلب ملكوا»: يشير إلى القلب الكامل المحمدي لنزاهته عن التقييد بالمقامات ومع هذا فقد ملكته هذه المناظر العلى، وكيف لا تملكه وهي مطلوبة ويستحيل عليها العلم بذلك لأنها راجعة إلى ذاته إذ لا يشهد منها إلا ما هو عليه ففيهِ يتنزه وإياه يحبّ ويعشق.

وفـؤادي لـو درى   أيَّ شِـعـب سَـلـكـوا!

أراد بالشِّعب: الطريق إلى القلب؛ لأن الشعاب: الطرق في الجبال. فكأنَّهُ لما غابت عني هذه المناظر العلى ترى أيّ طريق لبعض قلوب العارفين الذين سلكوا هذه الطرق؟ واختص ذكر «الشِّعب» لاختصاصه بالجبل وهو الوتِد الثابت؛ يريد المقام فإنّه الثابت إذ الأحوال لا ثبات لها، وإذا نسب إليها الثبات والدوام فلتواليها لا غير على القلوب.

أتـراهـم سَـلِـمـوا   أم تـراهـم هَـلَـكـوا؟!

المناظر العلى: من حيث هي مناظر لا وجود لها إلا بوجود الناظر كالمقامات لا وجود لها إلا بوجود المقيم فإذا لم يكن ثمّ مقام لم يكن ثَمّ

مقيم[1]؛ وإذا لم يكن ناظرٌ فما ثمّ منظورٌ إليه من حيث ما هو منظور إليه. فهلاكهم إنما هو من حيث عدم الناظر فهذا المراد بقوله: . . . سلموا أم هلكوا

حَـارَ أربـابُ الـهـوى في الـهـوى، وارتـبكـوا

لما كان الهوى يطالب بالشيء ونقيضه حارَ صاحبُهُ وارتبك فإنّهُ من بعضِ مطالبهِ موافقة المحبوب فيما يريده المحبوب وطلبه الاتصال بالمحبوب. فإن أراد الهجر فقد ابتلي المحبُّ صاحبُ الهوى بالنقيضين أن يكونا محبوبَين لهُ. فهذه هي الحيرة التي لزمتِ الهوى واتّصف بها كلّ من اتّصف بالهوى. والهوى، عندنا؛ عبارة عن سقوط الحبّ في القلب في أوّل نشأةٍ في قلب المحبّ لا غير. فإذا لم يُشاركهُ أمْرٌ آخرُ وخَلُصَ لَهُ وَصَفَا سمي «حبًّا»[2]. فإذا ثَبتَ سُمّي ودًّا[3]، فإذا عانق القَلبَ والأحشاء والخواطرَ لم يبقَ فيه شيءٌ إلاّ تعلّق القلبُ بهِ سمّي عشقاً[4] من العشق، وهي اللّبْلابة المشوكة.

□□

(1) ثَمّ: ظرف بمعنى هناك. قال تعالى: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: 21]. وفي اللغة: ثَمّ الشيء: ثَمّ اسم يُشاربه إلى المكان البعيد بمعنى هناك، وهو ظرف لا يتصرف؛ وقد تلحقه التاء، فيقال ثمة، ويوقف عليها بالهاء.

(2) الحب: للحب مراتب كثيرة في العربية، ذكرها الثعالبي في (فقه اللغة، ص167، دار الكتاب (العربي) أول هذه المراتب الهوى، ثم العلاقة، ثم الكلف. . .

(3) الودّ: خالص الحب وألطفه وأرقّه، وهو من الحب بمنزلة الرحمة. وهو من مثلثات العرب.

(4) العشق: فَرْط الحب؛ وقد عشقها عِشْقاً وعَشَقاً. والتعشّق تكلف العشق.
والعشق: عجب المحب بالمحبوب يكون في عفاف الحب ودعارته يعني في العفة والفجور.
ولا تجد هذه المفردة في الشعر العربي القديم؛ وإنما أولع به المتأخرون.

أُسْقُفَّة من بلادِ الروم

1 - مَا رَحّلُوا يوْمَ بانوا البُزّلَ العِيسَا إلاّ وقَدْ حمَلوا فِيهَا الطّوَاويسَا[1]

2 - من كلّ فاتكةِ الألحاظِ مَالِكَةٍ تَخالُها فَوْقَ عَرشِ الدُّرّ بِلقيسا[2]

1 - **فيها**: بمعنى عليها. **البُزّل**: الإبل المسمنة. **رحلوها**: جعلوا رحالها عليها. **الطواويس**: كناية عن أحبته. شبههم بهن لحسنهن.

المقصد: البزل، يريد الأعمال الباطنة والظاهرة، فإنها التي ترفع الكلم الطيب إلى المستوى الأعلى، كما قال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: 10]. والطواويس: المحمولة فيها أرواحها، فإنه لا يكون العمل مقبولاً ولا صالحاً ولا حسناً إلا حتى يكون له روح مزينة عاملة أو همة، وشبهها بالطيور لأنها روحانية وكنى عنها أيضاً بالطواويس لتنوع اختلافها في الحسن والجمال.

2 - **الفتك**: القتل في صورة. **مالكة**: حاكمة. **تخالها**: تحسبها. **العرش**: السرير. **بلقيس**: المذكورة في القرآن في قصة سليمان عليه السلام[1].

المقصد يقول: من كل حكمة إلٰهية حصلت للعبد في خلوته فقتلته عن مشاهدة ذاته وحكمت عليه، فإذا رأيتها حسبتها فوق سرير الدر، يشير إلى ما تجلّى لجبريل والنبي، عليهما الصلاة والسلام، في بعض إسراءاته في رفرف الدر والياقوت عند سماء

(1) البُزّل: جمع بازل. بزل البعير: طلع نابه وذلك في السنة الثامنة أو التاسعة، فهو وهي بازل. جمع بُزّل للجمال وبوازل للنوق.

العيس: الأعيس من الإبل: الذي يخالط بياضه شُقرة والكريم منها جمع عيس. والعيساء: مؤنث الأعيس.

(2) بِلْقيس: هي بِلْقيس بنت الهدهاد، من حِمْيَر: ملكة سبأ، يمانية من أهل مأرب، أشير إليها في القرآن الكريم ولم يسمّها، وليت أمر اليمن كله. وانقادت لها أقيال حِمْير. تزوجها سليمان عليه السلام، توفيت فدفنها بتدمر، وعُثر على تابوتها زمن الوليد بن عبد الملك. انظر الأعلام الزركلي: 2/ 73 - 74.

(3) انظر سورة النمل الآيات: 23 - 44.

3 - إذا تمشّتْ على صَرْحِ الزّجاجِ ترَى　　شمساً على فَلَكٍ في حِجرِ إدريسَا[1]

4 - تُحيي، إذا قتلَت باللحظِ، مَنطِقَهَا　　كأنـها عـنـدمـا تُـحـيـي بـهِ عِـيـسَـى

الدنيا، فغشي على جبريل وحده لعلمه بمن تجلى له في ذلك الرفرف الدري، وسماها «بلقيساً» لتولدها بين العلم والعمل، فالعمل كثيف والعلم لطيف، كما كانت بلقيس متولدة بين الجن والإنس، فإن أمها من الإنس وأباها من الجن. ولو كان أبوها من الإنس وأمها من الجن لكانت ولادتها عندهم، وكانت تغلب عليها الروحانية، ولهذا ظهرت بلقيس عندنا.

3 - **إذا تمشت**: أي إذا سرت وسارت.

المقصد: ذكر صرح الزجاج لما شبهها ببلقيس وشبه الصرح بالفلك وكنى بإدريس عن مقام الرفعة والعلو وكونها في حجره أي في حكمة من جهة تصريفه إياها حيث يريد، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**لا تعطوا الحكمة غير أهلها**»؛ فلولا الحكم عليها ما صح التحكم فيها بخلاف المتكلم بغلبة الحال عليه فيكون في حكم الوارد. فينبه في هذا البيت على تملكه ميراثاً نبوياً، فإن الأنبياء يملكون الأحوال وأكثر الأولياء تملكهم الأحوال، وقرن الشمس وإدريس لأنها سماؤه وشبهها بالشمس دون القمر تعريفاً بمقام هذه الحكمة من غيرها، فكأنه يقول: قوة سلطان هذه الحكمة إذا وردت على قلب صاحب التجريد أثمرت فيه أحوالاً حساناً ومعارف مختلفة وإذا وردت على قلب متعشق بما حصل فيه من المعارف أحرقتها وأذهبتها. وذكر المشي دون السعي وغيره لنخوتها وعجبها وانتقالها في حالات هذا القلب من حال إلى حال بضرب من التمكن.

4 - **المقصد**: نبه على مقام الفناء في المشاهدة بقوله: قتلت باللحظ، وكنى بالإحياء عن النطق لتمام التسوية لنفخ الروح، ووقع التشبيه بعيسى عليه السلام، **دون التشبيه بقوله**: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: 29]، أو بقوله تعالى: ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يسٓ: 82] من وجهين، الوجه الواحد الأدب، فإنا لا نرتفع إلى التشبيه بالحضرة الإلهية

(1) إشارة إلى الآية القرآنية، من سورة النمل، وهي قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ . . .﴾ [النمل: 44].

5 - تَوراتُها لَوحُ ساقيها سَناً[1]، وأنا أتـلـو وأدرُسُـهـا كـأنّـنـي مُـوسـى

6 - أُسْقُفَةٌ من بناتِ الرّومِ عاطِلةٌ تَـرى عـلـيـهـا مـن الأنـوارِ نـامـوسَـا

إلا بعد أن لا نجد في الكون من يقع التشبيه به فيما قصدوا لوجه. الآخر أن عيسى لما وجد من غير شهوة طبيعية فإنه كان من باب التمثيل في صورة البشر فكان غالباً على الطبيعة بخلاف من نزل عن هذه المرتبة، ولما كان الممثل به روحاً في الأصل كانت في قوة عيسى إحياء الموتى، ألا ترى السامري[1] لمعرفته بأن جبريل معدن الحياة حيث سلك أخذ من أثره قبضة فرماها في العجل فخار وقام حياً؟

5 - الساق هنا جيء به لما كنى عنى ببلقيس والصرح، وكانت قد كشفت عن ساقيها أي بيّنت أمرها، ومنه قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: 42] الأمر الذي يقوم عليه بيان الآخرة؛ ومنه: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ [القيامة: 29] أي التف أمر الدنيا بأمر الآخرة. والتوراة من وري الزند: فهو راجع إلى النور، وينسب إلى التوراة أن لها أربعة أوجه فشبه ساقيها بالتوراة في الأربعة أوجه والنور والأربعة الذين يحملون العرش الآن وهي الكتب الأربعة، وسنأتي الإشارة إليها مع مناظرتها مع أصحاب الكتب الأربعة في هذه القصيدة.

فكأنه يقول: إن أمر هذه الحكمة قام على النور، ولذا قال: «سناً» فإن النور الذي وقع به التشبيه إنما وقع بأربعة: المشكاة، والمصباح، والزجاج، والزيت المضاف إلى الزيتونة المنزهة عن الجهات الثابتة في خط الاعتدال. ولما كنى عن ساقيها بالتوراة احتاج إلى ما يناسب ما وقع به التشبيه من التلاوة والدرس وذكر من أنزلت عليه. **وأتلو**: هنا: أتبع. **وأدرسها**: أي أطأ أثرها، فيتغير بصفتي كما يطأ أحدكم أثر غيره فيغيره بوطئه إلى شكل ما وطئه به، فإن الدرس التغيير.

6 - **الأسقف**: عظيم الروم. **والعاطلة**: الخالية من الحلي. **والناموس**: الخير.

المقصد يقول: إن هذه الحكمة عيسوية المحتِد[2]، ولهذا نسبها إلى الروم. وقوله: عاطلة، أي هي من عين التوحيد ليس عليها من زينة الأسماء الإلهية أثر كأنه جعلها

(1) السنا: النور.

(2) السامريّ: منسوب إلى رجل.

(3) المحتِد: الأصل. يقال: إنه لكريم المحتِد، ورجع إلى محتده. ج محاتد.

7 - وحشيّةٌ، ما بِها أُنسٌ، قد اتَّخَذَتْ   في بيتِ خَلوتِها للذّكر نَاوُوسا
8 - قد أعجَزَتْ كلّ علاّم بمِلّتِنَا   وداوُديًّا، وحِبراً ثمّ قِسّيسا
9 - إن أوْمأت تطلبُ الإنجيلَ تحسبُهَا   أقِسّةً، أوْ بطاريقاً شماميسا

ذاتية لا أسمائية ولا صفاتية لكن يظهر عليها من الخير المحض ما يكنى عنه بالأنوار وهي السبحات المحرقة التي لو رفع سبحانه الحجب النورانية والظلمانية لأحرقت سبحات وجهه، فهذه السبحات هي التي كنى عنها بالأنوار التي في قوة هذه الحكمة العيسوية فهي الخير المحض إذ هي الذات المطلقة.

7 - **الناووس**: قبر من رخام كانت ملوك الروم تدفن فيها.
المقصد يقول: إن هذه الحكمة العيسوية لا يقع بها أنس فإن مشاهدته فناء ليس فيها لذة، كما قال السيادي: ما التذ عاقل بمشاهدة قط لأن مشاهدة الحق فناء ليس فيها لذة. وجعلها وحشية أي أنها تشره إلى مثلها النفوس الشريفة وهي لا تألف إليها لعدم المناسبة، فلهذا جعلها وحشية. وقوله: «بيت خلوتها»، فكنى بالبيت عن قلبه وخلوتها فيه نظرها إلى نفسها. فإن الحق يقول: **«ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن»**[1]. ولما كان هذا القلب الذي وسع هذه الحكمة الذاتية العيسوية في مقام التجريد والتنزيه كان كالفلاة وكانت فيه كالوحش فلهذا قال أيضاً وحشية، ثم ذكر مدفن ملوك الروم تذكرة لها أي يتذكر الموت الذي هو فراق الشمل فألفت من التألف بعالم الأمر والخلق من أجل الفراق، فيذكرها ذلك القبر حالة الفراق فيزهدها في اتخاذ الألفة.

8 - لما كانت هذه المسألة ذاتية وكانت الكتب الأربعة لا تدل إلا على الأسماء الإلهية خاصة لها لم يقاومها ما تحمله هذه الكتب من العلوم، وكنى عنها بحاملها، فكنى عن القرآن بالعلام، وعن الزبور بالمنسوب إلى داود، وعن التوراة بالحبر، وعن الإنجيل بالقسيس.

9 - **يقول**: إن كان من هذه الروحانية إشارة من كونها عيسوية إلى الإنجيل بطريق التأييد له فيما وضع له بحسب الخواطر هنا كنا لديها بمنزلة هؤلاء المذكورين الذين هم جمال هذا العلم وساداته والقائمون به خادمون بين يديها لما بقي عليه من العزة والسلطان.

(1) قال العراقي في «الإحياء». لم أرَ له أصلاً. وقال ابن تيمية: هو مذكور في الإسرائيليات وليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ. انظر: كشف الخفا، للعجلوني. 2/ 195.

10 – ناديتُ، إذ رَحّلَتْ للبَين ناقتَها ... يا حاديَ العيسِ لا تحدو بها العِيسَا
11 – عَبّيْتُ أجيادَ صَبري يوْمَ بينِهِمُ ... على الطّريقِ كراديساً كراديسَا
12 – سألتُ إذ بلغَتْ نَفسي تَراقِيَها ... ذاكَ الجَمالَ وذاكَ اللُّطْفَ تَنفيسَا
13 – فأسلَمَتْ، ووقانَا اللهُ شِرّتَها[1] ... وزحزَحَ المَلِكُ المنصورُ إبليسَا

10 – **يقول**: هذه الروحانية الذاتية لما أرادت الرحيل عن هذا القلب الشريف لرجوعه من مقام لي وقت لا يسعني فيه غير ربي إلى النظر في مصالح ما كلف به من القيام بالعوالم بالنظر إلى الأسماء رحلت الهمة التي جاءت عليها لهذا القلب، وكنى عنها بالناقة، والملائكة المقربون المهيمنون هم حداة هذه الهمم، فأخذ يخاطب روحانياً بكناية الحادي أن لا يسيروا بها لما لها من التعشق والتعلق والإنسانية، تمنى استدامة هذه الحالة.

11 و12 – أراد **بالطريق**: المعراج الروحاني. **والكراديس**: الجماعات، واحدها كردوس. وقوله: **تنفيساً**: يريد ما أراد النبي ﷺ، بقوله: «**إن نفس الرحمٰن يأتيني من قبل اليمن**».

يقول: أريد إذ ولا بد من رحيلها فلا يزال عالم الأنفاس من جهتها يأتيني مع الأحوال، وهو الذي أيضاً تشير به العرب في أشعارها بإهداء التحية والأخبار مع الرياح إذا هبت، فكنى عن هذا المقام هنا بالأنفاس.

13 – **يقول**: فأجابت وانقادت إلى سؤالي ووقانا الله سطوتها، كما قال: «**وأعوذ بك منك**»، هذا مقامه. **وزحزح الملك**: يريد خاطر العلم والهداية. **إبليسا**: خاطر الاتحاد. فإن هذا مقام صعب قل من حصل فيه فسلم من القول بالاتحاد والحلول، فإنه المشار إليه بقول الله: «**كنت سمعه وبصره**»[1]، الحديث.

(1) شرّتها: حِدّتها. يقال: أعوذ بالله من شرة الغضب.
(2) صحيح البخاري، رقم (6137).

تحيةُ مشتاقٍ متيَّم

1 - خليليّ عُوجا بالكَثِيبِ، وَعَرِّجَا   على لَعْلَعٍ، واطلب مياهَ يَلَمْلَمِ[1]
2 - فإنّ بها مَن قَدْ عَلِمْتَ، ومن لهم   صِيامي وحجّي واعتماري ومَوسمي
3 - فلا أنسَ يَوْماً بالمحصَّبِ مِن منًى   وبالمَنحرِ الأعلى أموراً، وَزَمزَمِ[2]

1 - يخاطب عقله وإيمانه أن يعوجا **بالكثيب**: الذي هو محل المشاهدة التي نص عليها الشرع، وعرجا قبل الوصول على «**العلع**»: موضع حال دهش وحيرة وتولع لتقع الرؤية عن محبة وشوق، واطلب مياه «**يلملم**»: جهة كائنة، أي رد على موطن الحياة إذ كان من الماء كل شيء حي. ولما كانت الأنفاس يمنية فلتكن الحياة أيضاً من مناسبة هذه الجهة للمشاكلة.

2 و3 - أفرد الخطاب، يريد الإيمان دون العقل، فإن العلم بالذات وما تستحقه من النعوت إنما هو من طريق الإيمان لا من طريق العقل، فلهذا قال: «من قد علمت»، ولم يقل: علمتها، والضمير في «بها» يعود على المياه فإنها التي تعلم لا على الذات إذ الذات ترى ولا تعلم لأنها لو علمت أحيط بها، وهو سبحانه لا يحيط به علم، تقدس وتعالى عن أن يحيط به علم الممكن، أو تكون ذاته تعطي الإحاطة فهو المحيط ولا يحيط به شيء إذ لو أحاط به شيء لحصره ذلك الشيء. ثم قال: «ومن لهم»، خطاباً لنعوت الإلٰهية. وقوله: **صيامي**، يريد صفة الصمدانية، **كما قال تعالى**: «**الصوم لي**» أي الصمدانية للعبد لا تصح ولا يستحقها والصوم له مدخل فيها لأنه إمساك عن الطعام والغذاء. وقوله: **وحجي**، يريد تكرار القصد بالتوجه إلى هذه الذات المنزهة من أجل دعاء الأسماء الإلٰهية في كل نفس وحين. وقوله: واعتماري، يريد فزياراتي إليها في وقت

(1) الكثيب: الكومة من الرمل. **لعلع**: اسم جبل، وماء بالبادية. ومنزل بين البصرة والكوفة. **يلملم**: موضع قرب مكة.

(2) المحصَّب: موضع بين مكة ومنى، وهو إلى منى أقرب، وهو بطحاء مكّة.

4 - مُحَصَّبُهُم قلبي لِرَمْي جِمارِهِمْ   ومَنْحَرُهُمْ نفسي ومشرَبهم دَمي

شوقي وطلبي والعلة دائمة والزيارة دائمة لا يزال العبد مع الأنفاس حاجاً ومعتمراً لأنه في كل نفس في انتقال من اسم إلٰهي إلى اسم إلٰهي.

وقوله: وموسمي، كما قال الآخر حين جعله عيده. ولما كان الموسم عبارة عن محل مكاني وزماني تجتمع فيه قبائل مختلفة لمقصد واحد بلغات مختلفة جعله عيده تدل على معنى واحد كذلك مقامات هذا العبد وأحواله والحقائق الإلٰهية إذا حصل القلب في محل الجمع لما ذكرناه كان ذلك موسمه وعيده، وإنما سمي موسماً من حيث السمة أي أنه علامة على تحصيل هذا المقام الجمعي، وسمي عيد العودة على بدئه لأن الأمر فيه دوري وإن كانت الواردات الإلٰهية لا تتناهى فالمقامات بلا شك تتناهى. وقوله: «فلا أنس يوماً»، يقول تخلقاً إلٰهياً من مقام كنت سمعه وبصره، فنبه على أنه أيضاً قد حصل في مقام، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: 64] تخلقاً إلٰهياً واعتناء. وقوله: **بالمحصَّب من مِنى**: ، الذي هو موضع رمي الجمار، يقول: فلا أنس يوماً بمقام. قوله: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: 200]؛ أي أديموا ذكر آبائكم في هذا الموطن من قلوبكم وألسنتكم فإن قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ . . .﴾ [لقمان: 14]، إنما ذلك في مقام إيجاد عين العبد حيث كان إيجاده عند سبب اجتماع والديه بالنكاح وتعبهما في إيجاده، وهذا ما هو ذلك المقام فلا يلزم هنا هذا الدخل على من قيل له اطرح ذكر آبائك هنا، فإن كل مقام يعطي حقيقته. وذكر «مِني» لأنه من باب الأماني، وقد قيل: ولا تغرنكم الأماني. وقوله: **وبالمنحر الأعلى**، يشير إلى القربان. كما قال: تهدي الأضاحي وأهدي مهجتي ودمي، يعني نفسه، وقوله: أموراً، يريد الحياة الأبدية.

4 - الضمير في هذا البيت بمحصبهم وغيره يعود على الحقائق الإلٰهية فإنها الواردة على القلب بهذه الصفات كلها، فرمي جمارهم هو ما يحصبون به الخواطر النفسانية والشيطانية وإن كانت إلٰهية ولكن من حيث المحل الذي وردت على هذا القلب منه، لذلك كان المحصب ولذلك توجه الذم، كما قال: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: 79]. وقال: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: 78]. ثم قال: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: 78] إشارة فأجرى قديماً. يقول: فما لهؤلاء المعترضين لا يفقهون ما حدثناهم به من أن الكل من عندنا ذماً وحمداً فلا يذمون ما سميناه مذموماً

5 - فيا حاديَ الأجمالِ إن جئتَ حاجِراً   فقِفْ بالمَطايا ساعَةً ثمّ سلّمِ[1]
6 - ونادِ القِبابَ الحُمرَ من جانبِ الحمى   تحِيّةَ مُشْتاقٍ إليكم مُتيَّمِ

ويحمدون ما سميناه محموداً وينظرون الأشياء من حيث ما علمناهم ووضعناها لا من حيث إسنادها إلينا بحكم الإيجاد.

وقوله: ومنحرهم نفسي، يريد قربانها، كما قلنا:

وأهدى عن القربان نفساً معيبة   وهل ريء خلق بالعيوب تقربا

والحكاية مشهورة في الفتى الذي قرب نفسه بمنى بهمته حين رأى الناس قربوا قرابينهم فجعل نفسه قربانه فمات من حينه. وقوله: ومشربهم دمي، وإن الدم لما كان سريانه في العروق سبب الحياة الحيوانية كني عنه بالشرب فإن الماء جعله الله سبباً لكل شيء حي، فقال: ﴿مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: 30].

5 - **الحادي**: هو الذي يسوق الإبل من خلفها، **والهادي**: هو الذي بيده زمامها. فهو يخاطب الشوق الذي يحدو بالهمم إلى منازل الأحبة.

وقوله: إن جئت حاجراً، **الحاجر**: العقل. والطريق إنما هو بالإيمان والمشاهدة لا بالعقل من حيث قوة فكره بل هو من جهة عرفانه وإيمانه. والحاجر هو الحاجز بين الشيئين ليتميزا، والأحبة قد حجروا على نفوسهم وأعيانهم ليمتازوا عن سائر المقصودين، فإنه قد يصدق الشيء من كونه محبوباً وسبباً لاتصال بمحبوب. ثم إنه أمر لهذا الحادي الذي هو الشوق بالسلام على منازل الأحبة ولكن بعد وقوف ساعة، وذلك أن المحب إذا ورد على منزل الأحبة أخذه دهش وحيرة في أول وروده وربما غشي عليه فيدركه كذلك تبلبل فلا يوفي الأدب في السلام مع هذا الدهش فقال له: قف ساعة حتى يزول عنك الدهش والبهت فتعرف ما تستحقه الأحبة من الأدب في السلام، وحينئذ كما قالت العامة: لكل داخل دهشة، وهذا ذوق محقق.

6 - **يقول لشوقه**: إذا سلمت ونظرت إلى اختلاف ألوان القباب فلا تناد منها إلا القباب الحمر فإنها محل الجمال والمخصوصة بالعرائس المخدرات. ولهذا يقول حين ذكرت الألوان فقالت في الخضرة إنها أنبل، وقالت في السواد إنه أهول، وقالت في البياض إنه أفضل، وقالت في الحمرة إنها أجمل، ولذا قال ترجمان اليمامة حين قصدته سجاح

---

(1) حاجر: اسم موضع.

7 – فإن سلّموا فاهدِ السلامَ معَ الصَّبَا وإن سكَتوا، فارحلْ بها وتقدّم

8 – إلى نهرِ عيسى حيثُ حلّتْ ركابهم وحيثُ الخيام البِيض من جانبِ الفمِ

بعساكرها فقال: انصبوا لها القبة الحمراء فإنها إذا رأتها تشتهي النكاح، وخلا بها فيها. ولهذا نهى رسول الله ﷺ، عن الركوب على المياثر الحمر[1]. فلما كان فيها هذا السؤال الشهواني لهذا جعلناها قباب الأحبة لأن الحب أعظم شهوة وأكملها.

وقوله: من جانب الحمى، **يقول**: إنها عزيزة المنازل لحجاب العزة الأحمى الأعز من هو أهل لها وهي أهل له، كما قال الآخر[2]:

فلم تكُ تَصْلحُ إلا لهُ ولم يكُ يصلحُ إلا لها

ولو رامَها أحدٌ غيره لزلزلت الأرض زلزالها[3]

وجعلها قبة لكون الشكل الكري أفضل الأشكال وأول الأشكال.

فيقول: إن الأحبة في المنازل الأول التي هي عند الحق لا عند شيء فهي من عالم الأمر، والشكل **الكري**: ليس له أول ولا آخر إلا بحكم العرض فيه، كذلك هؤلاء الأحبة الذين هم الحقائق الإلهية الأمر فيها دوري **كري**.

7 – يقول: إن ردوا عليك السلام فتعرف أنك من أهلهم وممن أهل لهم فابعث سلامهم مع عالم الأنفاس من مقام الميل، فإن الصبا الميل، فلهذا قصد الصبا دون الجنوب والشمال وغيرها، أي اهد السلام مع من ترى من عالم الأنفاس مائلا إلى جهتنا.

وقوله: وإن سكتوا، **يقول**: إن لم يردوا عليك السلام فتعلم أنك لست ممن أهل لأهل تلك المنازل ولا أهلت لك فارحل واطلب منازل غيرها ممن أهلت لها وأهلت لك ولكن أقدم لا ترجع وراءك تحرزاً ممن قيل لهم: ﴿ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا﴾ [الحديد: 13].

8 – يعني فم النهر.

يقول: تقدم إلى نهر عيسى، أي العلم المتسع العيسوي المشهد، فافعل معه ما فعلت مع

---

(1) المياثر جمع ميثرة، الميثرة: الثوب الذي تجلل به الثياب فيعلوها، ومركب للعجم كان يتخذ من الديباج والحرير. ميثرة الفرس: لبدته.

(2) القائل هو.

(3) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾.

9 - ونَادِ بِدَعْدٍ والرّبابِ وزَيْنَبٍ وهِنْدٍ وسَلمى ثم لُبنى وزَمزَمِ

10 - وسَلهُنّ هلْ بالحَلْبَةِ الغادةُ التي تُريكَ سَنا البيضاءِ عندَ التبسّمِ؟

القباب الحمر واجعل خيام هؤلاء الأحبة بيضاً لأنه مقام عيسوي نزيه عن الشهوة النكاحية، فإنه كان عن غير نكاح بشري فلهذا كان أبيض ولم يكن أحمر.

يقول: ويكون مجيئك لهذا العلم العيسوي من جانب الفم أي من حيث الفهوانية واللسن[1] ولذلك أعطي «كن».

9 - يقول: إذا وصلت المنازل فناد بأسماء هذه الحقائق الإلهية على اختلافها حتى يجيئك منها ما هو لك فتعرف عند ذلك مقامك منها ما هو. فكنى عنها بهذه الكنايات من أسماء محبوبات الأعراب.

وقوله: وزمزم، يريد: قم في مقام السماع لهم فإن السماع منشأ الوجود فإن كل موجود يهتز، كما قال النبي، عليه الصلاة والسلام: **«ما أذن الله لشيء كإذنه لمن يتغنى بالقرآن»**[2]؛ فانظر منظر هذه الحقيقة الإلهية في الإصغاء الإلهي لصاحب هذا المقام. وهذا الحديث يقوي أحد محتملات قوله ﷺ: **«ليس منا من لم يتغن بالقرآن»**[3]؛ فهو من الغنى لا من الاستغناء.

10 - **الحلبة**: محلة ببغداد: **الغادة**: المائلة. **البيضاء**: اسم من أسماء الشمس.

يقول: وسل من ناديت من الحقائق الإلهية والنعوت الأزلية هل بالحلبة، والحلبة مجاري الخيل في السباق، فإن الحقائق الإلهية تتسابق إلى الكيان لتظهر آثارها فيظهر سلطانها فيهم، ولهذا سماها غادة أي مائلة إلى الكون، ثم وصفها بأن لها نور الشمس إذا ابتسمت. قال النبي ﷺ: **«ترون ربكم في الجنة كما ترون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب»**[4]؛ فأوقع التشبيه في الرؤية لا في الشمس؛ وكنت في مقام عيسوي وأنت الآن تسأل عن مقام إدريسي علوي قطبي فإن له السماء الرابعة. ثم ذكر التبسم

(1) الفهوانية: خطاب الحق بطريق المكافحة، في عالم المثال. ويتكرر هذا المصطلح الصوفي بهذا الشرح كثيراً.

(2) أخرجه البخاري رقم (4736).

(3) أخرجه البخاري رقم (7089).

(4) أخرج البخاري حديثاً بنحوه، رقم (4305).

. . . .

في هذا المقام، يشير إلى مقام البسط[1]، فإن المقامات العلية لما كانت الهيبة تستصحبها لم يتمكن القادم عليها أن ينبسط لسموها وعلوها فإذا وقع منها حالة التبسم بسطت العبد وانشرح القلب وعرف أنها معه في مقام الأنس والجمال.

(1) المقام هو ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب، مما يتوصّل إليه بنوع تصرف، ويتحقّق بضرب تطلّب ومقاساة وتكلّف. والمقام هو الإقامة. (الرسالة القشيرية، ص56).
البسط للعارف بمنزلة الرجاء للمستأنف. انظر: الرسالة القشيرية، ص58 – 59. والموسوعة الصوفية: ص(667).

سَلامٌ على سَلْمى

1 - سلامٌ على سلْمى ومَن حَلَّ بالحِمى   وحُقّ لـمثلـي، رِقـةً، أن يُـسلِّـمـا
2 - ومـاذا عَـلـيـهـا أن تَـرُدَّ تـحـيّـةً   علينا؟ ولكن لا احتكامَ على الدُّمَى!

1 - يشير «بسلمى» إلى حالة سليمانية وردت عليه من مقام سليمان عليه السلام، ميراثاً نبوياً. ومن حل بالحِمى يعني أشباهها.

وقوله: **بالحمى**، أي أنها في مقام لا يناله، وهو النبوة، فإن بابها مسدود فنعته بالحمى، فذوق هذه الحكمة لسليمان عليه السلام، من كونه نبياً خلاف ذوقه لها من كونه ولياً، وهو المقام الذي شاركناه فيه بذوقنا لها من الولاية التي هي الدائرة العظمى.

وقوله: وحق لمثلي، يعني أنه في مقام المحبة والرقة، إشارة إلى الانتقال إلى عالم اللطف، فإن الكثيف غليظ الحاشية.

يقول: إن يسلم على الوارد عليه فإن السلام في هذه الواردة إنما يتقدم المورود عليه لا الوارد، وسببه لأنه الطالب وليس في قوته المعراج في الحقائق الإلٰهية، فلما وردت عليه بدأ هو بالسلام عليها. يشير إلى أنه الطالب لها وهو أولى بالقدوم لو أعطت الحقائق العروج، وسبب عدم العروج الجهل الذاتي بالمكانة الإلٰهية فلا تعرف ولا تقصد بالمعراج لكن بالسؤال.

2 - **يقول**: إن ردت التحية علينا فمن باب المِنّة لا من باب أنه يجب عليها ذلك، فإن الله لا يجب عليه شيء تعالى من ذلك فكل ما يكون لنا منه ابتداء أو إعادة إنما ذلك منه منة سبحانه. وكنى عن هذه النكتة الإلٰهية السليمانية النبوية بالدمى التي هي صورة الرخام صفة جمادية، أي لا ترد بلسان نطق، لأنه لو وردت بلسان نطق لكان نطقها غير ذاتها فتكون مركبة وهي وحدانية الذات من جميع الجهات، فورودها عين كلامها وعين شهودها وعين سماعها وهكذا جميع الحقائق الإلٰهية والنسب الربانية، فلو كنى عنها بالصورة الحيوانية لم يتبين هذا المقام الذي هو مراد لهذا القائل.

3 - سرَوا وظلامُ اللّيلِ أرخى سُدولَه فقلتُ لها: صَبًّا غريباً مُتيَّما
4 - أحاطتْ به الأشواقُ صَوْناً، وأُرْصِدتْ لهُ راشقاتُ النَّبلِ أيّان يَمّما
5 - فأبدَتْ ثَنَاياها، وأوْمضَ بارقٌ فلم أدرِ مَن شَقّ الحَنادِسَ منهُما

---

3 - قوله: **سروا**؛ الإسراء لا يكون إلا بالليل، وكذا معارج الأنبياء لم تكن قط إلا بالليل لأنه محل الإسرار والكتم وعدم الكشف. وقوله: **وظلام الليل**: أي حجاب الغيب، أرخى حجابه الذي هو وجود الجسم الكثيف فهو ليل هذه النشأة الحيوانية لما كان ستراً على ما تحويه من اللطائف الروحانية والعلوم الشريفة فلا يدرك جليسه ما عنده إلا بعد العبارة عن ذلك والإشارة إليه.

أي كان سراه بالأعمال البدنية والهمم النفسية وذلك لما سرت ورحلت هذه الحكمة عن قلبه وقت شغله بتدبيره بعض عالمه الكثيف فلما عاد إلى سره وجدها قد رحلت فأسرى خلفها بهممه يطلبها وهو يقول لها: ارحمي صباً، أي مائلاً إليك بالمحبة والصبابة التي هي رقة الشوق[1]، غريباً من أرض وجوده متيماً، أي قد تيمه الحب[2]، يقول تعبده وتذلله.

4 - **يقول**: إن الأشواق لما أحاطت بهذا المحب ولزمته في حال بعد وقرب، وصفها بالشوق إليه، ولما كانت التجليات في أوقات تقع في الصور الجميلة الحسنة في عالم التمثيل، كما قال تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: 17] وصف هذه الصور بأنها ترشق قلبه بسهام اللحظ حيث توجه القلب يصف قلبه بعمارات الشهود، كما قال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: 115].

5 - لما كان التبسم كشفاً يسرع إليه الستر، وكان البرق مثل ذلك لذلك قرنه به ووجد هذا المحب ذاته كلها نوراً كما يستر الليل عند وميض البرق من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ﴾ [النور: 35]، وقول النبي، ﷺ، في دعائه: «**اللهم اجعل**

---

(1) الصبابة: رقة الشوق وحرارته كما في «الصحاح» يقال: رجل صَبٌّ: عاشق مشتاق. قال الشاعر:
تشكّى المحبون الصبابة ليتني تحمّلت ما يلقون من بينهم وحدي
ويقال: رجل صبّ وامرأة صب، كما يقال: رجل عدل وامرأة عدل.

(2) التتيّم: التعبّد: تيّمه الحب إذ عبّده وذلّله فهو متيّم. ويقال: تامته المرأة.

6 - وقالَت: أما يَكفيهِ أنّي بقَلبِهِ   يشاهدُني في كلّ وقْتٍ أمَا أمَا؟!

في سمعي نوراً وفي بصري نوراً»[1]. وذكر الشعر والبشر والقلب والعظم وجميع الأعضاء إلى أن قال: «واجعلني كلي نوراً»: يعني بهذا التجلي، والتجلي الذاتي هو البارق لعدم ثبوته.

فكأنه يقول: لما أضاءت زوايا كوني كلها وأضاء هيكل طبيعتي وأنا في مقام حكمة متجلية من حقيقة إلهية في صورة مثالية في مقام بسط وتبسمت هذه الصورة فأشرقت أرضي وسمائي بنورها واستنار ليلي واتفق معها تجل ذاتي مقارن لتبسمها لم أدر ممن أشرق كوني منهما ولا من شق حندس[2] ذاتي من هذين التجليين بنوره. يقول: التبس علي الأمر في ذلك.

6 - **يقول**: قالت هذه الحقيقة الإلهية في هذه الصورة المثالية بلسانها: لا تطلبني من خارج ويكفيه تنزلي عليه بقلبه. كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۝١٩٤﴾ [الشعراء: 193، 194] فهو يشاهدني في ذاته بذاته في كل وقت. يعني بالأوقات أيام الله الذي يقول تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: 29] فتلك أيامه سبحانه التي يوقع الشوق فيها.

(1) أخرجه البخاري، رقم (5957).

(2) الحِنْدس: الظُلمة، والليل الشديد الظلمة.

زَفَرات مُصْعِدَة

1 ـ أنجدَ الشوقُ وأتهَمَ العَزاءُ فأنا ما بينَ نجْدٍ وتِهَامْ[1]
2 ـ وهما ضِدّانِ لنْ يجتَمِعَا فشَتاتي ما لَهُ الدهرَ نِظام
3 ـ ما صَنيعي ما احتِيالي دُلّني يا عَذُولي لا تَرُعْني بالملامْ

1 ـ **يقول**: طلب الشوق نجداً لأن تعلقه بالمستوى الأعلى وطلب الصبر تهامة.
يريد: أن الصبر والشوق لا يجتمعان كما أن العلو والسفل لا يجتمعان. وأنا ما بينهما في برزخ الآلام فالموطن يطلبني بالصبر لأنه ليس محل اللقاء والشوق يطلبني بمفارقة التركيب الذي هو هذا الهيكل الطبيعي المانع اللطيفة الهائمة المتيمة لما ناسبها من العالم العلوي لكونها وجدت مدبرة له إلى أجل مسمى، فالشوق يجذبني إلى العلو والصبر يجذبني إلى السفل والصبر أغلب من الشوق ولإعانة الموطن له الذي هو الحياة الدنيا.

2 ـ **يقول**: لما كانت اللطيفة الإنسانية لا توجد دنيا ولا آخرة إلا مدبرة لمركب لا تترك لحظة لمشاهدة بسيطها عربت عن مركبها من غير علاقة كما يراه بعض الصوفية والفلاسفة مما لا علم له بما هو الأمر، فلهذا قال: فشتاتي ما له الدهر نظام، أي لا أتصل بالمنزه إلا على البسيط المشاكل الذاتي والحقيقي، فإن مرتبة التدبير لي وصف لازم لا يصح مفارقته لكوني على الصورة الإلهية والرحمانية مخلوقاً كما أن الألوهية نعت لازم للحق سبحانه، وإذا كان الأمر هكذا فالشوق جهل لهذا المقام فإنه لا يحصل لكن الشوق للمحبة وصف لازم تابع لها وهو مؤمن حكمها فلهذا لا تنفك عنه مع العلم بأن المشتاق إليه لا يقع به وصلة فهو غير نافع.

3 ـ أقسم الله بالنفس اللوامة[2]. غير أن اللوم المقصود في هذا البيت من هذا اللائم ليس

---

(1) أنجد: أتى نجد. وأتهم: أتى تهامة.

(2) وذلك بقوله: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾[القيامة: 1 - 2] وإدخال «لا» النافية على فعل القسم مستفيض في كلام العرب وأشعارهم، وفائدتها توكيد القسم: انظر تفسير الكشاف: 4/ 659. دار إحياء التراث العربي، ط1، 1997م.

4 - زَفَرَاتٌ قد تَعالَتْ صُعُداً ودموعٌ فوقَ خَدّيَّ سِجامْ[1]
5 - حنّتِ العِيسُ إلى أوْطانِها من وَجَى السيرِ[2] حنينَ المُستهامْ
6 - ما حياتي بعدَهم إلاّ الفَنَا فعليها وعلى الصّبرِ سَلامْ

هو حال بعينه وأيضاً المحب أي اسم تعلق به وحن إليه، وأي عالم وجد عذولاً في نفسه يعذله عن تعلقه ويدعوه إلى جنابه، وذلك أنه لما كان مجموع العلم والحضرة الإلهية صار كل جزء منه وكل حقيقة تطلب مناسبها أن تتصل به وتعذله أن لا ينظر إلى غيرها بحكم الميل والإشارة، والعارف لا يخلو عن ميل فلا يخلو عن عاذل دائماً أبداً.

4 - **يقول**: إن النيران الشوقية تعالت نحو عنصرها الذي هو الشوق الأعظم الموصوف به الجناب العالي كالمحبة منا تطلب المحبة الإلهية، من قوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: 54]، فحبنا نتيجة عن حبه. **يقول**: إن سر الحياة الذي هو الماء تختلف عليه الأسماء والأحكام باختلاف محله، فيسمى في العين دمعاً وفي الفم ريقاً وفي المِعى بولاً. فقال: إن هذا السر ظهر في العين بحكم ما في النفس من ألم البعد ووجود الصد والهجران الذي هو نعت لازم، كما ذكرناه، فكان فيه حرارة لأن زفرات الأشواق التي هي أصوات نيرانها سخنة، وظهوره للعين تظهر له لملاحظة الأغيار إذ كان ينبغي له أن لا ينظر إلى غير محبوبه إلى أن يغلب عليه مقام نظره بعين الله أو مقام رؤية الله في كل شيء فحينئذٍ يرتفع عنه البكاء والزفرات لهذا المشهد الكريم وهو الغاية التي يصل إليها العارف؛ ومن هذا المقام قال عيسى عليه السلام: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ﴾ [مريم: 33]، فكان أكمل في الوصلة ممن قيل عنه: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ [مريم: 15]، وهو يحيى؛ فهذا مقام أول لهذا المقام الثاني العالي، فإن يحيى من الحياة وهي المسخرة لعيسى عليه السلام، فإنه كان يحيي الموتى فلهذا قلنا فيه: إنه أعلى، في قوله: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ﴾ [مريم: 33] فافهم.

5 و6 - **يقول**: إن الأعمال التي يصعد عليها الكلم الطيب إلى المستوى الأعلى.

يقول: حنت إلى أوطانها التي هي الأسماء الإلهية التي عنها صدرت وبها تصرفت،

---

(1) سجام: سجم الدمع والمطر سجوماً وسجاماً وتسجاماً: سال قليلاً أو كثيراً.

(2) وجى السير: وجي: رقّت قدمه أو حافره أو خفّه من كثرة المشي.

. . . .

وهذا الحنين هو الذي أوجب لها سرعة السير، وقد تكون أيضاً الهمم، وهي عندنا من الأعمال فلهذا شرحناها بالأعمال لتضمنها الهمم. وجعله حنين محبة وشوق لا حنين عرض يزول بزوال متعلقه. وقوله:

مـا حـيـاتـي بـعـدهـم إلا الـفـنـا

يقول: إذا ارتفعت الهمم نحو مقصودها أقيمت في الفنا عن الفنا فاتصلت بالحياة التي لا تنفد ولا يعقبها صد. ثم سلم وأودع الصبر والحياة الطبيعية لفراقه موطنها الذي هو عالم الحس والتركيب الطبيعي.

لا عَزاءٌ ولا صَبْر

1 - بانَ العَزَاءُ، وبانَ الصّبرُ إذ بانوا بانوا وهـم في سُوَيْدا القلبِ سُكّانُ

2 - سألتُهم عن مَقيلِ الرّكبِ، قِيل لنا: مَقيلُهم حيثُ فاحَ الشّيحُ والبَانُ[1]

---

1 - **يقول**: بان مقام المنعة والصبر. بانوا يعني المناظر الإلهية عني، وقوله:

«في سويدا القلب سكان»؛ **يقول**: لما كانت المناظر الإلهية لا تشبه لها إلا بالمنظور إليه وهو الله سبحانه في سويدا القلب، كما يليق بجلاله من قوله تعالى: **«ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن»**[1]؛ فهو في قلب العبد، لكنه لما لم يعط تجل في هذه الحالة لم توجد المناظر فبانت من كونها مناظره مع كونه في القلب. ويقال: عز الأمر إذا امتنع فلم يوصل إليه. والصبر حبس النفس عن الشكوى.

يقول: بان هذا كله لبينهم.

2 - **يقول**: سألت العارفين حقائق الشيوخ المتقدمين الذين أبانوا لنا الطريق وأوضحوا لنا مناهج التحقيق لما رأيناهم في تجلياتنا كشفاً. فالضمير في «سألتهم» يعود عليهم عن ركب هذه المناظر الإلهية أين قالوا.

يقول: أي قلب وعين اتخذوه مقيلا فقالوا لنا: اتخذوا مقيلاً كل قلب ظهرت فيه أنفاس الشوق والتوقان. وهو قوله: «فاح الشيح والبان». فالشيح من الميل. والبان من البعد. وفاح من الفوح وهي الأعراف الطيبة. وإن أراد أن يجعله من الفيح الذي هو الاتساع ساغ أيضاً فإنه يليق به، فإن السعة مطلوبة في هذه الحالة لأنه قال: **«ما وسعني»**، ولا يكون الفيح هنا من فاحت الجيفة تفيح فيحاً، وهي الرائحة الكريهة، فإن هذه المقامات لا تليق بها، وهذا أن النبات ريحها طيب فكان المعنى يناقضه.

---

(1) الشيحُ والبان: من نبات البادية.

(2) تقدم الكلام عليه في قصيدة **«أسقُفَة من بلاد الروم»**. فارجع إليه.

3 – فقلتُ للريح: سيري، والحقي بهِمُ   فإنّهم عِند ظِلّ الأيكِ قُطّانُ[1]

4 – وبلّغيهِم سَلاماً من أخي شَجَنٍ   في قلبِهِ من فِراقِ القومِ أشجانُ

---

3 – **يقول**: لما قال لي المسؤولون إن قيلولة أحبتي حيث كان عالم الأنفاس الشوقية لذلك قال: فقلت للريح.

يقول: بعثت نفساً شوقياً من أنفاسي لحق بهم ليردهم إلي. **والأيك**: شجرة الأراك وهي مساويك. يشير إلى مقام الطهارة ومرضاة الرب، **للخبر الوارد**: «**إن السواك مطهرة للفم ومرضاة للرب**». **وقطّان**: مقيمون في راحة، فإن الظل الراحة، لا سيما ظل الأشجار، والكنف فإنه من قعد في ظلك فهو في كنفك

4 – **يقول**: وأوصلي إليهم سلاماً، من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا﴾ [الفرقان: 63]؛ مصدر يعني لا يعترض عليكم من أخ ذي شجن.

يقول: من صاحب حزن في قلبه من فراق القوم أشجان. **يقول**: إنه في مقام التلوين[2]، فكنى عنه بالقلب من تقلبه في هذه الأحوال والأحزان التي في قلبه لفراقهم إنما هو من حيث إنه لم ير وجه الحق فيمن أعقبهم في محله حين لا يحس بفراق أصلاً، وإن كان لا يصح قبل هذا المقام لأن الحقائق تأباه وترد وجوده، فإن النبي، ﷺ، يقول: «**لي وقت لا يسعني فيه غير ربي**»؛ فغرق بين الأحوال وإن كان الحق مشهوداً له في كل حال غير أنه لما كان حال شهود الذات أسنى الشهود وأحلاه وأعظم أثراً لذلك يقوم عنده وجه الحق فيما عدا هذا الشهود[3]، كما يقول: لو تعشق بالتعلقات الإلهية لكانت لذة شهود تعلق العلم أعلى من شهود تعلق القدرة لأنه أعم وتعلق القدرة أخص لأن محلها الممكنات لا غير.

---

(1) قُطّان: جمع قاطن: ساكن.

(2) التلوين: تلوُّن العبد في أحواله. وعلامة الحقيقة التلوين، لأن التلوين ظهور قدرة القادر ويكتسب منه التغيُّر. ومعنى التلوين التغيير.

يقول ابن عربي: التلوين مقام ناقص عند أكثر العرفاء ولكنه عندنا هو أكمل المقامات. نقيضه التمكين.

(3) الشهود: هو رؤية الحق بالحق، وقيل الشهود أن يرى العبد حظوظ نفسه، وتقابله **الغيبة** وهي أن يغيب عن حظوظ نفسه فلا يراها. **ووحدة الشهود**: أن لا تشاهد إلا الله فيما تطالعه من أشياء.

الأَوانِسُ المزاحِمات

1 ـ وَزَاحَمَني عندَ استِلامي أوانِسٌ أتـيـنَ إلى التَّطْوافِ مُعتَجِراتِ

2 ـ حَسرنَ عن أنوارِ الشُّموسِ، وقلن لي: تَورَّعْ، فَموتُ النفس في اللحظاتِ

3 ـ وكم قد قَتلنا، بالمُحصّبِ مِن مِنًى نُفوساً أبيّاتٍ لدَى الجَمَراتِ

---

1 ـ **يقول**: لما امتدت اليمين المقدسة إلي لأبايعها البيعة الإلهية، من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: 10] جاءت الأرواح الحافون من حول العرش يسبحون بحمد ربهم ويطلبون يبايعونه هذه البيعة في هذه الحال التي أقمت فيها. وسماهم أوانس لوقوع الأنس بهن وأنثهم لأن اللفظة التي تطلق عليهم تقتضي التأنيث وهو الملائكة والجنة ولهذا جعلهم من جعلهم بنات وإناثاً. **وقوله**: معتجرات، أي غير مشهودة له سبحات وجوههم لأنهم غيب لنا لا نراهم.

2 ـ **يقول**: ظهرن له وارتفع الحجاب فسطعت أنوارهن لعينه مثل الشموس. واختص ذكر الحافين حول العرش لمناسبة الطائفين فإنهم حافون من حول الكعبة، وقوله: تورَّعْ، يقول: اجتنب الملاحظة لئلا تذهب بنور بصرك المقيد، كما جاء: «**لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه**».

فيقول: هذه الأرواح تقول له لا تنظر إلينا فتعشق بنا حالاً[1] ومقاماً، وأنت إنما خلقت له لا لنا، فإن احتجبت بنا عنه أفناك عن وجودك به فمت فتكون عليك لحظة مشؤومة. فنصحوه بقولهم: تورّعْ، تنبيهاً.

3 ـ **يقول**: كم من نفس أبية، يعني بالنفوس الأبية التي تحب معالي الأمور، وتكره مذام

---

(1) الحال: ما يرد على القلب أو يحل به من كرب أو حزن أو بسط أو قبض. وتسمّى الحال بالوارد أيضاً قالوا: لا ورد لمن لا وارد له.

4 - وفي سَرْحةِ الوادي وأعلام رامةٍ وجمعٍ، وعندَ النَّفْرِ من عَرَفاتِ

5 - ألَمْ تَدْرِ أنّ الحُسنَ يسلُبُ مَن لهُ عَفافٌ، فيُدعى سالبَ الحَسَناتِ

6 - فمَوْعِدُنا بعدَ الطَّوافِ بزَمْزَمٍ لدى القُبةِ الوُسطى لدى الصَّخَراتِ

الأخلاق والتعلق بالأكوان، ومع هذا حجبهم وتيمهم جمال الأكوان في أوقات[1] ما وفي مقامات ما فتحفظ لئلا تلحق بهم.

ولم يريدوا أنفسهم خاصة بهذا الخطاب فإن هؤلاء الأرواح ما لهم دخول في المحصب ولا غيره فإنهم حافون وليس لهم مناسبة إلا مع الطائفين وإنما تعني أمثالها من الأرواح في كل مقام، كما قال: ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الروم: 28] يعني أمثالكم، لا يريد عين نفس الخائف.

4 - **يقول**: في هذه المواطن المذكورة كلها ماتت نفوس أبيات كانت تزعم أن لا تعلق لها ولا تعشق إلا بالنور المحض المطلق فلما تجلى عند مفارقتها ظلمة الطبيعة والهباء وارتفعت عن حضيضها إلى أنوار الروحانيات العلى في هذه المواطن وأمثالها بهرها حسن ذلك النور وجماله وبهاؤه فوقفت معه عن مقصودها لجهلها به، فلا تكن مثلهم فتندم.

5 و6 - **يقول**: إن الجمال محبوب لذاته ومن ملكه شيء، كان لما ملكه. والحسنة مشتقة من الحسن، والحسن معشوق لذاته، والحسنة ما لها قوة الحسن، فإنها معنوية من باب الإيمان غيب في الشهود وهو من نتائج الأعمال الشاقة وتحمل المكاره، فهي نتائج مضافات ومكاره، فلهذا كان الحسن المشهود غالباً عليها حاكماً على من شاهده، فلهذا يقال له: سالب الحسنات لا يتركك التلذذ بمشهد الحسن فيمن كان يفعل إلا ما يشير به حامل ذلك الحسن، وقد يشير بما يحول بينك وبين معالي الأمور من حيث التوصل إليها لا من حيث هي، فإن التوصل إليها بالمكاره، كما قال ﷺ: «**حُفَّت الجنة بالمكاره**»[2]؛ وكما رأى بعض المشاهدين معروفاً في النار في وسطها وقد حفت به وكانت المكاره التي حازها إلى مكانه الذي رآه فيه يشير له في كشفه أنه لا يصل إلى

---

(1) الوقت: هو حال العبد في زمان الحال: لا تعلق له بالماضي ولا بالمستقبل والصوفيّ ابن وقته. ومن ناكده الوقت فالوقت عليه مقت. الموسوعة الصوفية، ص1007.

(2) متفق عليه. وفي رواية البخاري: «حجبت» بدل «حفّت».

7 – هُنالكَ مَنْ قدْ شفّهُ الوَجدُ يَشتفي   بِــمــا شــاءَهُ مــن نِــسْــوَةٍ عَــطِــرَاتِ
8 – إذا خِفنَ أسدَلنَ الشعورَ فهنّ من   غَـدائِـرِهَـا فـي أَلْـحُـفِ الـظُّـلُـمـاتِ

مقامه إلا بعد أن يخوض غمرات تلك النيران، ثم قال: فموعدنا بعد الطواف بزمزم (البيت بكماله).

يقول: تقول له هذه الروحانيات أشهدناها من مقامات الحياة التي نحن لها فإنها أرواح والمناسبة بينها وبين الماء الحياة. وقوله: لدى القبة الوسطى، يعني البرزخ[1] لدى الصخرات.

يقول: تنزل المعاني النفيسة في القوالب المحسوسة، وكنى عنها بالصخرات التي هي الجمادات الخالية للعبادة والعرف. أي أن هذه الأرواح في هذه الصور الخيالية معان لا ثبات لها فإنها سريعة الزوال من النائم باليقظة ومن المكاشف بالرجوع إلى حسه كما أن النساء اللواتي يصلن إلى ذلك الموضع إنما يعمرنه ساعة ثم ينصرفن إلى أماكنهن، فلهذا أوقع التشبيه بذلك.

يقول: لا تغتر بتجلي حسن الأكوان العلوية والسفلية لعينك فإنه كل ما خلا الله باطل: أي عدم مثلك فكأنك ما زلت عنك فكن له ليكون لك لا تكن لك فقد نصحوا، صلوات الله عليهم.

7 – **يقول**: في عالم البرزخ يشتفي من أراد التلذذ بالمعاني القدسية في القوالب الحسية من عالم الأنفاس والأرواح، وسبب ذلك الجمع بين الصورتين المعنى والصورة فليلتذ عيناً وعلماً.

8 – **يقول**: هذه الصور الجليلة إذا خفن في تجسدهن من تقييدهن بالصورة عما هي عليه من الإطلاق أشعرنك بأنهن حجاب على أمر هو ألطف مما رأيت فعندما تحس أنت بذلك الشعور ارتفعت همتك لذلك فانسترت عنك فأخلين الصور واسترحن من التقييد وانفسحن في مراتبهن المنزهة.

---

(1) البرزخ في اللغة: الحاجز بين الشيئين. وعند المتصوفة: الروح الأعظم وعالم المُثل؛ لأنه يحول بين الأجسام الكثيفة والروح المجردة والشيخ والمرشد، وهو حدّ بين الجنة والنار.

ربوعٌ دارِسَةٌ وهوًى جديد

1 - درَسَتْ رُبوعُهُمُ، وإنّ هواهمُ أبداً جديدٌ بالحَشَا ما يَدْرسُ

2 - هَذي طلولُهُمُ، وهذي الأدمعُ ولِذِكرِهم أبداً تَذوبُ الأنفُسُ

3 - ناديْتُ خَلْفَ رِكابِهِمْ مْن حُبّهِمْ: يا مَن غِناهُ الحُسنُ! ها أنا مُفلِسُ

---

1 - **يقول**: إن محال الرياضات[1] والمجاهدات التي هي منازل الأعمال تغيرت للسن وعدم قوة الشباب ، واختص ذكر الربع دون الطلل والرسم والدار والمنزل ليكون له اشتقاق من زمن الربيع الذي هو بمنزلة الشباب من عمر الإنسان، فإن التغيير إنما لحق قوة الشباب وريعانه، وكنى عن النفس التي هي محل الهوى بالحشا لأنها كالمحشوة في البدن، أي هو حشو فيه ولذا قال: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة: 83]، يعني عند خروجها بالموت، فنقول: إن هواهم بالنفس ما يتغير بل هو على غضاضته وطراوته لأنه قائم بذات غير طبيعية.

2 - **يقول**: هذه طلولهم، **يقول**: أشخاص منازلهم، كأن الشخص هو الطلل، وهو من طل إذا بدأ يظهر، ومنه الطل الذي هو أول نشء المطر، فهو ضعيف، وهذه الأدمع مناسبة للطلل لاشتقاقه من الطل، أي يبكي على التقصير لعدم مساعدة الآلات فيما يريده من الطاعات. وقولهم: ولذكرهم، وهو حنين العارفين في نهايتهم إلى موطن بدايتهم وأنه ليس شيء أعظم لذة من البداية.

3 - **يقول**: لما رحلت قوى الشباب وملذوذات البداية في الفترة والحيرة والهمم تزعج والمركب غير مساعد بقيت في صورة المفلس الذي يرى أطايب الملذوذات ويدخل سوق النعيم والشهوات وما له درهم يصل به إلى نيل شهوة من شهواته. والضمير في «غناه» يعود إلى عصر الشباب وإلى عصر البدايات فهو متوجه لهما، ونسب إليه الحسن لكونه معشوقاً، فإن الحسن معشوق لذاته في كل شيء ظهر.

---

(1) الرياضة: هي أنواع: رياضة أدب: وهي الخروج عن طبع النفس، ورياضة طلب: وهي صحة المراد له. والرياضة عبارة تهذيب الأخلاق النفسيّة. الموسوعة الصوفية، ص775.

4 - مَـرّغْـتُ خَـدّي رِقَـةً وصـبَـابَـةً   فـبِـحَـقّ حَـقّ هَـواكُـمُ لا تُـؤيِـسـوا
5 - مَن ظَلّ فـي عَـبَرَاتِه غَـرِقاً وفـي   نـارِ الأسَـى حَـرِقـاً ولا يـتـنَـفّـسُ
6 - يـا مُـوقِـدَ الـنـارِ الـرُّوَيـدا! هـذهِ   نـارُ الـصّـبابَـةِ شَـأنـكُـمْ فَـلْـتـقـبِـسـوا

---

4 - **يقول**: مرغت خدي رقة وصبابة، يشير إلى نزوله لحقيقة من الذل والافتقار طلباً للوصال، فإن الحق يقول: تقرب إلي بما ليس لي هو والذلة والافتقار. والصبابة: رقة الشوق، فإذا كانت الذلة بضرب من المحبة هي أمكن في الوصلة من الذلة بلا حب. **وقوله**: رقة؛ يشير إلى حالة اللطف(1) والارتقاء عن عالم الكثافة. وجعل للهوى حقاً يقسم به لكونه ذا سلطان لأنه من العالم العلوي، ولهذا سمي سقوطه فقيل فيه هوى أي سقط.

5 - **يقول**: إن حالته مترددة بين عبرته وزفرته. فكنى بالعبرة من الاعتبار الذي هو الجواز عن حالة النجاة له إلى الهلاك فيه وهو الغرق. وكنى بالزفرة عن نار الأسى. أي مقام الحزن وحرارة الشجن ولا نفس رحماني بارد يثلج به الفؤاد فيبرد حرارة الحزن لفوت المحزون عليه بمشاهدة ما عن عناية إلهية ولا منج يأخذ بيده ليخلص من الغرق في بحر الدموع من كونها عبرات فلا يجوز إلى شيء من شيء بل يشهده في كل شيء، فإن التفرقة للمعارف من حيث المشهود شديدة.

6 - يخاطب كل طالب نار فيقول له: لا تتعن في طلب نار بوجودي، فهذه نار الشوق في كبدي ظاهرة فخذ حاجتك منها، أي انتقل إلى النار اللطيفة التي هي حالة موسوية منشأ لطلب نار لأهله يصلح به عيشهم، فنودي من حيث طلبهم في نار يسرع بالإجابة من غير انتقال من حال إلى حال، وكان التغيير في النارين لما في الطلب، فإن أوحد الهمة لأنه ما تراءى له المشهود، إلا في صورة نارية متعلقة بشجرة وادية من التشاجر، وهو مقام تداخل المقامات لأنه مشهد للكلام والكلام متداخل المعاني على كثرتها فأشبه الشجرة فنودي من الشجرة هذا المعنى وفي النار لأنها مطلوبة فلا يتغير عليه حال.

---

(1) اللُطف: الرفق والرِّقة واللين.

رعودٌ بينَ الضلوعِ

1 - لَمَعَتْ لَنَا بالأبْرَقَينِ[1] بُرُوق قَصَفَتْ لها بينَ الضّلوعِ رُعودُ
2 - وهَمَتْ سحائِبُها بكلِّ خمِيلَةٍ وبكلِّ مَيّادٍ عليْكَ تَمِيدُ
3 - فجرَتْ مَدامِعُها، وفاحَ نسيمُها وَهَفَتْ مُطَوَّقَةٌ وَأوْرَقَ عُودُ

1 - **الأبرقين**: مشهدين للذات، مشهد في الغيب ومشهد في الشهادة، فالغيب غير متنوع لأنه سلبي، والشهادي متنوع لأنه في الصور. **وقوله**: بروق، لتنوع الصور فيه، وكنى عنها بالبروق لسرعة زوالها وجاء بالرعد بعده الذي هو الصوت عبارة عن مناجاة إلٰهية حصلت. عقبت هذه الشهود حالة موسوية تراءى له عن النار التي هي كالبرق ثم نوجي فأعقبه الكلام فكنى عنه بالرعد لأجل البرق ولأنها مناجاة زجر.

2 - **الخميلة**: الروضة وهي قلب الإنسان بما يحمله من المعارف الإلهية. والسحاب هنا هي الأحوال التي تنتج المعارف، وهمت: سحت وسكبت عن المطر. وذكر السحاب لتضمنها مع قوله همت فاستغنى. وكذلك الخميلة فهي مطر في السحاب وأزهار في الرياض. وكنى بالغصن في هذه الروضة يعني الحركة المستقيمة التي هي نشأة الإنسان من قوله: **«خلق آدم على صورته»**[1]، **فمن هذا المقام يميد أي يميل عليك ليفيدك.**

3 - **يقول**: سالت أودية معارفها ونم عالم الأنفاس بما تحمله من طيب أعراف أزهار المعارف الإلٰهية بحسب مشام الطالبين. والمطوقة إشارة إلى النفس الكلية بالأثر الذي لها في النفس المروية التي ظهرت على صورتها في كونها ذات قوتين: علامة وفعالة. **وقوله**: وأورق عود، الذي هو لباس الأغصان

(1) الأبرقان: تثنية الأبرق، وهو في الشعر إنما يقصد به: أبرقي حجر اليمامة وهو منزل على طريق مكة من البصرة. وقيل: هما ماء لبني جعفر. قاله الزمخشري. انظر: معجم البلدان، 1/ 64.

(2) **«خلق الله آدم على صورته»** أخرجه الشيخان، وأحمد في المسند. بزيادة «وطوله ستون ذراعاً». وانظر كشف الخفاء: 1/ 376.

4 - نَصَبوا القِبابَ الحُمْرَ بين جداولٍ مـثـلِ الأسـاوِدِ، بـيـنـهـنّ قُـعـودُ
5 - بِيضٌ أوانسُ كالشموسِ طوالِعٌ عِـيـنٌ كـريـمـاتٌ عَـقـائـلُ غِـيـدُ

يقول: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: 31] فإن زينة الله غير محرمة علينا والتي وقع الذم عليها زينة الحياة الدنيا أي الزينة القريبة الزوال أي لا تلبسوا من الملابس إلا ما يكون دائماً كملابس العلوم والمعارف فإنها لا تَخلَق[1]، ولهذا قال: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: 26]، يعني المعلم الذي ألبسك التقوى، من قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: 282].

4 - أشار بالقباب الحمر إلى حالة الإعراس بالمخدرات؛ يريد الحكم الإلٰهية. والجداول فنون العلوم الكونية التي متعلقها الأعمال الموصلة، أي هذه الحكم، وشبهها بالأساود وهي الحيات لمشيها على بطونها، فإنه قال تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ﴾ [النور: 45] يشير إلى الباحثين من أهل الورع عن أغذيتهم، فإنه بطيب المطعم على الوجه المشروع الذي يحدث القوى لاستعمال الطاعات يتنور القلب فتتنزل هذه الحكم الإلٰهية التي قال عنها: إنهن قعود بين هذه الجداول في القباب الحمر، فتنبه لما أشرنا إليه ثم أخذ يصف مراتبهن في البيت بعده

5 - وصفهن بالبياض أي لا شك فيهن مثل النصوص كما قال: ترون الشمس بالظهيرة ليس دونها سحاب، أي هي من الوضوح بحيث أن لا يدخل فيها شك لمن ينظر إليها. وقوله: «أوانس»، يتونس بهن من الأنس والنظرة والنظر فيها، أي يبصرهن كما جاء في الخبر الإلٰهي: **«كنت بصره الذي يبصر به»**[2].

وقوله: **كالشموس**، في الرفعة ومقام القطبية[3] وارتفاع الشكوك وإعطاء المنافع في المولدات. والطوالع المستشرفات على القلوب الطالبة لها المتشوقة لنزولها عليها وظهور

(1) تخلق: تبلى.

(2) صحيح البخاري. رقم (6137).

(3) القطبية: مرتبة قطب الأقطاب، وهي باطن نبوة محمد ﷺ ولذلك لا تكون إلا لورثته لاختصاصه ﷺ بالأكملية: فلا يكون خاتم الولاية وقطب الأقطاب إلا على باطن خاتم النبوة. الموسوعة الصوفية ص 914.

. . . .

أنوارها فيها. **والعِين**: الواسعات النظر، يريد قوة النور والكشف[1]. **والكريمات**: الطيبات الأصول، أي أنها على نتائج الأعمال المشروعة التي نصبها الحق ما هي مثل حكم الفلاسفة التي هي نتائج أوضاعهم ويعرف ذلك أصحاب الذوق، والعقائل مشتقة من العقل، أي هن ممن يعقلن ما يلقى إليهن ويعرفن مقداره ويميزنه فيكون تنزلهن على ذلك القدر والحد.

وقوله: غيد، أي مائلات لمن نزلت عليه بضرب من الحنو، فإن الميل حنو، يشير إلى مقام الحنان والرأفة والعطف والمحبة والرغبة، والميل لا يكون إلا من استواء فيشير إلى أنهن من حيث هن في مقام الاستواء والاعتدال وعدم الالتفات وإذا استدعوا بالسؤال والرغبة والتواضع والشوق والمحبة ملن عن ذلك الاستواء إلى المنادي لما لم يكن في قوته العروج إليهن فكان منها النزول.

(1) الكشف: الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً.
قال ابن عربي.

العلم أشرف ما يؤتيه من منح والكشف أعظم منهاج وأوضحه
فإن سألت إله الحق في طلبٍ فسله كشفاً فإن الله يمنحُهُ

انظر: الموسوعة الصوفية، ص924 - 925.

لا تعجبي!

1 - إني عجِبْتُ لَصبّ مِن محَاسِنِهِ   تـخـتـالُ مـا بـيـنَ أزهـارٍ وبُـسـتـانِ
2 - فقلتُ: لا تَعجبي ممّن ترَين، فقَد   أبـصـرْتِ نَـفـسَـك فـي مِـرآةِ إنْـسـانِ

---

1 و2 - قالت، يعني الحضرة الإلهية: عجبت لصب، يعني المائل إليها بالمحبة، ووصفها بالتعجب من باب قول النبي، ﷺ: **«إن الله يتعجب من الشاب ليست له صبوة»**. وقوله: من محاسنه تختال ما بين أزهار وبستان، يعني بالأزهار الخلق، والبستان المقام الجامع وهي ذاته. ووصفه بالخيلاء مناسبة لقولها عجبت، ومن باب قول عتبة الغلام لما أخذ يختال ويتيه في مشيته فقيل له في ذلك فقال: وكيف لا أتيه وقد أصبح لي مولى وأصبحت له عبداً! وإذا تحقق العبد بالحق تحقق كنت سمعه وبصره وتحقق أن يكون كله نوراً فجميع ما ينسب إلى الحق إذا انتسب إليه يستحقه ذلك المقام. ثم أعاد القول هذا المحب على الحضرة فقال: لا تعجبي ممن ترين فإني لك كالمرآة وهذه أخلاقك التي تخلقت بها فنفسك أبصرت لا أنا ولكن في إنسانيتي القابلة لهذا التجلي فهي لها كالبستان وهذا مقام رؤية الحق في الخلق. وعند بعضهم: مقام رؤية الحق في الخلق أعلى من مقام رؤية الخلق في الحق. وسر هذين المقامين عجيب، فإن الناس في حال نعيمهم في الجنة وتصرفاتهم هو في مقام رؤية الخلق في الحق فلهم الاقتدار وهم في الكثيب في رؤية الخلق في الحق وبتلك الصفة يرجعون إلى الجنة، والأمر على الحقيقة رؤية حق في حق لأنهم يشهدونه في الكثيب.

تناوحتِ الأرواحُ

1 - ألا يا حَمامـاتِ الأراكَـةِ والبَـانِ   تـرَفَّقْنَ لا تُضْعِفْنَ بالشجوِ أشجاني

2 - تَرفَّقْنَ لا تُظهِرنَ بالنّوح والبُكا   خفيَّ صَبـاباتي ومكنونَ أحـزانـي

1 - أراد بالحمامات: واردات التقديس والرضى والنور والتنزيه، فالتقديس والرضى للأراكة لأنه شجر يُستاك به وهو مطهرة للفم ومرضاة للرب[1]، والنور والتنزيه للبان من حيث الدهن ومن حيث البعد. كما قال: فكانت البان، أي كانت سليمى.

فقال للواردات[2] رفقاً علي لا تضعفن من التضعيف ما تلقين إلي في خطابكن من ثمرات التعشق والمحبة المهلكة للمحبين، أي خطابكن يشجي ويضاعف شجوي وقد يكون من الضعف أي شجوي يضعف لشجوكن، من باب قوله: **«من تقرب إلي شبراً تقربت منه ذراعاً»**[3].

2 - يخاطب الواردات التي ذكرناها، **يقول**: لا تظهرن بالنوح التي هي المقابلة في الشجو والبكاء إرسال المدامع لسبق المقدور وعدم تبدله. وقد رأيته في مشهد من المشاهد يبكي على ما سبق في العلم من شقاء الدجال وأبي لهب وأبي جهل، من باب قوله تعالى: **«ما ترددت في شيء كترددي في قبض روح عبدي المؤمن وهو يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له من لقائي»**. فمن هذا المقام يكون هذا البكاء. وقوله: خفي صباباتي، ما تنطوي عليه الضلوع من رقة الشوق للمنظر الأجلى. ومكنون أحزاني ما تستره من ألم الفقد عند رجوعها إليها.

(1) انظر الأحاديث الواردة في فضل السواك، في صحيح البخاري، رقم (243) و(847) و(848).

(2) **الواردات**: جمع وارد: كل ما يرد على القلب من المعاني الغيبية من غير تعمّد من العبد. الموسوعة الصوفية، ص995.

(3) صحيح البخاري رقم (697).

3 - أُطارحُها عندَ الأصِيلِ وبالضحى بـحَـنّـةِ مُـشْـتـاقٍ وأنّـةِ هَـيْـمـانِ
4 - تَناوَحَتِ الأرواحُ في غَيضَة الغَضا فـمـالَـت بـأفـنـانٍ عـلـيّ، فـأفْـنـانـي
5 - وجاءت من الشوْق المبرّح والجوَى ومـن طُـرَفِ الـبَـلْـوَى إلـيّ بـأفْـنَـانِ

3 - **يقول**: أطارحها أقول مثل ما تقول. يشير إلى حالة الصدى الذي هو رد الصوت إليك بما يخرج منك. قال الله تعالى للنفس أول ما خلقها: من أنا؟ قالت له من أنا لصفائها، فأسكنها في بحر الجوع أربعة آلاف سنة فقالت له: أنت ربي. وقوله: عند الأصيل وبالضحى، وهما طرفا النهار، وهو قوله تعالى: ﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [آل عمران: 41] وقوله: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: 130]، فهو المقدس نفسه بنفسه ويظهر الأثر في غيره فينسب إليه الأمر وهو ليس هناك لأنه به يتكلم وبه يسمع وبه يبصر. وقوله: تحية مشتاق وأنة هيمان، من قوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: 54]. فمن هذا المقام تكون المطارحة بين من ذكرنا والحنين للاشتياق والأنين للهيمان.

4 - **يقول**: تقابلت الأرواح، جمع روح، وإذا أراد جمع ريح فيريد عالم الأنفاس. وكنى عن نيران الحب بالغضا[1]، والغيضة شجرة، ووصفها بالميل، فإن لهيب النار الذي هو المارج فإنها للنار بمنزلة الأغصان للشجر فتميلها الرياح كما تميل الأغصان، فمن هنا أوقع التشبيه لها بالغيضة والأفنان.

قال: وكان ميل هذه الأفنان الشوقية اللهبية لتغنيني عني حتى يكون هو ولا أنا غيرة على المحب أن يكون له وجود في نفسه لغير محبوبه فكان كما أراد فقال: فأفناني ميل هذه الأفنان، ووصفها بالمناوحة لكون المحبة تقتضي الجمع بين الضدين.

5 - **يقول**: ساقت معها إلي فنوناً كثيرة من الشوق المبرح، أي المظهر، لما يكنه جناني[2] من هواه والجوى الذي هو الانفساح في المحبة لأنه على الحقيقة مأخوذ من الجو. ومن طرف جمع طرفة وهي أوائل كل طرفة، وأول كل بلاء أصعبه فإذا سكنت إليه النفس هان عليها. والبلوى من الابتلاء. أي ساقت إلي أوائله التي هي أصعبها.

(1) الغضا: ضرب من الشجر.
(2) الجَنان: القلب.

6 – فمَن لي بجمعٍ والمحصَّب من مِنًى ومَن لي بِذاتِ الأثْلِ، مَن لي بنَعمان
7 – تَطوفُ بقلبي ساعةً بعد ساعَةٍ لِوَجدٍ وتبريحٍ وتَلثُّمُ أركاني
8 – كما طافَ خيرُ الرُّسلِ بالكعبةِ التي يقولُ دليلُ العقْلِ فِيها بنُقصَانِ
9 – وقبّلَ أحجاراً بها، وهو ناطقٌ وأينَ مقَامُ البيتِ مِن قدرِ إنسانِ
10 – فكَم عَهِدَتْ أن لا تحولَ وأقسمتْ وليس لمخضوبٍ وفاءٌ بأيمانِ

---

6 – **يقول**: من لي بالجمع بالأحبة في مقام القربة وهي المزدلفة. والمحصَّب موضع تحصيب الخواطر[1] المانعة من قبل هذه النية المطلوبة للمحبين. ومن لي بذات الأثل الذي هو الأصل، فإن الأصل في المحبة أن تكون أنت عين محبوبك وتغيب فيه عنك فيكون هو ولا أنت. من لي بنعمان أي بهذا المقام الذي يكون به النعيم الإلٰهي القدسي.

7 – **شرح البيت الأول**: أي تتكرر عليه مع الأنات لتقلبه هو في الحالات ولذلك جاءه بالقلب ولم يقل بالنفس ولا بالروح. وقوله: «لوجد وتبريح»، من أجل إلقائها في الوجد بها والشوق المزعج إليه. «وتلثم أركاني» يعني الأركان الأربعة التي قام عليها هذا الهيكل، وتلثمه أي تقبله فوق اللثام يعني الحجاب، فإنه ما في قوته مشاهدتها إلا بواسطة وقد طافت بقلبه فقد غمرت ذات المحب حساً ومعنى هذه الحقائق.

8 – 10 – **يقول**: هذه الواردات قد يكون منها ما فيه امتزاج بالمزاج، فكنى عما فيها منها بالمخضوب ولهذا وصفها بعدم الوفاء، وتسمى هذه واردات نفسية وهي التي وردت على النفس حين خاطبها الحق: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 172]، وأخذ عليها العهد والميثاق، ثم بعد ذلك لم تثق بمقام التوحيد له بل أشركت على طبقاتها فإنه ما سلم من هذا الشرك أحد فإن كل أحد قال: أنا فعلت، وقال على حين غفلة من مشاهدة القائل: فيه وبه من هو.

---

(1) الخواطر: جمع خاطر: تحريك السر لا بداية له وإذا خطر القلب فلا يثبت. الخاطر الصحيح أول الخاطر. أي أول ما يخطر من الخواطر.
ومعنى الخاطر: ما لا يكون للعبد نسبة في ظهوره في الأسرار وله أنواع كثيرة. انظر الموسوعة الصوفية، ص729 – 730. والرسالة القشيرية، ص83.

11 - ومن عَجَبِ الأشياءِ ظَبْيٌ مُبَرْقَعٌ يُشيرُ بعُنّابٍ، ويومي بأجفانِ
12 - ومَرعاهُ ما بينَ التّرائبِ والحَشَا ويا عَجَباً من روضةٍ وَسطَ نيرَانِ

11 - **يقول**: من أعجب الأشياء ظبي، يريد لطيفة الإلهية، مبرقع.

يقول: محجوب بحالة نفسية وهي أحوال العارفين المجهولة، فإن العامة تظهر بما تظهر به الطائفة المحققة من الصور بخلاف أصحاب الأحوال ولا يتمكن التصريح من أهل هذا المقام بأحوالهم فإنهم يكذبون لعدم الشاهد ولكن يعرفون بالإشارة والإيماء عند بعض الذائقين لأوائل أحوالهم. وأراد بالعناب هذا ما أراده بالمخضّب في اليد قبله والإيماء بالأجفان.

يقول: أدلة النظر في أحكام أصحاب هذا المقام يقوم للذائقين لأوائله فتقع المعرفة لهم فيهم أنهم وإن اشتركوا مع العامة في صورة الحكم الظاهر فهم بائنون في أسرارهم في أصلها فشتانٍ بين من ينطق بنفسه وبين من ينطق بربه واللسان واحد عند السامع في الشاهد.

12 - **يقول**:

«ومرعاه بين الترائب والحشا».

من العلوم التي في صدره. والحشا: ما حُشي به باطنه وقلبه من الحكم والإيمان. كما قال وضرب بيده إلى صدره: إن هاهنا لعلوماً جمة[1] لو وجدت لها حَمَلة. ثم أخذ يتعجب من محب أحرق بنيران المحبة والاشتياق كيف لم تحرق ما يحمله من الحكم والعلوم التي بين ترائبه وفي حشاه، ووصفه بالروضة لاختلاف أزهارها وأثمارها، فإن فنون العلوم كثيرة متنوعة ومن شأن النار إذا تعلقت بالأشجار أحرقتها، وهذه علوم محمولة في هذا الشخص ونار الحب متأججة في ذاته فكيف لم تذهب بهذه العلوم فلا يبقى لديه علم أصلا؟

والجواب عن هذا أنه منه تكون وإذ تكون شيء عن شيء لم يعدمه ذلك الشيء. كما يقال في السمندل: إن كان حقاً أنه حيوان يتكون في النار فلا تعدو عليه. ولما كانت هذه العلوم والمعارف نتائج عن نيران الطلب والشوق إليها لم تغن بها.

(1) جمّة: كثيرة.

13 - لقد صارَ قلبي قابلاً كلَّ صورَةٍ   فمَرْعًى لغِزْلانٍ، وديرٌ لرُهبانِ

14 - وبيتٌ لأوْثانٍ وكعبةُ طائفٍ   وألواحُ تَوْراةٍ، ومُصْحَفُ قُرآنِ

15 - أدينُ بدينِ الحُبّ أنّى توَجّهتْ   رَكائِبُهُ، فالحُبُّ ديني وإيماني

---

13 - لقد صار قلبي قابلاً كل صورة.

كما قال الآخر:

«ما سمي القلب إلا من تقلبه».

فهو يتنوع بتنوع الواردات عليه وتنوع الواردات بتنوع أحواله وتنوع أحواله لتنوع التجليات الإلٰهية لسره، وهو الذي كنى عنه الشرع بالتحول والتبدل في الصور. ثم قال: «فمرعى لغزلان»، أي إذا وصفناه بالمرعى كنينا عن السارحين فيه بالغزلان دون غيرها من الحيوانات لأن كلامنا بلسان الهوى وبالغزلان يقع التشبيه بالأحبة للمحبين في هذا اللسان، ولا شك أن عين الفرس سوداء متسعة ولكن ما وقع التشبيه إلا بعين الغزلان.

وقوله: ودير لرهبان، **يقول**: إذا جعلناهم رهباناً من الرهبانية جعلنا القلب ديراً للمناسبة لأنه منزل الرهبان وموضع إقامتهم.

14 - **يقول**: وهذا القلب صورة بيت الأوثان، لما كانت الحقائق المطلوبة للبشر قائمة به التي يعبدون الله من أجلها فسمي ذلك أوثاناً. ولما كانت الأرواح العلوية حافة بقلبه سمى قلبه كعبة، وهي الأرواح المذكورة له، إذا مسه طائف من الشيطان فهن أصحاب اللمات الملكية. ولما حصل من العلوم الموسوية العبرانية جعل قلبه ألواحاً لها. ولما ورث من المعارف المحمدية الكمالية جعلها مصحفاً وأقامها مقام القرآن لما حصل له من مقام **«أوتيت جوامع الكلم»**[1].

15 - يشير إلى قوله: ﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 31] فلهذا سماه دين الحب ودان به ليتلقى تكليفات محبوبه بالقبول والرضى والمحبة ورفع المشقة والكلفة فيها بأي وجه كانت، ولذا قال: «أنى توجهت» أي أية سلكت مما يرضي ولا يرضي فهي كلها مرضية عندنا. وقوله: «فالحب ديني وإيماني»، أي ما تم دين أعلى من دين قام على

---

(1) انظر صحيح البخاري، رقم (2815).

16 - لنا أُسْوَةٌ في بِشرِ هندٍ وأُختِهَا   وقيسٍ ولَيلى، ثمّ ميّ وغَيلانِ

المحبة والشوق لمن أدين له به وأمر به على غيب. وهذا مخصوص بالمحمديين فإن محمداً ﷺ، له من بين سائر الأنبياء مقام المحبة بكمالها مع أنه صفي ونجي وخليل وغير ذلك من معاني مقامات الأنبياء وزاد عليهم أن الله اتخذه حبيباً أي محباً محبوباً وورثته على منهاجه.

16 - ذكر المحبين في عالم الكون المهيمين بعشق المخدرات في الصور من الأعراب المتيمين. ويعني بأختها جميل بن معمر مع بثينة وبياض ورياض وابن الدريج ولبنى وغيرهم.

يقول: الحب من حيث ما هو حب لنا ولهم حقيقة واحدة غير أن المحبين مختلفون لكونهم تعشقوا بكون وإنا تعشقنا بعين والشروط واللوازم والأسباب واحدة فلنا أسوة بهم، فإن الله تعالى ما هيم هؤلاء وابتلاهم بحب أمثالهم إلا ليقيم بهم الحجج على من ادعى محبته ولم يهم في حبه هيمان هؤلاء حين ذهب الحب بعقولهم وأفناهم عنهم لمشاهدات شواهد محبوبهم في خيالهم، فأحرى من يزعم أنه يحب من هو سمعه وبصره ومن يتقرب إليه أكثر من تقربه ضعفاً.

شموسٌ في صورةِ الدمى

1 - بذي سَلَمٍ والديرِ من حاضرِ الحِمى ظِباء تُريك الشمس في صُورَة الدُّمى
2 - فـأرْقُـبُ أفـلاكـاً، وأخْـدُمُ بِـيـعَـةً وأحـرُسُ رَوْضـاً بـالـرَّبـيـعِ مـنـمـنَـمـا

1 - ذو سلم مقام ينقاد إليه لجماله. **والدير**: حالة سريانية. «وحاضر الحمى» ما طاف بحجاب العزة[1] الأحمى. ثم شبه ما ينزل على روحه من الحكم الإلٰهية النبوية بالظباء في شرودها وملازمتها الفيافي التي هي مقام التجريد[2]، وبالشمس من نورها وشموسها وسريان منافعها. وبالدمى صور الرخام، وهي المعابد السريانية العيسوية، معارف لم يقترن معها عقل ولا شهوة فجعلها جمادية، فإن الجماد والملك مجبولان على المعارف من غير شهوة ولا عقل، والحيوانات فطرت على المعارف والشهوات، ورفع عنها الحرج في ذلك من جانب المطالبة الإلٰهية، والإنسان والجن فطروا على العقول والشهوة وجعل لهم القوة والفكرة وسائر القوى لتحصل المعارف فعقولهم لرد شهوات لا لإفشاء العلوم.

2 - فمن كون هذه المعارف شمساً قال: أرقب أفلاكاً، أي أرصد مجاريها التي تدور بها وفيها، وهي الحالات التي تظهر فيها هذه المعارف في باطنه.

ويقول: ومن حيث هي دمى أي صورة الرخام أخدم بيعة لأنها محل هذه الصور وهي المعابد السريانية العيسوية من مقام الكلمة والروح. ويقول: ومن حيث هي ظباء أحرس لها روضاً بالربيع منمنماً لتسرح فيه، وهي ميادين المعاملات والأخلاق الإلٰهية. والمنمنم: الموشى بضروب الألوان، أي أنها مزينة بالحقائق الإلٰهية، وجعل لها الربيع لأنه زمان استقبال الشباب لحداثتها وطروها، من قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن

(1) حجاب العزة: العمى والحيرة، إذ لا تأثير للإدراكات الكشفية في كنه الذات، فعدم نفوذها فيه حجاب لا يرتفع في حق الغير أبداً. الموسوعة الصوفية ص716.

(2) التجريد: خلو قلب العبد وسرّه عما سوى الله، بمعنى أن يتجرد بظاهره عن الأعراض، وبباطنه عن الأعواض الموسوعة الصوفية، ص678.

3 - فوقتاً أُسَمَّى راعيَ الظبي بالفلا ... ووقتاً أُسَمَّى راهباً ومنجِّما

4 - تثلّثَ محبوبي، وقد كان واحِداً، ... كما صَيّرُوا الأقنامَ بالذّاتِ أُقنُما

ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: 2] فهو أعشق للنفوس وأمكن في القبول لأن اللذة بالجديد الطارىء أعظم في النفس من ملازمة الصحبة، وفي هذا أسرار في حدوث نعيم الجنان مع الأنفاس وحدوث الأنفاس.

3 - **يقول**: من كوني أحرس الروض لهذا الظبي سُمّيت راعياً، ومن كوني أخدم البِيعة[1] من أجل الدمية سميت راهباً، ومن كوني أرقب الشمس في فلكها سميت منجماً.

والمقصد اختلاف الحالات عليه في باطنه فتختلف عليه الواردات الإلهية والعلوم بحسب ما تعطيه قوى هذه الأحوال بما وقع به التشبيه من هذه الأكوان، فهذه أذواق مختلفة وإن كانت العين واحدة في هذا كله، فهو من باب ما ذكره مسلم في كتاب الإيمان[2] من التحول في الصور بالعلامات على الاعتقادات، فمن عبده في الشمس رأى شمساً، ومن عبده في الحيوان رأى حيواناً، ومن عبده في الجمادات رأى جماداً، ومنهم من عبده ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11] رأى ليس كمثله شيء، فلهذا الباب يرجع ما ذكرناه.

4 - **يقول**: العدد لا يولد كثرة في العين كما تقول النصارى في الأقانيم الثلاثة[3] ثم تقول الإله واحد. كما تقول: باسم الرب والابن وروح القدس إله واحد. وفي شرعنا المنزل علينا قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ﴾ [الإسراء: 110] ففرق ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: 110] فوحد، وتتبعنا القرآن العزيز فوجدناه يدور على ثلاثة أسماء أمهات إليها تضاف القصص والأمور المذكورة بعدها، وهي: الله والرب والرحمٰن، ومعلوم أن المراد إله واحد وباقي الأسماء أجريت مجرى النعوت لهذه الأسماء، ولا سيما الاسم الله، فمن ذلك النفس هو ما ذكرناه في هذه الأبيات.

(1) البِيعة: معبد النصارى جمع بِيع.

(2) انظر كتاب الإيمان في صحيح مسلم، ص65، طبعة إحياء التراث العربي.

(3) الأقانيم الثلاثة عند النصارى: الأب، والابن، وروح القُدُس.

5 - فلا تُنكِرَنْ، يا صاحِ، قولي غزالةً تُضيءُ لِغِزْلانٍ يَطُفنَ على الدُّمى
6 - فلِلظَّبْيِ أجياداً، وللشمس أوْجُهاً وللدُّميْةِ البيضاءِ صَدراً ومِعْصَمَا
7 - كما قَد أعَرْنا للغُصُون مَلابساً وللرَّوْض أخلاقاً وللبَرق مَبسِما

5 - **يقول**: لا تنكروا هذا الليث مع كوني أريد عيناً واحداً. فإن لكل إشارة معنى مقصوداً، **والغزالة**: هنا اسم من أسماء الشمس، وقد ذكرنا القصد في البيت الذي يأتي بعده.

6 - **يقول**: فاتخذنا من الظبي عنقه، وهو إشارة إلى النور، من باب قوله ﷺ: **«المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة»**(1)؛ أي أنواراً. وللشمس أوجهاً من قوله ﷺ: **«ترون ربكم كما ترون الشمس»**(2). وللدمية البيضاء صدراً ومعصماً ما جاء في حديث الصدر وذراع الجبار.

7 - يريد بالغصون النفوس المهيمة بجلال الله تعالى التي أمالها الحب عن رؤية ذاتها ومشاهدة كونها. والملابس ما حملته من الأخلاق الإلٰهية. والروض مقام الجمع الذي أقامهم الحق فيه أخلاقاً للأنفاس الرحمانية العطرية النشرية الطيبة الريح، وهي الثناء الجميل، من باب **«أنت كما أثنيت على نفسك»** وللبرق مشهد ذاتي. مبسماً من قوله ﷺ: **«لله أفرح بتوبة عبده»**، ومن باب ما ذكره مسلم: **«إن الله يضحك»**، فالمخرج واحد.

والمقصد: وهذه قصيدة ما رأيت نفسها في نظم ولا نثر لأحد قبلي وهو مشهد عزيز ساعدتني على إبرازه عبارة لطيفة روحانية غزلية مشوقة كل بيت منها فيه تثليث.

(1) أخرجه ابن ماجه. رقم (725). **المعنى**: أكثر الناس تشوفاً إلى رحمة الله عزّ وجلّ.
(2) أخرج البخاري حديثاً بنحوه، انظر صحيح البخاري الحديث رقم (4305).

المطَوَّقةُ النائحة

1 - ناحَتْ مُطوَّقةٌ[1]، فحنّ حزينُ   وشَجاهُ تَرجيعٌ لها وحنينُ

1 - **يقول**: قابلت صورة ونفخت فيه من روحي المتولد عنه وهي اللطيفة الإنسانية. والتطويق المنسوب إليها، وهو ما أخذ عليها من الميثاق الذي طوقت به، فوصف بأن الكل بكاء على جزءيه بضرب من المقابلة، ولهذا جاء بالنوح ليجمع بين المقابلة بحالة البكاء. وقوله: فحن حزين، يريد الروح الجزئي الإنساني من هذا المعين. وقوله: وشجاه، أي أحزنه ترجيع، وهو ما أتت به من طيب نغمات الاستدعاء إلى الاتصال الذي هو الحشر الأول بالموت. والحنين من باب الرأفة والتعطف الذي للوالد على ولده. ومن الجزئي حنين الولد إلى والده والشخص إلى وطنه. وليس يريد هنا قوله: **«خلق آدم على صورته»**[1] من أجل الطوق وإن كان قد دخل المقام الأقدس تحت قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: 54]. وتحت قوله: **«فيمن جاء بالصلوات الخمس لم يضيع من حقهن شيئاً إن له عند الله عهداً»**، وقد أدخل الله سبحانه مع عبده نفسه في عهود منه منة وفضلاً لا إيجاباً ولكن ما هو مقصود في هذا البيت من أجل الحنين وإن كان سبق القضاء له أثر في الحكم. كما جاء التردد في قبض نفس المؤمن[2]. كما قلت في بعض قصائدي له:

يحنُّ الحبيبُ إلى رؤيتي   وإني إليه أشدُّ حنينا
وتهفو النفوسُ ويأبى القضا   فأشكو الأنينَ ويشكو الأنينا

وعلمي بأن أصحابنا من أهل هذا الشأن يعرفون ما أشرنا إليه في هذا الإيماء والإجمال أغنانا عن التفصيل والتصريح وعلم الله ما قيدت هذا القدر في هذا البيت إلا والحمى تنفضني في باطني مما أجده من قوة الوارد وازدحام تموج المعارف فيه ولا أقدر على

(1) المطوّقة: الحمامة.

(2) سبق الحديث عن تخريج هذا الحديث.

(3) الحديث «ما تردّدت في شيء كترددي في قبض روح عبدي المؤمن».

2 – جرَتِ الدّموعُ من العيونِ تَفَجُّعاً لحنِينِها، فكأنّهُنّ عيونُ
3 – طارحتُها ثُكلاً بفَقدِ وَحيدِها والثُّكلُ من فَقدِ الوَحيدِ يكونُ

إذاعة ما أجده مع القوة التي أعطاني الله على التعبير عنه وإيصاله إلى الأفهام القاصرة فأحرى ما فوقها من الأفهام، ولكن الغيرة الإلهية وحجاب العزة الأحمى المنصوب بين عيني منع من ذلك، وهذه نفثة مصدور.

2 – وصف الأرواح بالبكاء وجري الدموع وإن كانت هذه الأوصاف مما يتعلق بالعالم الطبيعي ولكن لما كان في قوة الأرواح التمثل في الصور الجسدية، كما قال تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: 17]، لذلك قبلت هذه النعوت الطبيعية.

وقد ورد في الخبر: «**إن جبريل وميكائيل يبكيان من خوف مكر الله**». وكان سبب هذا البكاء من هذه الأرواح الجزئية لحنين الروح الكلي إليها الذي هو أبوها، فإنها وإن حنّت إليه بالأصالة والتولد فحنينه أشد إليها، فإن حنين الأبوة أعظم، فإن النبوة من الأبوة وليست الأبوة منها بل هي عينها، فهو من باب حنين الشيء إلى نفسه. وشبهها لكثرة الدموع بعيون المياه الجارية أي أنها لا تنقطع وجريانها من غيب إلى شهادة. وقد يريد تفجعاً لحنينها أي يريد أن يكون لها مثلاً لذلك الحنين إلى المناظر العلى ولا تحجب لتعشق الأكوان عما خلقت له.

3 – الوحيد الذي فقدته هي الخاصية التي انفردت بها عن العالم. وفقدها إياها كونها لا تعرف ما هي ولا يتعين لها بل تعرف أن ثم أمراً تنفرد به عن غيرها على الإجمال وهي وحدانيتها، ومنها تعرف وحدانية من أوجدها إذ لا يعرف الواحد إلا الواحد. وهي التي أراد القائل بقوله:

وفي كلّ شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنه واحدُ

يشير إلى خاصية كل وهي أحديته، فجعلها علامة على أحدية الأحد الصمد الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝﴾ [الإخلاص: 3 – 4]. **وقوله**: «طارحتها»: أي بكيت مثل بكائها على مثل من بكت هي أيضاً، فإن أكثر العارفين ماتوا بحسرة فقد هذه المعرفة التي هي أحديتهم فكلهم عرفوا وحدانيتهم، والأحدية لا

4 - طارحتُها، والشَّجوُ يمشي بيننا ‏ ‏ ما إنْ تبينُ، وإنني لأَبينُ

5 - بي لاعجٌ من حُبّ رَملةِ عالجٍ ‏ ‏ حيثُ الخيامُ بها وحيثُ العِينُ

يعرفها إلا القليل من أهل العناية والتمكين[1].

4 - **يقول**: بكيت مثل ما بكت غير أنها لما لم تكن من عالم العبارة والتفصيل لم تبين ما بها من الشجو للسامعين من طريق الفهوانية، وأنا أبنت لهم بما أبديت من العبارة والإيماء والإشارة والتعداد في حال البكاء، وأخبر عما هو الأمر عليه في عينه. وقولهم: الشجو يمشي بيننا، كما قال ابن زهر:

وقد تعبَ الشوقُ ما بيننا ‏ ‏ فمنهُ إليَّ ومني إليهِ!

يقول: أي طارحتها مطارحة حزن لا مطارحة سرور لأنه عن فقد لا وجود.

5 - **يقول**: بي حرقة اشتياق من حب دقائق العلوم الكسبية وهي علوم التفصيل، ولهذا جعلها رملية وأضافها إلى عالج من المعالجة، وهي من باب قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [المائدة: 66] فهذه هي معالجة الأعمال وهو التكسب. ثم قال: ﴿لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: 66] إشارة إلى هذه المعارف، فما كان من فوقهم هو بمنزلة ما تشبه به العلوم من الأمطار وفي المشاهد من البرق وفي المناجاة من الرعود وفي الفناء باحتراقات أعيان الحجب من الصواعق. وما كان من تحتهم بالرمال والحصى وما تحملهم الأرض وتخرج من زهرتها. وكل علم من ذلك بما يناسبه في التشبيه على حسب ما يعرفه من تنزل. وقوله: حيث الخيام بها وحيث العين، يعني المقصورات في الخيام مقامات الحجب والغيرة والصدق. والعين ما تستره هذه الخيام وتحويه من العلوم، وكل علم بحسب خيمته، فإن كان صدفاً فهو جوهر وإن خيمة فهي عذراء. ثم نعت هذه العين في البيت التالي.

---

(1) **الأحديّة**: مجلى ذاتي. ليس للأسماء ولا للصفات ولا لشيء من مؤثراتها فيها ظهور، فهي اسم لصرافة الذات المجردة من الاعتبارات الحقية والخلقية. وهي أول ظهور ذاتي. انظر الموسوعة الصوفية، ص629 - 630.

التمكين: مقام الرسوخ والاستقرار على الاستقامة وأهل التمكين من المنتهين. والتمكين عبارة عن إقامة المحققين في محل الكمال والدرجات العليا. المصدر السابق، ص690.

6 - مِن كلّ فاتكةِ اللّحاظِ مريضَةٍ أجفانُها لظُبى اللّحاظِ جُفونُ
7 - ما زِلتُ أجرَعُ دَمعَتي من غُلّتي أُخفي الهَوى عن عاذلي وأصُونُ
8 - حتى إذا صَاح الغُرابُ بِبيْنِهِمْ فضَحَ الفِرَاقُ صَبابةَ المحزُونِ

6 - **يقول**: من العلوم التي ترد على أصحاب الخلوات فتقتلهم في خلواتهم أي تفنيهم(1) عن ذواتهم بسلطانها ونظرها إليهم. فإن الفتك: القتل في خلوة، وقوله: مريضة، أي منها أصحاب الخلوات، والمرض: الميل، ونسبها إلى اللحاظ التي هي المشاهدة، فيريد أنها علوم مشاهدة وكشف لا علوم إيمان وغيب لكنها عن تجليات صور، ولهذا قال: لظبى اللحاظ جفون، أي هي بمنزلة جفون السيف، فإنه لما ذكر الفتك جاء بآلة القتل فجاء باللحظ وشبهه بالسيف.

7 - يشير إلى حالة الستر والكتمان، وهي حالة الملامتية الذين يظهرون في كل عالم بحسب المواطن وهم رجال هذه الطريقة. والعذّال: هم المنكرون على أهل هذه الطريقة أحوالهم لأنهم لا يعرفون جمال من تعشقوا به فإنه غيب لهم وليس عندهم إيمان فإنه يتجلى إلى قلب من شاء من عباده بضرب من ضروب المعرفة ليهيمهم ذلك التجلي فيه فتهون عليهم الشدائد التي تجري بها الأقدار عليهم، وسبب إخفائه عن العدول الغيرة عن عرض المحبوب لئلا يقع العاذل في جناب من يستحق التعظيم بما لا يليق بجنابه فيفعل ذلك صيانة للمحبوب وإيثاراً لا ضجراً لنفسه من الملايمة التي تعود عليه من ذلك، فإنه ملتذ بسماع ذكر محبوبه لكن لا يحب أن يجري عليه في الذكر الألفاظ التي لا ينبغي بجلاله الأقدس، فهو من باب: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: 91].

8 - **يقول**: إن العناية إذا حانت لبعض أهل هذا المقام وحيل بينه وبين هذه المناظر التي كانت متجلية له وهو ناظر إليها بفترة تلحقه أو وارد إلهي له حكمة بالغة ولم يعط الصبر على ذلك أداه هذا الفراق إلى إظهار ما كان يخفيه من رقة الشوق والهوى، كما

(1) الفناء: تبديل الصفات البشرية بالصفات الإلهية دون الذات، فيكون الحق سمعه وبصره كما جاء في الحديث: «كنت سمعه وبصره». والفناء عن الخلق: الانقطاع عنهم. وقيل: الفناء أنه لا ترى شيئاً إلا الله.
الموسوعة الصوفية، ص905 - 906.

9- وصَلوا السرى، قطعوا البُرَى فلعيسِهم   تـحـتَ الـمَـحَـامِـلِ رَنّـةٌ وَأنِـيـنُ
10 - عَايَنْتُ أسبابَ المنيّةِ عِندما   أرخَوا أزِمّتَها، وَشُدّ وَضِينُ[1]

اتفق لأبي يزيد لما قال له الحق: اخرج إلى خلقي بصفتي، فعندما خطا خطوة وقام الحجاب صعق فإذا النداء: ردوا علي حبيبي فلا صبر له عني. والغراب هذا السبب الموجب للفراق. والصياح من الفهوانية بمنزلة «كن». وفي البيت إقواء[2].

9 - لما كان المقصود لا يتحيز ولا يتقيد بالجهات كان الرجوع منه سيراً إليه أيضاً، فلهذا قال: «وصلوا السرى»، أي رجوعهم منه إسراء أيضاً إليه، كما ورد في الخبر عن التقاء الأربعة الأملاك من الأربع الجهات كل واحد يقول بأنه ورد من الحق، مع قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: 4] والإسراء والتنقل إنما هو اسم إلهي إلى اسم إلهي، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: 85]، والملتقى إنما هو مع الاسم الشديد البطش السريع الحساب القوي؛ فلهذا كان حشره إلى الرحمٰن محل الأمن مما يتقي به ويحذر بالرحمة التي وسعت كل شيء. وقوله: قطعوا البرى، لقوة سيرهم. والبرة الحلقة التي تكون في أنف البعير تكون فيها خرمة يقاد بها. فيقال لقوة الجذب للسير تنقصم البرى أو تخرم الأنف، والتي تكون منها السير في هذا الباب إنما هي مراكب الأعمال. والبرة العروة الوثقى التي لا انفصام لها، فهي تخرم الأنوف ولا تنفصم. وأما نعته بأن لها تحت المحامل، وهي مانحة من تكليفات المجاهدات والأعمال الشاقة، رنة وأنيناً يريد صوت الزفير وحنين القلوب والأزيز المسموع من صدورهم عند التلاوة والذكر، كما قال تعالى: ﴿لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ

(1) الوضين: حزام عريض منسوج بعضه على بعض من سيور أو شعر، أو لا يكون إلا من جلد يشدّ به الرحل على البعير، وقيل: يصلح للرحل على الهودج ج وُضُن.

(2) الإقواء: هواختلاف حركة الروي «المجرى» بكسرٍ وضمّ فحسب، أي يكون روي أحد البيتين مكسوراً وروي البيت الآخر مضموماً. وهو غير جائز للمولدين.

ومثاله قول النابغة الذبياني:

سقط النصيفُ ولم تُرِدْ إسقاطَه   فتناولتْه واتّقتنا باليدِ
بمخضّبٍ رخصٍ كأنّ بنانَهُ   عَنَمٌ يكاد من اللطافة يُعقَدُ

موسيقا الشعر العربي، محمود فاخوري، ص154.

11 - إنّ الفِرَاقَ مع الغَرَامِ لَقاتِلي صَعْبُ الغَرامِ معَ اللقاءِ يَهونُ
12 - ما لي عَذولٌ في هوَاها، إنّها مَعشوقَةٌ حَسناءُ حيثُ تكونُ

ٱللَّهِ﴾ [الحشر: 21] فوصفها بأنها تضعف عن حمل هذه الأغيار الواردات، فإن الأنين لا يكون إلا مع الضعف. والرنة النغمة. وكأنها مطابقة لقول المنادي أو الحادي من السامع.

10 - **يقول**: لما دعيت إلى الرجوع إلى عالم الكون بعد أنسي بتلك العين المقدسة والشهود[1] الأقدس الأحدي وجدت من الألم على قرب من التشبيه مثل ما يجده المتعشق عند نزول الموت ومفارقة المألوفات التي كان يتأنس بها فلم يجد أعظم رزية يشبهها بها أعظم من المنية لمن لا يحب المفارقة ومعاينة أسباب الموت التي هي كرباته وغمراته أعظم من الموت، فإن الموت لا يحس به إذ لا يبقى هناك من يحس، فهذا أوقع التشبيه بأسباب الموت لا بالموت وهو مجبور بالرجوع إلى عالم الأكوان، ولهذا قال: أرخوا أزمتها.

يقول: ما لي فيها تعمد وإنما رجع بي ما أنا رجعت من ذاتي، فلم يقل أرخيت أزمتها لهذا.

11 - **يقول**: إن للغرام في الحب سلطاناً عظيماً يقتلك فيه النحول والهيمان والدموع والغليل والأنين والسقام وجميع الآلام التي يوجبها الغرام، ثم يجتمع مع ذلك الفراق وهو الغيبة عن مشاهدة المحبوب برجوعه إلى كونه، مثل ما قال ﷺ: **«ما ابتلي أحد من الأنبياء بمثل ما ابتليت به»**، يشير إلى حاله في الرؤية ثم رجوعه إلى خطاب أبي جهل وأبي لهب فينضاف إلى آلام المحبة ألم البين، فلذا قال: إنه لقاتل. فلو كانت تكون آلام المحبة التي يعطيها الغرام مع اللقاء وهو ضرب من الحضور الذي ليس فيه فناء هان عليه ما يجده من حرقة الاشتياق مع اللقاء، وحرقة الشوق أشد للمفارقة، ولهذا ينبغي للعارف أن لا يقف إلا مع الذات ولا يتعشق باسم دون اسم فإنه في كل حال مفارق لاسم مواصل لآخر.

12 - **يقول**: جميع الهمم والإرادات والتوجهات متعلقة بها من جميع الطالبين لكونها مجهولة العين عندهم غير متميزة، فلهذا قال: إنها معشوقة لكل طائفة ولا أحد يعذل في

---

(1) الشهود: هو رؤية الحق بالحق عند المتصوفة.

. . . .

هواها، كما قد علمنا أن النجاة مطلوبة لكل نفس ولأهل كل مِلَّة فهي محبوبة للجميع، غير أنهم لما جهلوها جهلوا الطريق الموصل إليها، فكل ذي نِحْلة وملة[1] يتخيل أنه على الطريق الموصل إليها، فالقدح الذي يقع بين أهل الملل والنحل إنما هو من جهة الطرق التي سلكوها للوصول إليها لا من جهتها، ولو علم المخطىء طريقها أنه على خطإ ما أقام عليه.

فلهذا قال:

«ما لي عذول في هواها إنها معشوقةٌ حسناء حيث تكونُ

أي حيث يوجد لها مشهد يشهد فيه فهم إخوان على سرر متقابلين قد نزع ما في صدورهم من غل، ولما أشبهت الشمس في السعة في التجلي فكل شخص يرى أنه قد خلا بها وهي مع كل واحد من مشاهديها بذاتها قد رفعت الغيرة من قلوبهم عليها والحسد، فإن كل مصل يناجي ربه من ازدحام بخلاف الحضور القريب الذي إذا كان عند شخص فقده شخص آخر فوقعت الغيرة بينهم عليه وقام العذول والعذال على طالبيه معرفة ومكراً، والمكر من محب آخر ليزهد فيه هذا فيتمكن هو منه والمعرفة لكونه تعلق بمحصور يحاط به.

---

(1) النِّحلة: الدين والعقيدة. ج نِحَل.
المِلَّة: الشريعة أو الدين، وهي اسم لما شرع الله لعباده بوساطة أنبيائه ليتوصّلوا به إلى السعادة في الدنيا والآخرة. ج مِلَل.

رِوايةُ الصَّبا

1 - رأى البرْقَ شرقياً، فحنّ إلى الشرْقِ ولـو لاحَ غَـرْبِيًّا لـحَـنّ إلـى الـغَـرْبِ
2 - فـإنّ غَـرامـي بـالـبُـرَيـقِ ولـمـحِـهِ ولـيـسَ غـرَامـي بـالأمـاكـنِ والـتُّـرْبِ

1 - يشير إلى رؤية الحق في الخلق والتجلي[1] في الصور فأداه ذلك إلى التعلق بالأكوان لما ظهر التجلي فيها لأن الشرق موضع الظهور الكوني، ولو وقع التجلي على القلوب وهو تجلي الهوية الذي كنى عنه بالغرب لحن أيضاً هذا المحب إلى عالم التنزيه والغيب من حيث ما قد شاهده أيضاً محلاً للتجلي في تجل أنزه من تجلي الصور في أفق الشرق، فحنينه أبداً إنما هو لمواطن التجلي من حيث التجلي لا من حيث هي؛ وقد أبان عن ذلك في البيت الذي بعده.

2 - **يقول**: إن غرامي وتهيامي وتعلقي إنما هو بالتجلي الذي هو اللمح، والمتجلي الذي هو البرق ما هو عن غرامي لمن يتجلى فيه إلا بحكم التبعية كالتولع بمنازل الأحبة من حيث هي منازل لهم خاصة لا من حيث منازل. فكنى بالأماكن عن الموطن الغربي وكنى بالترب عن الموطن الطبيعي الصوري لأنه ذكر الشرق والغرب، وجعل الشرق لعالم الحس والشهادة، فبهذا ذكر الترب، وجعل الغرب لعالم الغيب والملكوت، فلهذا ذكر المكان فجاء بالأعم، فإن كل ترب مكان وما كل مكان ترباً، قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: 57]، وهو خارج عن العناصر لأنه في السماء الرابعة فلا يستحيل عليه اسم المكان.

(1) التجلّي: رؤية الله بالقلب. وهو عبارة عن ظهور ذات الله وصفاته. وقيل: التجلي إشراق أنوار إقبال الحق على قلوب المقبلين عليه. وله أنواع: تجلي ذاتي وشهودي وصفاتي. الموسوعة الصوفية، ص678 - 679.

3 - رَوَتْهُ الصَّبا عنهُمْ حَديثاً مُعَنعناً[1]؛ عن البثّ عن وَجدي عن الحزْن عن كربي

4 - عن السكرِ عن عقلي عن الشوق عن جوًى
عن الدمع عن جفني عن النارِ عن قلبي

---

3 - **الصَّبا**: الريح الشرقية، وإلى الشرق كان حنينه لأن من الشرق لاح له البرق الذي هو التجلي وكان في عالم الصور، فكان في باطن تلك الصور مطلب للعارف مغيب مبطون فيها. وهو الذي أشار إليه بقوله: ولو لاح غربياً.

قال: فعالم الأنفاس التي هي الريح الشرقية روت لي عما أبطنته تلك الصور في تجليها من علم الهوى حديثاً معنعناً، يقول: خبراً مسنداً عن فلان عن فلان، وأخذ يذكر الأسناد وهم الرواة الذين بهم صح هذا التجلي الغربي علماً كما كان الشرقي حالا فقال: عن البث وهي الهموم المتفرقة من أجل الصور الكثيرة التي يقع فيها التجلي فله هم بإزاء كل صورة فلهذا كنى عنه بالبث عن وجدي وهو ما يجده من هذه الهموم.

يقول: هي ذوق لي ما أنا مخبر عن حالة غيري وعن الحزن، يعني أصعب المحبة وأشقها، فإنه مأخوذ من الحَزَن الذي هو الوعر. عن كربي هو ما يجده من غليل الهوى وحرقاته واصطلامه وزفراته.

4 - السكر المرتبة الرابعة في التجليات لأن أولها ذوق ثم شرب ثم ري ثم سكر، وهو الذي يذهب بالعقل، فلهذا روي عنه لأنه صاحبه، والسكر يأخذ عن العقل ما عنده، والعقل يأخذ من الشوق. ولهذا تزعم الحكماء وتقول في العقول بالشوق وفي نفوس الأفلاك إن حركتها شوقية لطلب الكمال عن جوى، وهو انفساحها في مقامات المحبة محصور تحت حيطة النفس كانحصار الجوى تحت حيطة فلك القمر الذي يوصف بالنقص والزيادة وقبول الفيض النوري. فلهذا قلنا عنه: إنه تحت حيطة النفس. ولما ذكر الجوى الذي هو إشارة إلى مقام الجو ذكر الدمع والجفن في الجوى بمنزلة المطر

---

(1) الحديث المُعَنْعَن: هو المرويُّ بعن، كفلان عن فلان. وقيل إن المعنعن مرسَل، والصحيح أنه متّصل بشرط أن لا يكون المعنعِن مدلّساً. وشرط إمكان لقاء بعضهم بعضاً.
قال الحافظ ابن فَرَح الإشبيليّ في قصيدته «غرامي صحيح في أنواع الحديث».
خُذِ الوجْدَ عنّي مسْنَداً ومَعَنعناً فغيري بموضوع الهوى يتجمّلُ!

5 - بأنَّ الذي تهوَاه بينَ ضُلوعكم تُقلّبهُ الأنفاسُ جَنباً إلى جَنبِ
6 - فقلتُ لها: بلّغ إليه بأنّهُ هو الموقِدُ النّارَ التي داخلَ القلبِ

والسحاب في الجو ثم ذكر عنصر النار وهو الفلك الأثير فقال: عن النار عن قلبي، هو الروح الخارج عن تجويف القلب.

يقول: فأخبر هؤلاء الرواة الثقات الأثبات أن مثال من همتم فيه ثاو بين ضلوعكم.

5 - **يقول**: من شفقة المحب على محبوبه الممثل في خلده يتخيل أن نيران الأشواق القائمة به تؤثر في ذلك المثال الذي خلده منه فتحن عليه شفقاً لتحول بينه وبين النار. فلهذا ذكره بالضلوع بالانحناء الذي فيها كما قد ذكرنا في قصيدة لنا في هذا الكتاب فقلنا:

من حذر عليه شراسفاً(1)، أي أطراف الضلوع كانت محنية من أجل المحبوب لتضمنه عناقاً وحذراً عليه أن يصيبه أذى، كما قلنا في هذا الباب:

ما خفتُ إذ ضرمت نار الأسى في أضلع تحرقك النار

وقال الآخر:

أودع فؤادي حرقاً أو دعِ ذاتك تؤذي أنت في أضلعي
وارمِ سهامَ الجفنِ أو كفها أنت بما ترمي مصاب معي
موقعها القلب، وأنت الذي مسكنه في ذلك الموضعِ

وأراد بالأنفاس هنا سطوات هيبة التجلي، وقصد: تقلبه هذه السطوات، أي تؤثر فيه أحوالاً مختلفة لاختلافها. وقوله: «جنباً إلى جنب»، أي من شمال ليمين ومن يمين لشمال ولم يقل ظهراً لبطن لئلا تحرقه سبحات الوجه أو يهلكه الحجاب، فجاء بالجنب لأن فيه تجلياً لا عن مقابلة وهو انحراف كون لأن الرؤية في صورة الكون حصلت.

6 - الضمير في «لها» يعود على الصَّبا. والضمير في «إليه» يعود على المعنى الذي من المحبوب في النفس هو الذي يقع به العشق.

يقول: فهو الذي أوقد نار الشوق والوجد الذي في القلب وما أوقدها إلا وقد علم أنه

---

(1) الشراسِف: أطراف الأضلاع حيث انحناؤها وهذا الشطر عجز بيتٍ للمؤلف ابن عربي، صدره: يقتادها قمرٌ عليه مهابةٌ.
وسيرد في قصيدة «عربيةٌ عجماء» من هذا الديوان.

7 - فإن كان إطفاءً، فوَصْلٌ مُخلَّدٌ   وإن كان إحرَاقٌ، فلا ذنبَ للصّبّ

منها في حمى ذاتي، أي لا تعدو عليه، فلم يبق اعتداء هذه النار إلا على المحل فلا ذنب للصب في إحراق محل الحب ومسكن المحبوب.

7 - **يقول**: إذا جاء برد السرور وثلج اليقين فيحجب سلطان هذه السطوات لبقاء العين فيكون الوصل دائماً، وإن تركت سطواتها فلا يبقى هناك من يعمر هذا المقام فلا ذنب على الهالك، وهذا كلام غلبة الحال، كما قال ﷺ، **وهو يناشد ربه ببدر: «إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد من بعد اليوم»** وما كان ذلك إلا من غلبة الحال عليه، وأبو بكر رضي الله عنه **يسكنه**.

يقول: إن الله منجز لك ما وعدك، فهذا من ذلك الباب وهو باب من ملكه الحال، ومن هنا نقول: إن الأنبياء قد تملكهم الأحوال، مثل هذا سواء.

الجملُ غرابُ البينِ

1 - غَادرُوني بالأثِيلِ والنَّقَا أسكُبُ الدّمْعَ، وأشكُو الحُرَقا
2 - بأبي من ذُبتُ فِيهِ كَمَداً بأبي مَنْ مُتُّ مِنهُ فَرَقا

---

1 - لما عاين جلساءه من الروحانيات الملكية قد رحلوا عنه جائلين في الفسحات العلى لا يقيدهم مكان طبيعي وبقي هو مرتهناً بهذا الهيكل وتدبيره مقيداً به عن الأنفاس في مسارح فرج تلك الأطباق العلى جعل يسكب الدمع بذلك ويشكو حرقة الشوق الذي بفؤاده مما حل به. والأثيل عبارة عن أصله الطبيعي يريد الطبيعة. والنقا: عبارة عن جسمه، فإنه أفضل ما انتقى، فمن هذه الطبيعة هذا الجسم الإنساني فإنه أعدل النشآت الطبيعية، ولذلك قبل الصورة الإلهية فكنى عنه هنا بالنقا.

وقد يريد بقوله: «أسكبُ الدمع»؛ يقول: تركوني بعالم الطبيعة أبثُّ المعارف المتعلقة بالمناظر العلى لأبناء الجنس المحبوسين عن هذه الأذواق العلية ونيل ما ناله الرجال بصدق الأحوال، وأشكو الحرق من الحسرة عليهم حيث لم يكن لهم هذا الخبر عياناً فيكون من باب الرحمة بالخلق. والأول أمكن في القصد من الثاني لكن الثاني متوجه في حق السامعين فإنهم مع الوقت، ولو كان هذا البيت مفرداً لتحقق به هذا الوجه الثاني، وإنما كان الوجه الأول أمكن من أجل الأبيات التي تأتي بعده، فالأول والثاني للسماع[1] والأول وحده للسماع وزيادة وهي معرفة ما بعده.

2 - يفديه بأبيه الذي هو الروح الكلي الأعلى، فإنه أبوه الحقيقي العلوي وأمه الطبيعة السفلية، فيفدي بهذا الأب هذا السر الإلهي النازل عليه الذي وسعه قلبه، وهو المعبر عنه في هذا البيت بمن. ونسب الذوبان فيه إلى الكمد.

---

(1) السماع: قال النبيّ ﷺ: «حسّنوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً». والسماع عند المتصوفة: وارد حق يزعج القلوب إلى الحق، فمن أصغى إليه بحق تحقق، ومن أصغى إليه بنفس تزندق.
الموسوعة الصوفية، ص798 - 799. والرسالة القشيرية، ص335 - 336.

3 - حُمرَةُ الخَجلةِ في وَجْنتِهِ   وَضَحُ الصّبحِ يُناغي الشفَقَا
4 - قوّضَ الصّبرُ، فطنّبَ الأسَى   وأنا ما بَينَ هذين لَقَا

يقول: إنه في مقام العشق[1] له للاسم الجميل الذي تجلى له فيه، ثم كرر الفداء له بأبيه فقال: بأبي من مت، يشير إلى مقام الذوبان أيضاً بالموت ولكن خوفاً من أنوار الهيبة يقول: فطر علي الذوبان والفناء عني بحالة مني وهي العشق وبما اقتضاه ذلك الجمال الأعلى من الهيبة، وإن الجمال مهوب معظم محبوب، والجلال ليس كذلك فإنه مهوب معظم وليس بمحبوب، فإنه من سطوات القهر والجبروت فتفرق منه النفوس، ولما اطلع هذا السر الإلهي الذي وسع هذا القلب الشريف على ما أثر فيه من الذوبان والموت استحيا منه حيث لم تتنزل معه إليه الألطاف الخفية التي تبقيه.

3 - فذكر أنه خجل لما ذكرناه ومن أسمائه الحيي، وقد جاء: **«إن الله تعالى يستحي من عبده ذي الشيبة أن يكذبه فيما كذب فيه»**[2]، ولما كان هذا التجلي في الصور المثالية مثل حديث عكرمة عن النبي، ﷺ، حيث قال: **«رأيت ربي في صورة شاب أمرد عليه حلة من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب وفي رجله نعلان من ذهب»**، وأشباه هذه الأحاديث المشكلة التي ذكرتها العلماء قال الله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 21] كما قال الشيخ، رحمه الله: وتكلمت عليها، فتلك الصورة هي المنسوب إليها هذه الخجلة فتقبل أيضاً الحمرة من حيث ما هي صورة جسدية والوجنة، ثم أوقع التشبيه في بياض الوجه وحمرة الخجلة في الخد فوضح الصبح الذي هو بياضه وحمرة الشفق كأنهما يتحدثان بالسبب الذي أوجب هذا الحياء مما طرأ على هذا القلب من هذا التجلي.

4 - **يقول**: قَوَّض الصبر؛ أي رفع خيامه ورحل، والحزن نزل ومد طنبه وضرب فسطاطه[3]. **يقول**: فأداني عدم الصبر ونزول الحزن وما تم ما يقاومه إلى الهلاك وأنا ملقى لا حراك بي هالك تحت سلطان الوجد في مقام البوح والإفشاء والإعلان بما

(1) **العشق**: آخر مراحل الوصول والقرب، وفيه ينكر العارف معروفه فلا يبقى عارفاً ولا معروفاً، وهو من مقامات المتصوفة ومراتبهم. وهو في ابتداء ظهوره يغني العاشق حتى لا يبقى له اسم ولا وصف ولا رسم.
الموسوعة الصوفية، ص872 - 873.

(2) انظر كشف الخفاء، رقم (742) ص1/ 244.

(3) الفسطاط: بيت يتخذ من الشَّعَر.

5 ـ مَن لِبَثّي، مَن لوَجدي دُلّني   مَن لحُزني، من لِصَبٍّ عَشِقا
6 ـ كلّما ضَنّتْ تَبَاريحُ الهوَى   فَضَحَ الدّمعُ الجَوَى والأرَقا
7 ـ فإذا قلتُ: هَبُوا لي نظرَةً!   قِيلَ ما تُمنَعُ إلاّ شَفَقا

تنطوي عليه الضلوع من الأسرار الشوقية. يقول: انتقلت عن الاسم الصبور فلم أقدر أن أملك وجدي فظهر في سلطانه.

5 ـ **يقول**: هل من جامع لما تفرق من همومي، من يرثي لما حل بي. من لوجدي أي ما أحس به من آلام البلوى بالانتقال مع الأسماء والوقوف معها عما تعطيه الذات من الثبات. من لحزني، **يقول**: من لصعوبة هذا الأمر بتسهيله. من لصب، يقول: مائل ما له مقيم من ميله. عشقا عانق الشدائد تعانق اللام للألف، مأخوذ من العشقة.

يقول: دلوني على من يأخذ بيدي من مقام التفرق فيدلني في عين جمع الجمع والشهود بلا مزيد فإن المزيد حالة تؤذن بعدم الكمال.

6 ـ **يقول**: كلما رمت أن أقوم في مقام الكتمان مما أكنه من الجوى والأرق أبت الدموع بانسكابها إلا الإفشاء والبوح، فإن الوجد أملك وهو أبلغ في المحبة من الكتمان، فإن صاحب الكتمان له سلطان على الحب، والبائح يغلب عليه سلطان الحب فهو أعشق، ولا يحجبنك قول المحب القائل[1]:

باحَ مجنونُ عامرٍ بهواهُ   وكتمتُ الهوى فمت بوجْدي
فإذا كان في القيامةِ نودي: مَنْ قتيلُ الهوى؟ تقدمت وحدي!

فإن هذا القائل لم يتمكن منه الحب تمكن من لم يترك فيه سلطان غيره، فإن الذي حجب الحب عن ظهور سلطانه أقوى منه فكان عقله أغلب، ولا خير في حب يدبر بالعقل بل أحكام المحبة تناقض تدبيرالعقول.

7 ـ يشير إلى قوله ﷺ: **«لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره»**، فكان إرسال الحجب بين السبحات وبين الخلق رحمة بهم وإشفاقاً على وجودهم، فإن قيل: فقد وعد بالرؤية في دار الآخرة فكيف يكون البقاء هناك ولا فرق بين الدارين من كونهما مخلوقتين وممكنتين؟ قلنا: إذا فهمت معنى إضافة السبحات إلى وجهه وفرقت بين هذا

---

(1) القائل: ليلى العامريّة.

8 - ما عَسَى تُغنيكَ منهم نظرَةٌ   هي إلاّ لمحُ برقٍ بَرَقا
9 - لستُ أنسى إذ حَدا الحادي بهمْ   يَطلُبُ البينَ، ويَبغي الأبرَقا

القول وقوله: «ترون ربكم» وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: 22 - 23] فعلق الرؤية بالرب والإحراق بالوجه. وقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾[الأنعام: 103] يعني الوجه، عرفت حينئذ الفرق بين الخبرين وتحققت أن هذا الاعتراض غير لازم.

ويريد أيضاً بقوله: هبوا لي نظرة، وقوله: ما تمنع إلا شفقا، لأن الوجد وأليم الحب والنظر إلى المحبوب يزيده وجداً إلى وجده وحباً إلى حبه فكأنه يطلب الزيادة من عذابه، فقيل له: نحن نشفق عليك لذلك وليس مع الحب تدبير فإنه يعمي ويصم والمحبوب صاح فيرفق به من حيث لا يريد المحب.

8 - **يقول**: إن هذه النظرة لا تغني من الوجد شيئاً فإن مثلها في الفعل بالقلب مثل فعل ماء البحر بالظمآن كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً، ثم إنك لما كنت مركباً وأنت مدبر لمركب ولم تكن بسيطاً لم يتمكن لك دوام الرؤية بحكم الاتصال فإنك مطلوب بإقامة ملك بدنك وتدبيره فلا بد لك من الرجوع إليه وإرسال الحجب بينك وبين مطلوبك الذي تيّمك وهيّمك[1] وهيجك بنيران تلك النظرة بذلك التجلي بمنزلة لمحك للبرق إذا برق وهو الوقت الذي لا يسعك فيه غير ربك.

9 - **يقول**: لما دعوا من جانب الحق هؤلاء الروحانيات العلى الذين كانوا لنا جلساء في الله تعالى، وحدا بهم داعي الحق إلى العروج إليه، كما قال ﷺ: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون، وذلك عند الصبح والعصر**»[2]. وقوله: يطلب البين، يعني هذا الحادي بهم يطلب الفراق والبعد من عالم الكون بهؤلاء الروحانيات. وأتى بلفظة البين دون غيره لأنه من الأضداد فهو فراق عن كذا فيه اتصال بكذا، وهو المقصود ولا يوجد ذلك في غير لفظة البين.

---

(1) التيم: أن تجعل نفسك عبداً للمحبة وأن تتصف بالتجريد الظاهري والتفريد الباطني. المتيَّم: المحب الولهان.
الهُيام: أشد العطش، والهيام كالجنون والعشق. الهِيام بالكسر: الإبل العطشى.

(2) أخرجه الشيخان.

10 - نَعَقَتْ أغرِبَةُ البَيِنِ بِهِمْ لا رعى الله غُراباً نَعَقَا

11 - ما غُرابُ البَيِن إلاّ جملٌ سارَ بالأحبابِ نَصًّا عَنَقا

وقوله: ويبغي الأبرقا، **يقول**: ويبغي بهم المكان الذي يقع لهم فيه شهود الحق تعالى، وسماه الأبرق لما شبه الشهود الذاتي بالبرق لنوره وسرعة زواله كنى عن المكان والحضرة التي يقع فيها بعد الشهود بالأبرق أي المكان الذي يظهر فيه البرق.

10 - كنى بأغربة البين عن الأمور التي خلفته عن العروج معهم إلى الأبرق وهي ملاحظات وجوده الطبيعي الذي أمر بتدبيره والقيام بسياسته. فهو يتشاءم بملكه ويتمنى الانتقال من مقام الملك إلى العبودية التي هي في الحقيقة ملك الملك، ثم أخذ يدعو على كل من كان سبباً لفراقه عن أحبته المساعدين له على ما في همته بتخلفه عنهم حين درجوا عنه.

11 - **يقول**: ليس غراب البين طائراً يطير بالأحباب وإنما حمولتهم التي تحملهم عنا هي أغربة البين وهي في الحسن المراكب التي هي الإبل وأشباهها وفي لطائف الهمم التي ترتحل بالعبد المحقق عن موطن وجوده إلى تقريب شهوده، فلو عاينت سير اللطائف الإنسانية على نجائب الهمم[1] وهي تخترق سرادقات الغيوب وتقطع مفازات الكيان لرأيت عجباً. ولهذا قال العارف: والهمم للوصول، أي أنها عليها يوصل إلى المطلوب فإن سيرها ينتهي إلى المكانة التي ينعدم فيها الاسم ويضمحل الرسم.

---

(1) الهمّة: توجّه القلب إلى قصده: بجميع قواه الروحانية إلى جانب الحق لحصول الكمال له أو لغيره. وهي أعز شيء وضعه الله في الإنسان.
انظر: الموسوعة الصوفية، ص991 - 992.

وَعْدُ الْخَوْدِ

1 - حَمَلنَ على اليَعمَلاتِ الخُدورا وَأَوْدَعنَ فيها الدُّمَى والبُدُورَا
2 - وَوَاعَدْنَ قَلبي أن يَرْجِعوا وهلْ تَعِدُ الخُودُ إلاّ غُرُورا

1 - **اليعملات**: هي الإبل التي يعمل عليها، وهي في إشارة هذا القائل القوى الإنسانية التي توجهت عليها التكاليف الروحانية والحسية فهي التي يقع عليها العمل. وكنى بالخدور عن الأمور التي كلفوا بها وهي الأعمال، وجعلها خدوراً لأنها تحتوي على أسرار من العلوم والمعارف التكليفية كما تحتوي الخدور على هؤلاء الحسان المشبهات بالدمى في حسن الصورة والبدور في الكمال والرفعة. فتكون المعارف على حسب ما وقع به التشبيه لأن المعارف متنوعة بالذي يريد صاحبها منها يدل عليه بأمر يناسبه من وجه ما مناسبة لطيفة لدلالة غيبية. كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: 35] بشروطه من الزجاجة التنزيه الذي هو الجسم الشفاف الصافي والزيت المضاف إلى الاعتدال الذي لم يؤثر فيه إلا هو، فيعلم من هذا التشبيه أي نور أراد، وهكذا جميع الأمور التي يريد العارف أن يوصلها إلى الأفهام فينبغي للناظر أن يتحقق ذلك، ويمعن النظر فيه جهده ولا يبادر ببادي الرأي فيسرع إليه الخطأ إلا أن يكون هذا الناظر له سلطان على معرفة الخاطر الأول في كل شيء فإنه يقف عنده فذلك الذي يعطيه هذا المطلوب بلا شك فلا يخطىء أبداً.

2 - ينبه في هذا البيت على أن هذه المعارف التي ذكرها هي من المعارف التي في طيها مكر خفي. نبه على ذلك بقوله: وهل تعد الخود[1] إلا غروراً، ليطمئن العارف على عودها عليه أو أمثالها بمجرد ما وعدت ربما يحمله ذلك على عدم الاستعداد الذي يخلفه الله تعالى به لتلقيها فيكون ممن يتبع شهواته ويتمنى على الله الأماني فينبغي للعارف أن لا يفتر وأن يكون قائماً على قدم طلب المزيد، كما قال لنبيه ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114].

(1) الخُود: جمع خَوْد: الشابة الناعمة الحسنة الخلُق.

3 - وَحَيّتْ بِعُنَابِهَا لِلْوَداعِ فأذْرَتْ دُموعاً تَهِيجُ السّعِيرَا
4 - فلمّا تَوَلّتْ، وقَدْ يَمّمَتْ تُرِيدُ الخَوَرْنَقَ، ثمّ السّدِيرَا
5 - دَعَوْتُ ثُبُوراً عَلى إثْرِهِم فردّتْ وقالت: أتدْعُوا ثُبورا؟!
6 - فلا تَدْعُوَنّ بِها واحِداً ولكنّما ادعُ ثُبوراً كثيرا

3 - **يقول**: هذه النكتة الإلهية التي ذكرنا أنها من باب الممكن إنما كانت لما كان ينالها من باب الاكتساب لا من باب الوهب أحدث فيها التعمل الكوني تغيراً كنى عنه بلون العناب.
يشير إلى أنملتها كأنه توحيد فيه ضرب من الاشتراك ولكن مع هذا كله فإقامتها في القلب أحسن من رحيلها فإنها عاصمة للعارف ما دامت قائمة به ولهذا أحس العارف عند وداعها ورحيلها بألم الفراق فبكى وأحرقته نار الاشتياق إليها. وقد يريد بقوله: «فأذرتْ دموعاً»، أي أرسلت هذه النكتة في القلب علوماً من علوم المشاهدة تؤثر في القلب اشتياقاً شديداً واصطلاماً.
4 - يريد رجوعها إلى الأصل الذي منه انبعثت والصدد الذي منه صدرت فكنى عنها بالخورنق والسدير[1]. والخورنق: قصر بأرض الكوفة، والسدير: أرض.
5 و6 - **يقول**: دعوت بالهلاك على عالم التقييد والتركيب الذي مسكني عنه استصحاب هذه العلوم الإلهية والأسرار العلية التي هي مشهد العالم البسيط على الدوام.
وقوله:

فردت وقالت أتدعو ثبوراً

تقول له: يا محجوب لم لم تر وجه الحق في كل شيء في ظلمة ونور ومركب وبسيط

(1) الخَورْنق: على وزن الفَرَزْدق: عمارة بديعة من غرائب الدهر بناها النعمان بن المنذر، كانت تنصب فيها موائد الطعام، لذلك دعي القصر بقصر الطعام والشراب، ولعله قصر السرور، بناه له رجل يدعى سنمار، استغرق بناؤه ستين سنة. معرب من «خِوَرْنة: أكل + كَاه: محل».
معجم المعربات الفارسية، محمد ألتونجي، ص71.
السدير: نهر بناحية الحِيرة. واسم قصر بناه النعمان الأكبر قريب من الخَوَرْنق، بناه له سنمار أيضاً. مركب من «سه: ثلاثة + دلة: قبّة» بالفارسية ويعني بالعربية القباب الثلاث المتداخلة. معجم المعربات الفارسية، ص97.

7 - ألا يـا حـمـامَ الأراكِ قـلـيـلاً   فـمـا زادَكَ الـبَـيـنُ إلاّ هَـديـرا
8 - ونَـوحُـكَ يـا أيّـهـذا الـحَـمـامُ   يُـثِـيـرُ الـمَـشُـوقَ يَـهِـيـجُ الـغَـيـورا

ولطيف وكثيف حتى لا تحس بألم الفراق وتغيب عين المطلوب عنك في كل شيء فإذاً ولا بد وقد دعوت بالهلاك على عالم التركيب بهذا الحجاب الذي قام عندك فلا تدعون بها واحداً ولكنما ادع ثبوراً كثيراً(1).

يقول: ما هو مخصوص بهذا المقام وحده بالمحجوب عن الأمر الكلي الساري في جميع الموجودات ففي كل مقام يقام لا بد لك من مفارقة ذلك المقام وأنت غائب عن صورة الحق منه فلا بد لك من الألم وتتخيل أنه فارقك وما فارقك وإنما وقوفه معك حجبك عما ذكرناه فلهذا ادع ثبوراً، فالتكثير من جهة العدد لتعدد المقامات وتقييداتها.

7 - يخاطب واردات التقديس والرضى ويلوح لبعض واردات المشاهدات، فإن الأراك شجر يستاك به.

يقول: ترفق علي يا وارد التقديس فإن المحل الضعيف يضعف عن أن ينال الطهارة إلا بالاستدراج ولهذا كان مرضاة الرب من الزينة والإصلاح وهو موضع الرفق، ولهذا قال له قليلاً. وقوله:

فـمـا زادك الـبـيـن إلا هـديـراً

يقول: أيها الوارد لما لم يكن لك وجود عيني إلا بي وفي وأنا مشغول عنك بما قيدت به من عالم الظلمة والطبع فلذلك صرت تصيح من أجل الفراق لذهاب عينك.

8 - **يقول:** وأنت إذا كنت في عالم التقديس والرضى والمشاهدة وأنت بهذه المثابة من البكاء على فقد هذا المحل الطبيعي الكثيف الظلماني فنحن أعظم بكاء منك طلباً للتنزه في الفسحات العلى، وهو قوله: يثير المشوق يهيج الغيورا. والغيرة من رؤية الأغيار، وإلا من عاين الحق في كل شيء لا غيرة عنده فإنه ما رأى في كل شيء إلا وجهه والحق واحد، ولكن للحق تنوع في صور التجليات على حسب ما تعطيه المقامات والأحوال، فمن هنا يظهر لسان الغيرة في جناب الحق، ولذا قال عليه السلام: «**إن سعداً لغيور، وأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن غيرته حرَّم الفواحش**» وهنا نكت وأسرار إلهية غاب عنها أكثر العارفين فلا يمكننا كشفها لإخواننا إلا مشافهة.

(1) إشارة إلى قوله تعالى من سورة الفرقان: ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾[الفرقان: 14].

9 - يُــذِيــبُ الــفُــؤادَ يَــذُودُ الــرّقــادَ يُــضــاعِــفُ أشْــواقَــنــا والــزَّفــيــرا
10 - يَحُــومُ الــحِــمــامُ لِــنَــوحِ الــحَــمــامِ فَــيــســألُ مــنــهُ الــبَــقَــاءَ يَــسِــيــرَا
11 - عــسَــى نَــفــحــةٌ مــن صَــبــا حــاجِــرٍ تَــســوقُ إلــيــنــا سَــحــابــاً مَــطِــيــرا

9 - **يقول**: دعا واردات التقديس والرضى التي ذكرناها تذيب الفؤاد ترده سيالا وتمنع الرقاد فصاحبها يألف السهر. وقوله: يضاعف أشواقنا والزفيرا، زيادة الأشواق إنما تقع من مشاهدة زيادات الحسن في المشهود في نظر العين عند الشهود. والزفير صوت النار. يقول عن غلبة الاصطلام الوارد على القلوب: إنها متضاعفة.

10 - **يقول**: يحوم الحِمام[1] الذي هو مقام انفصال اللطيفة الإنسانية عن تدبير هذا الهيكل الظلماني من أجل ما أسمعته واردات التقديس والرضى والمشاهدة من اللطائف الإلهية والعلوم الربانية وقوله:

فــيــســأل مــنــه الــبــقــاء يــســيــراً

يريد قوله ﷺ، في حديث الأخوين اللذين مات أحدهما قبل صاحبه بأربعين ليلة فذكر فضل الأول منهما عند رسول الله ﷺ، فقال ﷺ، في حق الثاني: **«وما يدريكم ما بلغت به صلاته!»** واستحباب طول العمر في الإسلام مشروع. وحديث الستة الشيوخ الذين قدموا للموت فكل واحد منهم آثر صاحبه بحياة ساعة ليذكر الله فيها فيرقى مقاماً لم يكن عنده. وهذا الباب فيه إشكال عظيم يحتاج إلى تفاصيل. فلهذا قال:

فــيــســأل مــنــه الــبــقــاء يــســيــراً

ثم قال بعد ذلك ما يدل على ما ذكرناه.

11 - الحاجر: هنا حجاب العزة الأحمى المحجوب عن الكون أن يناله ذوقاً لكن تهب منه نفحات على قلوب العارفين بضرب من التعشق، ولهذا وصفه بالميل الذي هو الصَّبا وطلب أن ينال من تلك النفحات الغريبة نسمة ونفحة تهب من ذلك الجناب العالي الأحمى فيسوق بها إلى هذا القلب المتعطش سحاب المعارف والعلوم الربانية الأقدسية من باب ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: 11] فيمطر على هذا القلب فينبت فيه من ربيع الحكم ما تنطق به الألسنة الفهوانية ومن ربيع الأخلاق الإلهية ما يزيده ترقياً فوق ترقيه فإنه متعطش لهذا المورد.

(1) الحِمام في اللغة: الموت.

12 - تُرَوّي بِها أنفُساً قدْ ظَمِئْنَ فَما ازْدادَ سُحْبُكَ إلاّ نُفُورا
13 - فيا راعيَ النجمِ كُنْ لي نديماً ويا ساهرَ البرْقِ كنْ لي سميرًا
14 - أيا رَاقِدَ اللّيْلِ هُنِّئْتَهُ فقُلْ للمماتِ: عَمَرْتَ القُبورا

---

12 - **يقول**: تروي بذلك أنفساً ظامئة عاطشة من قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114] ثم أخبر بعدم الإجابة له فيما سأل لما يجب من تعظيم المقام من العزة والمنع والعلو عن منازل الكون له والإحاطة.

يقول: لو نيل ما كان حمى ولا اتصف بالحجب الذي هو المنع. وأما نسبة النفور إلى هذا السحاب فهو مثل قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: 11] أي كل ما تصور في وهمك أو حاك في صدرك أو دل عليه عقلك فالله بخلاف ذلك فإنه ليس كمثله شيء مع كونه هو السميع البصير، فلا بد من هذه الأسماء والكنايات والمعارف، ومع هذا فلا بد من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: 11] ولو وقع الاشتراك في إطلاق العبارات، لكن ما ثم أحد يجمعها أصلاً لعلو المقام ونزاهته، ولما رأى أن هذا مثال المحجوب محال عاد إلى شكله وجنح إلى مثله في الأبيات التالية.

13 - راعي النجم: هو حفظ ما تحمله العلوم في تعقلاتها على اختلاف ضروبها واتخذ رعاة النجوم ندماء لذلك. فإن المنادمة حالها ضرب الأمثال وإيراد الحكايات والأخبار والنوادر والأشعار بين النديمين. ثم قال: ويا ساهر البرق، الذي هو المشهد الذاتي.

يخاطب طالبه يقول: مطلبنا واحد «فكن لي سميراً» من المسامرة التي هي الحديث بالليل، والليل غيب والذات غيب عن الكون ودليلها الهوى، فيقول له: أنت سميري من حيث إن مقامنا واحد فتفهم عني ما أريد كما أفهم عنك ما تريد فنحن سكوت والهوى يتكلم، ثم نظر إلى ما هما فيه من تعب الخاطر في نيل ما لا يسع الكون حمله فأخذ يخاطب أهل الغفلة عن هذا المقام وأهل الفناء فيه عنه.

14 - فحظ أهل الغفلة من هذا البيت اشتغالهم بالأكوان وملازمتهم لهذه السدف[1] الطبيعية الشهوانية بالتمتع واللذات وحظ أهل اللقاء الذين ذكرناهم من هذا البيت.

يقول: يا من اختطف عنه لهذا المقام فبقي فيه شبه النائم في الليل هنئته، أي هنئت هذا

---

(1) السُّدَف. جمع سدف: الظلمة؛ والليل وسواده.

15 - فلو كُنتَ تَهوَى الفَتَاةَ العَرُوبَا   لـنِـلـتَ الـنّـعِـيـمَ بـهـا والـسّـرُورا

16 - تُعاطي الحسانَ خُمورَ الخمارِ   تُـنـاجـي الـشـمـوسَ تُـنـاغـي الـبُـدورا

الرقاد الذي هو فناؤك بضرب من الراحة واللذة. وقوله: فقبل الممات، أي قبل انفصالك عن هذا الجسد الانفصال التام قد اتصفت بتلك الحالة مع تعلق التدبير فيه منك فإنك في حالة فناء لا موت فلا بد من الرجوع ولكن الحال ما يعطي إلا مخاطبة أصحاب الغفلات.

15 - يخاطب هذا الراقد يقول له: لو تعشقت بهذه الفتاة الحسناء التي هي الصورة الذاتية التي هي مطلب العارفين لنلت النعيم بها والسرور، يريد بسببها، أي وأنها إن لم تحصل فإن تجليها إليك يتضح لذلك التجلي كل ما في ملكك فيظهر جميع ملكك لك بتلك الصورة الذاتية، فلولا تجليها ما اكتسبت المملكة هذه الصورة الحسناء، فالنعيم بجميع الملك للمشاهد مع هذا التجلي نعيم بالذات في صورة الملك لأن الذات تضيء ولا يلتذ إلا بالمواد.

16 - **يقول**: هذه الصورة التي اكتسبت حسن الصورة الذاتية بالتجلي الذي ذكرناه تعاطيك بالغنج والحديث ما تعطيك الخمر من الطرب والسرور واللذة. ولما كان المشهد ذاتياً لذلك قال:

تـنـاجـي الـشـمـوس تـنـاغـي الـبـدورا

فإن الشارع شبه الرؤية في الدار الآخرة بالشمس والقمر فقال: ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر وكما ترون الشمس، وجعل المناجاة للشمس إفصاحاً وإيضاحاً وبياناً في الحديث لأنه نهار، ونسب المناغاة للبدر لأنه نور الليل وهو إجمال لا تفصيل وبيان ومحل رمز، فإن المناغاة الغالب في استعمالها للطيور، فلهذا جعل المناغاة للبدور.

يا حادي العيسِ

1 - يا حاديَ العيسِ لا تَعجلْ بها، وقِفا	فـإنّـنـي زَمِـنٌ فـي إثـرِهـا غـادي

2 - قِفْ بـالـمَطايا وشـمّرْ من أزِمّتِها	بـاللهِ، بـالـوَجدِ والـتبـريـحِ، يا حـادي

1 - يقول: الروح الإلهي الناطق من الإنسان المأمور بتدبير هذا البدن للداعي من جانب الحق الذي كنى عنه بالحادي. والعيس: الهمم[1]. يقول له: لا تعجل بسيرها، يريد حتى تنظر بأي حقيقة إلهية ذاتية تعقلها. وأمره بالوقوف على التوكيد فثناه، كما قال الحجّاج: يا حارس اضربا عنقه، أراد اضرب اضرب مرتين للتوكيد، فثناه. وقوله: فإنني زَمِن[2] في إثرها غادي؛ نسب الزمانة له لوقوفه مع هذا البدن وارتباطه به إلى الأجل المسمى. وقوله: في إثرها، يريد في إثر الهمم. وغادي يقول رائح عند حلول الأجل المسمى بمفارقة هذا البدن الذي أورثني الزمانة، وأكد هذا المعنى.

2 - كنى عن الهمم بالمطايا.

وشمر من أزمتها، يقول: امسكها عن التقود إلى مطلوبها حتى أكون فيها على قدم محقق. ثم أقسم على الحادي الذي هو الداعي إلى الحق بالله إشارة إلى المرتبة فأقسم بها لأن الداعي خديمها فيقف عند هذا القسم ولم يخص له اسماً لئلا يكون وقوفه بحسب ما يعطيه ذلك الاسم أو انتهاء منه من غير وقوف، والذي أقسم به أمر جامع، فلا يقدر هذا الداعي أن يحكم على الاسم الجامع بأمر معين فلا بد له من الوقوف إبراراً للقسم لا للمقسم. ثم أقسم عليه بالوجد ليحصل في نفسه شفقة عليه فيكون وقوفه بضرب من الرحمة والشفقة. وقوله: والتبريح، أقسم أيضاً بما ظهر لك من حالي وتحققته. ثم ذكر أيضاً المانع من رحلته حيث تروح هممه.

(1) الهمم عند المتصوفة توجه القلب إلى قصده بجميع قواه الروحانية.

(2) الزَّمِن: الزمانة: مرض يدوم.

3 - نَفْسي تُريدُ ولكِن لا تُساعِدُني رِجلي، فمن لي بإشْفاقٍ وإسعادِ
4 - ما يَفعَلُ الصَّنَعُ النّحريرُ في شُغُلٍ آلاتُه أَذِنتْ فيهِ بإفسادِ
5 - عَرّجْ، ففي أيمنِ الوادي خيامهمُ لله دَرُّكَ ما تحويه يا وادي!

---

3 - شبه نفسه في تقييده بهذا البدن، ومنع هذا التقييد له من معارجه حيث يريد الحركة، فالإرادة منه موجودة والآلة التي يبلغ بها المطلوب غير مساعدة. ثم قال: فمن لي بإشفاق، يريد بصاحب الإشفاق، مساعد لي على ما أريده من مفارقة هذا العالم الخسيس محل الحجاب والظلمة وطمس الأنوار والغمة. والذي أشار إليه المشفق المساعد هو القدر.

يقول: من لي بمساعدة القدر شفقة منه علي لما أنا فيه من الغم والكرب وحكم الكيف والكم. ثم أخذ يعزي نفسه في البيت التالي.

4 - كنى بالصنع عن نفسه. والصنع هو الحاذق بالعمل الماهر.

يقول: ما أفعل وإن كنت قادراً على المفارقة في أوقات ما، يشير إلى زمن الفناء والغيبة في أوقات الأحوال والواردات الإلهية، ولكن ما هو مطلبي إلا الرحلة الكلية فإن الجذب الذي يجذبني من عالم الحس في وقت الفناء قوي، وهو الذي عبر عنه بالآلة. يقول: فذلك الجذب يفسد علي شغلي أي ينكر علي حال مناي وغيبتي بجذبه لردي إليه في تدبيره لئلا ينخرم، وذلك لعلمه بما بقي عندي في خزانتي من مصالحه وتدبيره الذي أودعنيه الحكيم سبحانه.

5 - **يقول للحادي**: عرّجْ بالهمم إلى أيمن الوادي، يشير إلى المراد بالطود الأيمن بالوادي المقدس حالة التكليم والمناجاة[1] بفنون العلوم. وقوله: خيامهم، يقول: منازل هذه الهمم، يقول: إنها لا تنزل إلا في العلم بالله لا في الله لأنه سبحانه ليس بمحل لنزول شيء فيه ولكن غاية الممكن كله العلم بالله فمدار الكل على العلم لا على غيره لأنه ليس بيد الممكن سواه حيث كان. ثم أخذ يقول: لله درك ما تحويه يا وادي، يريد من

---

(1) **المناجاة**: مخاطبة الأسرار عند صفاء الأفكار للملك الجبار، وللمناجاة آداب حدّدها القرآن الكريم، منها: ﴿وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المجادلة: 9]. و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ [المجادلة: 12].

6 - جمعتَ قوْماً هُمُ نفْسي، وهمْ نفَسي وهـم سَـوادُ سُـوَيـدا خِـلْـبِ أكـبـادي
7 - لا درَّ درُّ الـهَوى إن لـم أمُت كـمَداً بـحـاجـرٍ أوْ بـسَـلْـعٍ أو بـأجـيـاد

المعارف الإلهية القدسية الموسوية التي قيل فيها لنبينا، ﷺ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصص: 46]، وقوله: ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: 17].

6 - يخاطب الوادي يقول: جمعت قوماً، يريد ما فيه من المعارف والهمم. هُمُ نفسي: يريد الهمم: وهُمْ نَفَسي: يريد المعارف. «وهم سوادُ سويدا خِلْب أكبادي» يريد الهمم فإن انبعاثاتها من سويدا القلب.

يقول: وأنا وإن لم أحظ بحلولي فيك لألتذ بما تحويه وأتنزه فإن حلول هممي فيك كحلولي لأنها مني وإلي، تعزية لنفسه بذلك لما يجده من الشوق إلى المفارقة واللحوق بالعالم الأقدس. ثم أخذ يعرض بحاله وهيمانه في ذلك.

7 - **يقول**: أنا أدعي الهوى والهوى سبب مهلك إذا أفرط أدى إلى الرحلة عن هذا الموطن، كما اتفق فيما حكي عن جماعة من المحبين أن محبوبه قال له: إن كنت تحبني فمت، فوقع من حينه في الأرض بين يديه ميتاً. فأخذ يدعو على هواه في هذا العالم الأقدس: لا كان هذا لا يميتني كمداً وشوقاً بحاجر اللحوق بالبرزخ: إذ هو الحاجز بين الشيئين، أو بسلع.

يقول: إن لم أمت كمداً بسبب حب اللحوق بعالم البرزخ فأتجرد عن هذا الهيكل الذي طال حبسي فيه بالحجاب أو بسلع أو بسبب مقام مشرف على المقام المحمدي، فإن المقام المحمدي[1] ممنوع الدخول فيه وغاية معرفتنا به النظر إليه كما ينظر في الجنة إلى عليين كنظرنا إلى الكواكب في السماء، فإن سلعاً جبل بذي الحليفة يشرف على المدينة فكنى عنها بالمقام المحمدي لإقامة محمد فيها فأشار إلى رتبته ومرتبته، أو بأجياد جبل مشرف بالحرم المكي على البيت، يقول: أو بسبب مقام إلهي يغنيني عن كل كون فلا كان هوى لا يلحقني بهذه المراتب الثلاث أو بمكان منها.

(1) **المقام**: مقام العبد بين يدي الله عز وجل، بما يقوم به من عبادات ومناجاة ورياضات. **والمقام المحمدي**: الذكر. وهو المعبَّر عنه باصطلاحهم بالصحو الثاني أو بالصحو بعد السكر.
الموسوعة الصوفية، ص964.

قِفْ بالمنازِل

1 - قِفْ بالـمَنَازِلِ، واندُبِ الأطلالا وسـلِ الـرّبُـوعَ الـدارسـاتِ سُـؤالا :

2 - أينَ الأحِبّةُ؟ أينَ سارَت عِيسُهم هَـاتِـيـك تَـقـطَـعُ فـي الـيَـبـابِ ألالا؟

3 - مِثلَ الحَدائقِ، في السّرَابِ ترَاهـمُ الآلُ يَـعـظُـم فـي الـعُـيـونِ ألالا

---

1 - **يقول**: قف بي لداعي الحق من قلبه بالمنازل، يريد المقامات التي ينزلها العارفون بالله في سيرهم إلى ما لا يتناهى من علمهم بمعبودهم. وقوله: «واندب الأطلالا»، وابك على ما بقي فيها من آثارهم حيث لم يكن لي معهم قدم فيما نزلوا فيه. ثم يقول: وسلِ الربوعَ، يعني المنازل، إن لم ترعنا فيها للنازلين حتى تخبرك المنازل عنهم بما كانوا عليه معها من الآداب وسني الأحوال ليكون لك بذلك تأديب ومعرفة. وسماها دارسات لتغيرها عن الحال التي كانت عليها حين نزولها، فإن المنازل بعد فراق النازلين يذهب الأنس بها لذهابهم إذ لا وجود لها من كونها منازل إلا بهم.

2 - **يقول**: أين درجوا وأين سارت بهم هِممهم، التي كنى عنها بالعيس؟ فأجابته بقولها: هاتيك، أي انظر إليهم يسيرون في مقام التجريد، الذي كنى عنه باليباب وهو القفر، يقطعون فيه الدلائل على مطلوبهم فإنها مرتبطة بوجود المطلوب عندهم. كما قال: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ [النور: 39].

3 - **يقول**: انظر إليهم في السراب مثل الحدائق، جمع حديقة، وقد أورثهم دخول هذا المقام حال العظمة وهو ألالا الأول وألالا الثاني هو شخص الماشي في السراب بهذا الشرط، وسبب عظمه كونه دليلا فيعظم لدلالته على عظيم الذي هو مطلوبه، ولذا قال حتى يعظم، يعني ما لم يكن وهو أنت ويبقى من لم يزل وهو هو. وقال تعالى: ﴿كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ﴾ [النور: 39] مقام التواضع ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ [النور: 39] فدل على شيء وهو قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ [النور: 39] لانقطاع الأسباب عنه وهو مقام شريف، فلهذا قال: الآل يعظم في العيون ألالا، أي أن العظمة التي كانت للإنسان على غيره من الممكنات لأنه أقوى في الدلالة على الحق لكونه على النشء

4 - ساروا يُرِيدونَ العُذَيبَ[1] لِيشرَبوا مـاءً بـهِ مـثـلُ الـحـيـاةِ زُلالا
5 - فَقَفَوْتُ أسألُ عنَهمُ ريحَ الصَّبا: هـل خَيَّمُوا أو استظلُّوا الضّالا[2]؟!
6 - قالَت: تركتُ على زَرودٍ[3] قِبابَهم والـعِـيس تَـشكُـو مـن سُراهـا كَـلالا
7 - قد أسدلوا فوْقَ القِبابِ مَضَارِباً يَـستُـرْنَ مـن حـرّ الـهَـجِيـرِ جَـمـالا

الأكمل، وهو قوله ﷺ: إنه مخلوق على صورة الرحمٰن، فلهذا كان أقرب الأدلة وأقواها وأعظمها. ثم أخذ يذكر ما قصد الأحبة بسيرهم.

4 - **يقول**: ساروا طالبين سر الحياة بمقام الصفا من عين الجود لتحيا بذلك نفوسهم، فكنى عنه بالشرب وهو ثاني مرتبة من مقام التجلي، فإن الذوق أول مبادي التجلي، ثم أخذ يصف حاله في طلبه آثارهم والتفحص عن أخبارهم.

5 - **يقول**: فتبعت آثارهم أتفحص أخبارهم من ريح الصبا، وهي الريح الشرقية، يريد عالم الأنفاس الذين كانوا بعين التجلي.

يقول: أسأل هؤلاء أصحابنا هل نزلوا مستظلين بما كسبوا أو استظلوا بما وهبوا فإن الخيام من عملهم والضال ما لهم فيه تعمل. وقصد الضال دون غيره لأن فيه معنى الحيرة. ثم أخذ يذكر ما أجابته ريح الصبا عنهم.

6 و7 - **يقول**: قالت حين سألتها عنهم تركتهم نازلين في قبابهم. يشير إلى أنهم في ظل كسبهم على حالة التزلزل وعدم الثبوت، فكنى عن ذلك بزرود، رملة عظيمة في قفر، ولما كان الرمل كثيراً ما تنقله الرياح عن حالاته وعن أماكنه شبه حالة التزلزل وعدم الثبوت على أمر واحد به. وقوله: والعيس تشكو من سراها، يعني من تعلقها مطلوبها. كلالا: أي إعياء، والعياء الذي ينسب إليها من كونها تطلب من لا ينضبط ولا يتصور ولا يحصل في النفس منه إلا آثاره لا هو.

ثم أخذ ينبه على قوله: لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره، لكن جعل الحجاب

(1) العُذيب: الماء الطيب، ماء بين القادسية والمغيثة. واسم واد لبني تميم. معجم البلدان المجلد الثالث، ص304 .

(2) الضال: ضرب من الشجر.

(3) زَرود: اسم موضع. انظر معجم البلدان المجلد الثاني ص474.

8 - فانهَضْ إليهِمْ طالِباً آثارَهم وارفُلْ بعِيسِك نحوَهم إرفالا

9 - فإذا وَقفتَ على مَعالِمِ حاجِرٍ وقَطَعتَ أغواراً بها وجِبالا

10 - قَرُبَت مَنازلُهم، ولاحَت نارُهم ناراً قَدَ اشعَلَتِ الهَوَى إشعالا

عليهم وفي حقهم لا على الوجه، فقال: إن سطوات أنوار هذا المقام إن لم تكن على وجوههم أي حقائقهم فإن وجه الشيء حقيقته ما يسترها وإلا ذهب هذا النور بمحاسنهم كما تغير الشمس محاسن الوجوه في المعتاد. ثم أخذ يحثه على الرحيل خلفهم وما يفعله إذا لقيهم.

8 - **يقول**: تأدب مع المتقدم عليك ولا تزاحمه في مقامه فإنه ليس لك فيه شيء. يريد بذلك مقامات الأنبياء، عليهم السلام، وهم العارفون المذكورون في هذه القطعة الذين كنى عنهم بالأحبة.

يقول: فاطلب آثارهم أي اقتف على مدرَجتهم وزاحمهم بالهمة التي كنى عنها بالعيس لا بالحال فإن الحال محجوب في هذا المقام على غير النبي، ﷺ، وقد حكي عن أبي يزيد[1] وغيره في هذا المقام حكايات معروفة: فإنه فتح له من مقام النبي، ﷺ، قدر خرم الإبرة تجلياً لا دخولا فاحترق. ومثل هذا كثير. والهمة لا تعجز عن الطلب ولا عن التعلق ولكن ما كل ما يراد ويتعلق به ينال فلهذا لا يحجر على تعلق الهمم والفائدة في تعلقها وإن لم يحصل لصاحبها قدم في ذلك قبل نيل الإشراف على المطلوب والتنزه فيه كمن يتنزه فيما هو خارج عنه بجسمه وبصره يدركه، كتفرجنا في زينة الكواكب في السماء ونحن بذواتنا في الأرض.

9 - **يقول**: فإذا وقفت على موضع الحجر الذي ذكرناه الحائل بيننا وبين حصولنا فيه بالحال وقطعت المواضع الغيبية التي هي الأغوار والسبل التي هي الجبال التي يهدينا الحق إليها بعد الجهاد، من قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: 69].

يقول: فإذا حصلت هذه الحالات تقرب من المنازل العلية.

10 - **يقول**: قربت منازلهم لك. وقوله: ولاحت نارهم، أي المكاره التي اقتحموها حتى

---

(1) **أبو يزيد**: طيفور بن عيسى البسطاميّ (188 - 261 هـ (804 - 875م). انظر ترجمته في الرسالة القشيرية، ص395 - 396.

والموسوعة الصوفية، ص67 - 72.

11 - فأَنِخْ بها لا يرهبنّكَ أُسدُها الإشتياقُ يُريكَها أشَبالا

أوصلتهم إلى هذه المنازل العلية، فإن الجنة حفت بالمكاره. كما ذكر لي بعض المكاشفين بالموصل وكان من الصادقين أنه رأى معروفاً الكرخي رضي الله عنه [1]، في وسط النار قاعداً فهاله ذلك وما عرف معناه، فلما ذكره لنا قلت له: تلك النار هي الحمى على منزله الذي رأيته فيه قاعداً فمن أراد أن ينال ذلك المنزل الذي هو فيه فليقتحم إلى هذه النار والغمرات، فسررته بذلك، وعرف أنه الحق. فهذا هو النار الذي أراد به صاحب هذا القول.

وقوله:

قد اشعلت الهوى إشعالاً

يقول: أضرمت في القلب نار الحب لنيل هذا المقام ليكون تأييداً له وقوة على اقتحام الشدائد في نيل المطلوب الذي تعلق به قلبه.

11 - **يقول:** «**حبك الشيء يعمي ويصم**» فلا تقع عينك على ما تخاف منه مما يحول الخوف بينك وبين مطلوبك ويصم عن سماع ما يتخوف به كل طالب في طريق مطلوبه.

يقول له: إن كنت صادقاً في حبك فلا يرهبنك ما ترى من الشدائد التي كنى عنها بالأسد، فإن الصدق في الشوق إلى ذلك يردها في عينك بمنزلة الأشبال التي هي صغار الأسد التي لا يخاف منها، أي يهون عليك الشدائد والأمور الصعاب ما تجده من الشوق إليهم.

---

(1) معروف الكرخيّ: من جلّة مشايخ العراق الزاهدين، الكرخيّ نسبة إلى الكرخ إحدى قرى بغداد. انظر ترجمته في الموسوعة الصوفية، ص544 - 546.

الطَّلَلُ الدارسُ

1 - يا طَلَلاً عندَ الأُثيلِ دارِسَا لاعَبْتُ فيهِ خُرّدا أوانِسَا

---

1 - كنا قد نزعنا في شرح هذه القطعة وغيرها منازع مختلفة في مواضع شتى على حسب ما **يعطيه السماع في وارد الوقت**، فالآن أيضاً أقول فيها: إن السماع أعطى في قوله: «يا طللاً عند الأثيل»، الطلل: ما بقي من أثر الديار بعد خلوها من ساكنيها. واعلم أن الإنسان فيه مناسب من كل شيء في العالم فيضاف كل مناسب إلى مناسبه بأظهر وجوهه وتخصصه الحال والوقت والسماع بمناسب ما دون غيره من المناسب إذا كان له مناسبات كثيرة لوجوه كثيرة يطلبها بذاته.

فأقول: إن الأُثيل هنا تصغير الأثل وهو الأصل. والطلل: أثر طبيعي وهو ما بقي فيه من أثره الطبيعي. فالأثيل هنا الطبيعة التي هي الأصل. وقوله دارساً؛ يريد متغيراً بما يرد عليه من الأحوال فيتغير من حالة إلى حالة، وإذا تغير إلى حالة ما فقد ذهب أثره من الحالة التي انتقل عنها حتى أعقبها غيرها. وقوله:

لاعبت فيه خُرَّداً أوانسًا: أراد بالخرّد الحكم الإلهية التي يأنس بأنس الاطلاع عليها قلب العارف.

فهو يتذكر حالته التي كان عليها عند فنائه عن عالم الفناء والدثور. وقوله: لاعَبْتُ فيه، الضمير يعود على «الطلل» فإنه ما شاهد شيئاً إلا فيه وسببه فإنه بالأصل متولد عنه فإنه بعد التسوية الطبيعية لم يحصل فيه هذا السر الروحاني الرباني على صورة المزاج وطبع التأليف ساذجاً لا علم له ثم إنه بواسطة ما أودع الله في هذا الهيكل من القوى يحصل ما يظهر عليه من العلوم والمعارف كلها الرياضية والطبيعية والإلهية فبهذا يكون شرف لهذا القالب.

2 - بالأمسِ كان مُؤنِساً وضاحِكاً   واليومَ أضحَى مُوحِشاً وعابِسَا
3 - نأوا[1]، ولمْ أشعُرْهُمُ، فما دَرَوا   أنّ عليهِمْ مِن ضَميري حارِسا
4 - يَتبَعهُمُ حيثُ نأوا وخيّمُوا   وقد يكونُ للمطَايا سائِسَا

---

2 - كنى بالأمس عن الزمان الماضي.

يقول: كان فيه بمغيبه وفنائه مع العالم الأعلى عالم البقاء من غير استمرار زمان عن عالم الفناء والإحساس المقيد في عالم الشهادة مؤنساً وضاحكاً في ابتهاج وسرور وغبطة وحبور، فإنه بمناسبة الروحاني كانت ألفته في هذا المشهد، فلما رد في الحالة الثانية التي كنى عنها باليوم إلى حالة إحساسه ومشاهدة عالم الضيق والحرج وفراق تلك الفسحات والفرج العلوية والمسارح أخذته الوحشة لتلك الفرقة فصار عبوساً مهموماً مغموماً.

3 - **يقول**: إن الملأ الأعلى الذين كانوا مشهودين له في هذا المقام لما رحلوا ورد بي إلى شاهدي من تلك الغيبة بعث عليهم حارساً ضميري وخواطري وهممي تحرسهم وتبصرهم مثل ما يفارق الإنسان منزلا ما بإحساسه وهو حاضر معه بخياله ومثاله في نفسه. ثم أخذ يصف حالة هذا الضمير.

4 - **يقول**: يتبعهم حيث توجهوا في سيرهم في المنازل الإلهية. وخيموا إذا قاموا بمقام ما من مقامات الجمع والوجود[2] لورود الشهود الذي لا تصح معه حركة منه بل له الثبوت في ذلك المشهد، والمطايا هم السائرون الذين اشتاق إليهم بالهمة، وقوله: «سائساً»، يسوسهم أي يؤثر فيهم بالهمة فتكون منهم التفاتة إليه وذلك من صدقه فإن الصغير يؤثر في الكبير إذا صادق التوجه، وهذا يظهر كثيراً في المريدين الصادقين مع الشيوخ وإن كان الشيوخ أعلى ولكن صدق التوجه إليهم آثر لهم رحمة بهم ﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: 24] عاجلاً وهو هذا وآجلاً ما يكون في الأخرى لهم. ثم أخذ يصف أحوال السائرين.

---

(1) نأوا: بَعُدوا.

(2) الوجود: بعد الارتقاء عن الوجد، ولا يكون وجود الحق إلا بعد خمود البشرية، لأنه لا يكون للبشرية بقاء عند ظهور سلطان الحقيقة.

الرسالة القشيرية، ص62.

5 - حتّى إذا حلّوا بقَفْرٍ بَلْقَعٍ وخَيَّمُوا، وافترَشُوا الطّنَافِسَا
6 - عادَ بِهِمْ رَوْضاً أغَنَّ يانِعاً من بعدِ ما قدْ كان قَفْراً يابِسَا
7 - ما نَزَلُوا من مَنزِلٍ إلاّ حَوَى من الحِسانِ رَوْضَةً طَواوِسَا

5 - **يقول**: نزلوا بمقام التنزيه وتجريد التوحيد وخيموا، مثل قوله ﷺ: **«إن الإنسان يوم القيامة في ظل صدقته»**. وافترشوا الطنافسا: هو ما مهد لهم الحق في منازلهم عند ورودهم عليه من عالم الأكوان وما أتحفهم به في ذلك المقام من البر والإكرام. ثم أخذ يذكر ما أثر نزولهم في ذلك المقام عندهم وما ينزل إليهم من عند الحق من الألطاف والتحف والعوارف بنزولهم.

6 - نبه في هذا البيت على أن تجريد التوحيد لا يثبت معه حقيقة زائدة على العين أصلاً، فإذا قاموا في هذا المقام وتحققوا به وعلموا معنى قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: 11] ردهم إلى توحيد ذواتهم من حيث أحديتهم التي لا شبيه لها من حيث العين في ذاتها.

ثم ذكر قبولها لما يفيضه[1] الحق عليها من الأسرار الإلهية لحقائق الأسماء فشبهها بالروضة لكونها جامعة لفنون الأزهار وبين أن ذلك من مقام الفهوانية بقوله: أغنّ، فجمع بين الكسب والوهب[2] من طريق المشاهدة والكلام. فكأنه في هذا المقام موسوي ومحمدي على مذهب ابن عباس وأكثر المحققين. ثم أخذ يصف ما يؤثرون هؤلاء في المنازل بنزولهم.

7 - **يقول**: إذا نزلوا في منزل فكان ذلك بحسن فنون حالاتهم وأعمالهم وخلقهم نزلوه طواوِس لحسنهم واختلاف ألوان لباسهم. وشبههم بالطيور لغلبة الروحانية عليهم. ولما كانت الطيور ممتزجة بين العالم الروحاني المطلق من حيث طيرانهم في الجو وسياحتهم في الهوى وبين العالم الجسماني من حيث هيكلهم وتركيبهم لذلك أوقع التشبيه بها لأن الأرواح الإنسانية المقيدة بهذا الهيكل لم تخلص عنه تخلص الأرواح المسرحة التي لا تقييد لها بعالم الأجسام لأنها مدبرة بأصل الفطرة والجبلة[3] ولا

(1) يفيضه: يجعله يطفح ويتسع. والمراد هنا نظرية الفيض عند المتصوفة.
(2) الوهب: العطاء.
(3) الجبِلّة: الخِلْقة.

8 - ولا نـأوا عـن مـنـزِلٍ إلاّ حـوَى مـن عـاشِـقِـيـهِـمْ أرضُـهُ نَـوَاوِسَـا

تخلصت أيضاً لأن تكون من عالم الجسم فتكون ظلمة مطلقة كثيفة ثقيلة تتحرك بغيرها لا بنفسها فأشبهت الطير بهذا، وذلك أنها متولدة بين الظلمة والنور فهي ممتزجة فكأنها برزخ بين العالمين النوراني والظلماني.

8 - **يقول**: ولا رحلوا عن منزل إلا حوى من عاشقيهم، أي ممن له تعلق بهم، من الحقائق التي يجب أن تظهر آثارها فيهم لظهور سلطانهم لهم، فإن المعارف لا وجود لها إلا بالعارفين فهي أشد عشقاً في وجود العارف بها من حيث ما هو عارف بها من شوق العارف إليها، فإن العارف قد يمكن أن يجهل بعض المعارف فلا يتصور منه طلب ولا عشق، فلهذا وصفها عند مفارقة العارفين بالموت، فإن النواويس المدافن.

مَرضي من مَريضةِ الأجفانِ

1 - مَـرَضـي مـن مَـرِيـضَـةِ الأجـفـانِ   عـلِّـلانـي بـذِكـرِهَـا عَـلِّـلانـي

2 - هَـفَـتِ الـوُرقُ بـالـرّيـاضِ ونـاحَـتْ   شـجـوُ هـذا الـحَـمـامِ مـمّـا شَـجَـانـي

---

1 - المرض: الميل.

يقول: لما مالت عيون الحضرة المطلوبة للعارفين من جانب الحق سبحانه بالرحمة والتلطف إلينا أمالت قلبي بالتعشق إليها، فإنها لما تنزهت جلالاً، وعلت قدراً، وسمت جبروتاً وكبراً لم يتمكن أن تعرف فتحب فتنزلت بالألطاف الخفية إلى قلوب العارفين، بقوله: «**ووسعني قلب عبدي**». ضرب من التجلي تعلق القلب عند ذلك فكان الحب وكان الميل الدائم وهو المرض المحمود. وقوله: عللاني بذكرها، لما ذكر المرض طلب التعلل وما بأيدي الكون منه إلا الذكر فإن ضبطه وتحصيله محال فطلب ما يجوز له طلبه وهو الذكر. كما قال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: 152] وثنى يريد ذكراً بلسان الغيب وذكراً بلسان الشهادة، وكرر التعليل بالتثنية. يقول: اذكراه لي بذكري له وبذكره إياي. وهو حالة فناء العبد عن ذكر ربه بذكره لذكره بربه لربه بلسان عبده، كما قال عليه السلام، في الرفع من الركوع: «**فإن الله قال على لسان عبده: سمع الله لمن حمده**»[1].

2 - **يقول:** هفت: تحركت. وناحت: ندبت على المقابلة. والشجو: الحزن.

يقول: تحركت الأرواح البرزخية بالرياض، يريد رياض المعارف، وناحت: ندبت نفسها حيث لم تخلص بذاتها لجناب الأرواح المسرحة عن التقييد بهذا الهيكل الذاتي فسحات الأطباق العلى مع الملإ الأعلى فقابلت ندباً مني ما يناسبها من اللطيفة الممتزجة فأحزنها الذي أحزنني للمشاكلة[2] التي بينهما.

---

(1) أخرجه البخاري، رقم (657، 658).

(2) المشاكَلة: المشابهة.

3 - بأبي طَفْلةٌ لَعُوبٌ تَهادَى ... مِن بناتِ الخدورِ بين الغَواني

4 - طَلَعت في العِيانِ شمساً، فلمّا ... أفلَتْ أشرقَت بأُفقِ جَناني

5 - يا طُلولاً برامةٍ دارساتٍ ... كم رَأتْ من كواعبٍ وحِسانِ

3 - الطَّفلة: الناعمة، والإشارة بها إلى الطفولية وهو حدوث عهدها بوجودها للحق لا لنفسها. واللعوب: التي يكثر منها اللعب؛ يريد أنها متحببة لا همَّ لها، مسرورة لقربها من مشهدها الأقدم. والغواني: ذوات الأرواح. وهن بينهم بكر لم يطمثها إنس قبل هذه المعارف ولا جانٌ أي مستتر. **يقول**: ما التذ بها عالم الغيب ولا عالم الشهادة. الإشارة إلى حكمة علوية إلٰهية ذاتية أقدسية مشهودة لهذا القائل، لينة تورث السرور والابتهاج والطرب، والفرح لمن قامت به، فهي اللعوب تهادى، أراد تتهادى، بين حكم إلٰهية ولطائف قد تحقق بها العارفون الذين سبقوا لهذا العارف بالوجود. وجعلها من بنات الخدور. يشير إلى أنها كانت خلف حجاب الصون والحفظ والغيرة في سيرها من الحضرة الإلٰهية لقلب هذا العارف في المنازل العلوية حتى تصل إليه، وبهذا كنى عن ذلك بالخدور وهي الهوادج. ولا تكون الظعينة في ستر الهودج إلا في الرحيل، فإذا نزلوا كن مقصورات في الخيام.

4 - يشير إلى قوله ﷺ: **«ترون ربكم كما ترون الشمس بالظهيرة ليس دونها سحاب»**[1] يقول: طلعت هذه المتغزل فيها في عالم الملك والشهادة من الاسم الظاهر الكبير المتعال فأعطت في هذا التجلي ما تعطي الشمس في عالم الأركان من الأثر المعنوي والحسي إلى أن انتهت بالسير نصف دائرة العالم ثم غربت عن الملك والشهادة وكان غروبها شروقاً في عالم الغيب والملكوت وبذلك كنى عنه بالجنان من الستر ولم يكن عنه بالقلب تحرزاً من التقليب والتلوين[2] في هذا المقام. وذكر الأفق من أجل الاعتدال وأن الإنسان بما تعطيه نشأته لا يبقى عند نظره على حالة اعتداله إلا بالنظر لما يواجهه من قلبه وهو الأفق، فمتى رام أن ينظر إلى غير الأفق خرج عن الاعتدال فلهذا قال بأفق جناني.

5 - أراد بالطلول: القوى الجثمانيات منه. وأراد برامة من رام يروم، وهي المحاولة، وهذا هو النداء المنكر.

(1) تقدّم تخريجه.

(2) التلوين: من مقامات المتصوفة، وقد تقدم الحديث عنه.

6 - بـأبـي، ثُـمّ بـي غَـزَالٌ رَبِـيـبٌ   يَـرْتَـعـي بـيـنَ أضـلُـعـي فـي أمَـانِ

يقول: أيتها القوى كم تحاولين تحصيل ما لا يمكن تحصيله وأنت محل التغيير والتلوين من حال إلى حال. فإن الدارس: هو المتغير. ثم أخذ ينبهها بما رأت قبل ذلك مما أفناها وسحقها ومحقها من الحكم الإلهية واللطائف والإشارات العلوية. والكاعب: التي صار ثديها كالكعب؛ وهو أول شباب الجارية، والإشارة إلى ثدي هذه الحكمة لأنها تحمل اللبن الذي هو الفطرة مشروب رسول الله، ﷺ، في ليلة معراجه[1]، وبين ثدييه، ﷺ، وجد برد الأنامل فعلم علم الأولين والآخرين من ذلك. فإن اللبن الذي يحمله الثدي الواحد كنى عنه بعلم الأولين واللبن الذي يحمله الثدي الآخر كنى عنه بعلم الآخرين وبينهما موضع الجمع لتحصيل العلمين ليقع بذلك للعالم التمييز إذا وقع منه الإحساس في ذلك الموضع. كما قال: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمٰن: 20]، لئلا يقع الالتباس. وأراد بالحسان إشارة إلى أنهما من عين المشاهدة، فإن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، وهو مشتق من الحسن.

6 - **يقول**: أفدي هذا المحبوب المتجلي لي بأبي وبنفسي. يشير لما يطرأ عليه لو اتفق حال الفناء. فكنى عن هذا المحبوب بالغزال لوجهين الواحد لاشتقاقه من الغزل وهو التشبيه والمحبة والنسيب، والوجه الآخر الوحش الذي يألف القفر.

فكأنه يقول: هذا المعنى المطلوب لي مولده ومقامه إنما هو القفر الذي هو مقام التجريد وحال التنزيه والتقديس، أي إذا كان هذا حالي ومقامي ألفه هذا المعنى كما يألف الغزال القفر. وقوله: ربيب، أي مربى، كأنه يريد أنه نتيجة عن مطلب الهمة، ونظيره في العمل الصدقة تقع في يد الرحمٰن فيربيها كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله. فكذلك المعاني الإلهية إذا كانت معقولة للهمم حتى يتصور طلبها لها فتقبل التربية خلاف ما لا يخطر على القلب فلا يتعلق به الهمة. وقوله: يرتعي من الرعي، والرعي يكسب السمن الذي يحصل منه للمرتعي حسن وجمال. فكذلك هذا الوارد الإلهي إذا حصل بقلب الأديب زينه وحسنه بالأدب في التلقي فإنه لا بد أن يرجع إلى موجده فيرجع بأحسن صورة وهي موارد الأوقات وبابها في المعارف واسع. وقوله: بين

(1) انظر الأحاديث الواردة في ذلك في صحيح البخاري. رقم (82) و(3674).

7 - ما عليه مِن نارِها فهو نُورٌ   هكَذا النورُ مُخْمِدُ النيرَانِ
8 - يا خَليليّ عَرّجَا بعِناني   لأرى رسمَ دارِها بعِياني
9 - فإذا ما بلغتُما الدارَ حُطّا   وبها صاحبيّ، فلْتَبكِياني

أضلعي في أمان، يعني للانحناء الذي في الضلوع فكأنها كالحاوية عليه الخائفة لئلا يطرقه شيء. كما قد ذكرناه في قصيدة لنا في هذا الكتاب، وهو قولنا[1]:

فطويت من حذرٍ عليه شراسفا

فلهذا أوجب له الأمان.

7 - **كأن قائلا قال له**: إن هذا المحل الذي جعلته مرعى لغزالك ناري، فقلنا له ما عليه من ذلك فإن النور أقوى في الفعل منه. وهذه الموارد نورانية توردت من حضرة النور، فلا شك أن النار الطبيعية التي بين أضلع هذا المحب لا تقوى لها ولا تنعدم فإن المحبة تشعلها وتقويها، فغاية الأمر أن تخمد، يريد أنه لا أثر لها فيه، ألا ترى في الحسن كيف يذهب نور الشمس نور النار في رأي العين وإن كنا نعلم أن لها نوراً ولكن اندرج الأضعف في الأقوى في أعيننا فنراها كأنها خامدة وفي نفس الأمر على ما هي عليه من الاشتعال.

8 - يخاطب داعييه اللذين للحق فيه من عالم غيبه وشهادته، يقول لهما: اثنيا بعناني، يريد الأمر الذي يحكم به وبمشيه على الطريق الأقوم، لأرى رسم شخص دارها، أي الحضرة التي منها صدرت هذه الحكمة المحبوبة، أي ببصري من كونه بصراً لا من كونه مقيداً بجارحة ولا بجهة. فكأنه يطلب مقام المشاهدة إذ الحكمة ليست مطلوبة إلا من أجل ما تدل عليه.

9 - **يقول لهما**: إذا وصلتما إلى المنزل فحطّا بي ولا شك أن هذه الحضرة تغني كل من وصل إليها وشاهدها فإن المشاهدة فناء ليس فيها لذة.

يقول: فإذا رأيتماني قد فنيت عن وجودي وعنكما فابكياني لكما لا لي لتعطيكما بفنائي عما تعطيه حقائقكما، فإن لم أجد الدار ووجدت الأثر بكيت مثلكما.

(1) هذا عجز بيت من قصيدة لابن عربي في هذا الديوان بعنوان «عربية عجماء» الآتي ذكرها وشرحها.

10 - وقِفا بي على الطّلولِ قليلاً نَتَباكَى، بل أبكِ مما دَهاني
11 - الهَوَى راشقي بغَيرِ سِهامٍ الهوَى قَاتلي بغَيرِ سِنانِ
12 - عَرّفاني إذا بَكَيتُ لدَيها تُسعِداني على البُكا تُسعِداني
13 - واذكُرا لي حديثَ هِندٍ ولُبنى وسُلَيمى، وزَينبٍ وعِنانِ

---

10 - **يقول**: قفا بي إن أجد رسم الدار على آثارهما وآثارهم فيها. ولما شرك بينه وبينهما في البكاء وهما اثنان وهو واحد غلب الكثرة على القلة فقال: نتباكى، فإنهما لا يبكيان لأنهما ما فقدا شيئاً وهو الفاقد فهو الباكي فغلب التباكي على البكاء من أجلها. ثم بين مقام انفصاله عنهما فأضرب عن التباكي ببل فقال: بل أبك مما دهاني من فقد الأحبة ورسوم المنازل ولم يبق بيدي سوى الآثار التي هي بقايا الديار. ثم أخذ يصف حالة تحكم الحب فيه بسلطانه.

11 - وصفه بالرشق حالة أثره فيه على البعد وهي حالة الشوق. ووصفه بالقتل بغير سنان يشير إلى حالة أثره فيه على القرب وهي حالة الاشتياق.

فهو يقول: سواء بعد الحبيب أو قرب فإن أثره فيّ لازم وأمره فيّ متحكم. ونفى السهام والسنان المحسوسين. أي أنا مقتول من مشهد الغيب والملكوت لا من جهة الجوارح أي اللحاظ الفاتكة فهي معنوية. ثم أخذ يستفهم صاحبيه بعد ذلك.

12 - **يقول لهما**: إذا بكيت عندها هل تتباكيان معي لبكائي مساعدة أم لا؟ أي تعلماني من علوم المشاهدة التي عندكما ما يليق بهذا الموطن؟ فإن البكاء من العيون وهي دموع حارة لأنها عن حزن فتكون علوم مجاهدة.

13 - **يقول لهما**: عللاني بذكر أمثالي وأشباهي ولكن بذكر المحبوبات منهم لا بذكر المحبين لهن إيثاراً لذكرها على ذكري وراحة لي بسماع ذكر من يناسبها. ولهؤلاء المذكورين من المحبوبات حكايات، وطول ذكرها لا يسع هذا الشرح لها، وقد أفرد الناس لها أماكن في كتب الآداب، في حكايات هند صاحبة بشر، ولبنى صاحبة قيس بن ذَرِيح، وعنان جارية الناطقي وزينب من صواحب عمر بن أبي ربيعة، وسُليمى جارية في زماننا رأيناها وكان لها محب يهواها. والإشارة بهند إلى مهبط آدم عليه السلام، وما يختص بذلك الموطن من الأسرار، ولبنى إشارة إلى اللبانة وهي الحاجة، وسليمى حكمة

14 - ثـمّ زِيـدَا مـن حَـاجـرٍ وَزَرُودٍ   خَـبـراً عـن مَـرَاتـعِ الـغِـزْلانِ
15 - وانـدُبـانـي بـشِـعـر قـيـسٍ ولـيـلـى   وبـمَـيٍّ، والـمُـبـتَـلـى غَـيـلانِ

سليمانية بِلْقيسية، وعنان علم أحكام الأمور السياسيات، وزينب انتقال من مقام ولاية إلى مقام نبوة.

والإشارة إلى من كمل من النفوس التي استحقت الأنوثة بحكم الأصالة فإذا كملت لم يبق بينها وبين الرجال إلا درجة الفضل ووقع التساوي في درجة الكمال من حيث ما هو كمال لا من حيث كمال ما، كما يقول: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: 253]. فمن حيث ما هي رسالة فلا فضل إذ الاسم يعم هذه الحالة، ومن حيث ما هي رسالة بأمر ما وقع التفاضل.

14 - ثم أخذ يطلب منهما بعد ذكر هؤلاء الأشخاص بطريق الإشارة والتنبيه للأماكن التي تعمرها هذه الحكم المطلوبة بهذا العاشق فقال: زيدا لي في حديثكما ذكر حاجر، وهي الأسباب المانعة عن إدراك أي مطلوب كان ما حاجره؛ أي مانعه. وزرود ضرب من البين لكن فيه مجاورة من غير ألفة، فإن زَرود رملة، والرمل يتجاور ولا يلتف، ولكن مع هذا في هذه الأماكن مرعى لهؤلاء الغزلان التي هي العلوم الشوارد التي لا تنضبط ولا يتصور بها. فكأنه يطلب الحالات التي تحسنها.

15 - **يقول**: واندباني بشعر المحبين مثلي في عالم الحس والشهادة كقيس[1]، وهو الشدة وقلم الإيجاد، فنبه بقيس عليها فإن القيس: الشدة في اللغة، والقيس أيضاً: الذكر. وليلى[2] من الليل، وهو زمان المعراج والإسراء والتنزلات الإلهية من العرش الرحماني بالألطاف الخفية إلى السماء الأقرب من القلب الأشوق. وبمي وهي الخرقاء التي لا تحسن العمل، ومن لم يحسن العمل كان العامل غيره ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: 96]، أي ما يظهر على أيديكم من الأعمال التي هي مخلوقة لله تعالى. وغيلان هو ذو الرمة، والرمة الحبل العتيق، والحبل السبب الذي طولبنا بالاستمساك به والاعتصام ونسبته إلى القديم أمر محقق فإنه حبل الله وهو القديم الأزلي. وذكر الغيلان: وهو شجر مشوك يتعلق بمن قرب منه ويمسكه عن أن يزول عنه حباً فيه

(1) قيس: هو مجنون ليلى.
(2) ليلى: في اللغة هي الخمرة التي تُشرب ليلاً. وليلى معشوقة المجنون وهي ابنة عمّه صلبية.

16 - طالَ شَوْقي لِطَفْلةٍ ذاتِ نَثرٍ «ونِظامٍ» ومِنْبَرٍ وبَيانِ
17 - من بناتِ الملوكِ، من دارِ فُرسٍ مِن أجلِّ البِلادِ من أصْبهانِ

وإيثاراً، وفيه من الراحة كون هذا الشجر مختص بالفيافي التي لا نبات فيها المهلكة بقوة رمضائها وحرها، فليس فيها ظل لسالك إلا هذه الشجرات شجرات أم غيلان فيجدها في ذلك المقام رحمة فيلقي عليها ثوبه ويستظل فتمسكه بشوكها عن أن تمر به الرياح فينكشف لحر الشمس، فكذلك ما يجده من الألطاف الخفية الإلهية في مقام تجريد التوحيد وتنزيه التقديس، فأوقع التشبيه بالمناسب من هذا الوجه، فلهذا سألهما أن يذكرا له هؤلاء الأشخاص من المحبين ليجمع بين حال المحبة وعلم حقائق هؤلاء المذكورين لأنهم كانوا محبين.

16 - وصف هذه المعرفة الذاتية بأنها ذات نثر ونظام، وهما عبارتان عن المقيد والمطلق، فمن حيث الذات وجود مطلق ومن حيث المالك مقيد بالملك فافهم ما أشرنا إليه في هذا فإنه عزيز ما رأينا أحداً نبه عليه **قبلنا** في كتاب من كتب المعرفة بالله تعالى. وأما قوله: ومنبر، يعني درجات الأسماء الحسنى والرقي فيها التخلق بها فهي منبر الكون. والبيان عبارة عن مقام الرسالة. لغزنا هذه المعارف كلها خلف حجاب النظم بنت شيخنا العذراء البتول شيخة الحرمين وهي من العالمات المذكورات.

17 - **قول**: من بنات الملوك، لزهادتها فالزهاد ملوك الأرض، فستر ما يريده من المعارف بذكر دارها وأصلها، يشير من بنات الملوك، يعني أن هذه المعرفة لها وجه بالتقييد فإن الملوك من باب الإضافة.

وقوله: من دار فرس. **يقول**: وإن كانت عربية من حيث البيان فهي فارسية عجماء من حيث الأصل؛ لأنه لا يتمكن في الأصل بيان عزته وتعلق العلم به فذكر أصبهان[1] لأنه بلدها من الأصالة فينسب من الحكم إليها على قدر ما يعرف من خصائصها كل عارف فهو يرجع للعارفين بها.

(1) أصبهان: بفتح الهمزة وكسرها؛ مدينة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، وأصبهان اسم للإقليم بأسره. انظر معجم البلدان، المجلد الأول، ص167 - 170.

18 - هيَ بنتُ العِرَاقِ، بنتُ إمامي وأنـا ضِـدّهـا سَـلِـيـلُ يـمـانـي
19 - هل رَأيتُم، يا سادتي، أو سمعتُم أنّ ضِـدّيـنِ قَـطُّ يَـجـتـمِـعـانِ؟!
20 - لـو تَـرانـا بـرامـةٍ نـتَـعـاطَـى أكـؤسـاً لـلـهَـوَى بـغـيـرِ بَـنـانِ
21 - والـهوَى بينَنَا يسوقُ حديثاً طَـيّـبـاً مُـطـرِبـاً بـغَـيـرِ لِـسـانِ

---

18 - **يقول**: العراق أصل الشيء، أي هذه المعرفة عن أصل شريف له التقدم بما ذكر من الإمامة، وأنا يمان من حيث الإيمان والحكمة، ونفس الرحمٰن ورقة الأفئدة، وإنما جعله ضداً لما ينسب إلى العراق من الجفاء والشدة والكفر فهو ضد ما ينسب إلى اليمن لأن ضد العراق إنما هو المغرب لا اليمن وإنما اليمن مقابلة الشام فالضد الذي أشار إليه إنما هو بما يناسب الشارع إلى الجهتين، وهي محبوبة فلها الجفاء والبعد والغلظة والقهر، وأنا محب فمني النصرة والإيمان والرقة واللطافة استعطافاً لرضى المحبوب واستلطافاً به. ولما كانت هذه المعرفة المخصوصة تصطلم العبد عن شهوده وتظهر فيه بضرب من القهر والغلبة فتمحو رسومه وتذهب سائر علومه كانت نسبة العراق إليها أولى من غيرها من الأماكن.

19 - **يقول**: الإشارة بالضدين حكاية الجنيد حين عطس رجل بحضرته فقال: الحمد لله. فقال الجنيد[1]: أتمها رب العالمين. قال الرجل: ومن العالم حتى يذكر مع الله؟ فقال الجنيد: الآن يا أخي، فقل له فإن المحدث إذا قورن بالقديم لم يبق له أثر فإذا كان هو فلا أنت وإن كنت أنت فلا هو، سبحات وجهه لو كشفت عنها الحجب لأحرقت ما أدركه بصره.

20 - **يقول**: لو ترانا في مقام المحاورة نتعاطى أكؤس المحبة، من قوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: 54] وقوله: بغير بنان، تنزيه وتقديس وتنبيه على أن الأمر معنوي غيبي خارج عن الحس والخيال والصورة والمثال.

21 - يريد ما أراد القائل بقوله:

---

(1) **الجنيد**: هو أبو القاسم الجنيد بن محمد، شيخ الصوفية وأول من تكلم في علم التوحيد ببغداد، ومولده ونشأته بها، كانت وفاته سنة 297 هـ. انظر الموسوعة الصوفية، ص130 - 132. والأعلام؛ 2/ 141.

22 - لـرأيتُـم مـا يَـذْهـبُ الـعـقـلُ فـيـهِ يَـمَـنٌ والـعِـراقُ مُـعـتـنـقـانِ
23 - كـذبَ الـشـاعـرُ الـذي قـال قـبـلـي وبـأحـجـارِ عَـقـلِـهِ قَـد رَمـانـي[1]

تـكـلّـم مـنـا فـي الـوجـوه عـيـونـنـا فـنـحـنُ سـكـوتٌ والـهـوى يـتـكـلّـمُ
تـشـيـرُ فـأدري مـا تـقـولُ بـطـرفـهـا وأَطـرِقُ طـرفـي عـنـد ذاك فـتـعـلـمُ!

وقوله: طيباً، إدراكان للطعم وللشم. يشير إلى مقام الأرواح والأذواق فأخبر أنه يورث طرباً، فإن الغالب إنما يسوق الطرب السماع وما يتعلق بالفهوانية، والغرض ما ذكرناه من الشم والذوق فيقع الطرب فيه بالخاصية. وقوله: بغير لسان، تنزيه كالبيت الأول. وقوله: يسوق حديثاً، ولم يقل يقود، فإن المتكلم خلف كلامه ما هو أمامه فمنه يكون للسامع فلهذا جعله سوقاً. وقوله: حديثاً، إشارة إلى قوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: 2]. والبينة هنا الفرق بين المقامين والحقيقتين لا بينة مكان ولا زمان.

22 - **يقول**: لو رأيتم هذه الأحوال التي نحن فيها لرأيتم مقاماً وراء طور العقل وهو اتحاد صفة القهر بصفة اللطف. إشارة إلى ما قال أبو سعيد الجزار[2]، وقيل له: بم عرفت الله؟ فقال: بجمعه بين الضدين. وهو الأول والآخر والظاهر والباطن من وجه واحد لا بد من ذلك خلافاً لما تعطيه قوة العقل، فإن العقل يدل عليه من حيث مبلغه أنه أول من وجه كذا وآخر من وجه كذا وظاهر من وجه كذا وباطن باعتبار كذا، وليس الأمر كذلك فإن القوى التي خلق الله الإنسان عليها ما تتعدى حقائقها، فقوة الشم لا تعطي سوى إدراك العطر والنتن، وكذلك كل قوة، والعقل أيضاً لا يعطي سوى ما تقتضيه قوته في نظره في دليله لا غير، والسر الرباني يعطي أيضاً ما يليق به وما في قوته، فقد يستحيل أمر ما بالنسبة إلى العقل ولا يستحيل ذلك بالنسبة إلى الحق، وهذا المحكوم عليه لا بد أن يكون مجهول الحقيقة عند العقل لكن العقل يزعم أنه يعرفه وهذا محال، ومن الدليل على ذلك أيضاً أن العقل لا شك جاهل بحقيقة الحق سبحانه غير عارف بذاته من حيث الصفات الثبوتية ومع هذا ينفي عنه بدليله فيما يزعم أن الحق تعالى لا

(1) القائل هو عمر بن أبي ربيعة.

(2) ابن الجزّار: أحمد بن إبراهيم الجزار: طبيب مؤرخ من أهل القيروان، توفي سنة 369 هـ الأعلام: 1/ 85.

24 - «أيها المُنكِحُ الثريا سُهيلاً! عَمرَكَ الله كيفَ يلتقيانِ؟»

25 - «هِيَ شاميّةٌ، إذا ما استهلّتْ وسُهيلٌ، إذا استهلّ يَماني»

يكون ظاهراً من الوجه الذي يكون باطناً فلا ينبغي أن يتحكم في معرفة الله من حيث الذات بالعقل، وحظ العقل معرفة كون الحق إلهاً أوجدنا ونحن مفتقرون إليه في إيجادنا واستمراره. فاعلم ذلك.

23 - **يقول**: كذب العالم من طريق الشعور بالأمر لا من طريق التصريح، فإن العقل يعلم شيئاً من طريق التصريح ويعلم أشياء من طريق الشعور أنها مشعور بها ولكن يتوقف فيها لعدم الوضوح لما هي عليه من العزة. قوله: «بأحجار عقله»؛ أي بدلائل عقله، بحيث أن يرد ما هو مقدور للحق أو واجب إلى عين هذه الصفة فيعترض علي ويقول: هذه مخيلة دليل العقل، وهو صادق فإن دليل العقل مخيلة لا دليل الحق من إيراد الكبير على الصغير من غير أن يصغر الكبير أو يوسع الضيق. ثم ضمن في هذه القصيدة هذين البيتين لبعض الشعراء لاجتماعهما في المعنى فقال: يرى ناراً كما رأى موسى عليه السلام.

24 و25 - **يقول**: الثريا سبعة أنجم وسهيل نجم واحد ظاهر يمني والثريا شامية.

يقول: إن الذات لا تقبل الصفات السبع المدلول عليها عند النظار من حيث الزيادة لكن من حيث النسبة. والشام موضع الكون. والثريا هي الظاهرة في الشام. كذلك الصفات من الحق هي الظاهرة في الخلق وعليها تقوم الدلالات والذات لا دخول لها في الخلق كما لا يدخل سهيل في الشام. فإن قيل: فما يصنع بقوله تعالى: **«كنت سمعه وبصره»**[1] فقد دخل؟ قلنا: نعم ما قال كنت ذاته وإنما ذكر الصفة فيقول: بسمعي يسمع وببصري يبصر، كما قال الشارع في الرفع من الركوع إن الله قال على لسان عبده: سمع الله لمن حمده. ويكفي هذه الإشارة لأصحابنا بل للمنصفين من النظار.

---

(1) صحيح البخاري، رقم (6137).

رَوْضَةُ الوادي وربَّةُ الحِمى

1 - أيا رَوْضَةَ الوادي أجِب رَبّةَ الحِمى   وذاتَ الثنايا الغرّ، يا روضةَ الوادِي
2 - وظَلّلْ عليها من ظِلالِكَ ساعةً   قليلاً، إلى أن يستقِرّ بِها النّادي
3 - وتُنصَبُ بالأجوَازِ منكَ خِيامُها   فما شِئتَ مِن طَلّ غذاءً لمنآدِ

---

1 و2 - الوادي: هو الوادي المقدس يريد مقام التقديس. وكنى بالروضة عن الشجرة التي ظهر النور فيها لموسى عليه السلام، «وربة الحمى»: حقيقة موسى عليه السلام، فهي إشارة للعارف إلى مرتبة موسوية ورثها منه. والحمى يريد مقام العزة التي تمنع ذاته من الوصول إليها. وقوله: «وذات الثنايا الغر»، إشارة إلى إشراق المباسم، واختصها بالذكر لأنه في مقام المناجاة والكلام محله الفم وهي صافية من الأقذاء والقلوح، يريد مقام الصفاء والطهارة. وقوله: «أجب»، فإن الحقيقة الموسوية كانت طالبة ناراً فلذا قيل أجب.

ثم خاطب الروضة في البيت الثاني فقال:

وظللْ عليها من ظلالكَ ساعةً   قليلاً إلى أن يستقرّ بها النادي

يقول لهذه الروضة: هذه ربة الحمى ظلل عليها من أفنان أغصان معارفك قدماً يظل ما هو من جانبها، أي أنه يخاطب من خارج بحكم الجهة إلى أن يقع الأنس بذلك ويتهيأ المحل للقبول فيقوم له النداء والخطاب من ذاته من غير نظر إلى الأعيان من خارج. واستقرار النادي بها ثبوتها في الطمأنينة بذلك. وقد بين ما ذكرناه في باقي القصيدة.

3 - **يقول**: إذا ثبت في مقام الطمأنينة ضربت لها خيام أعمالها بالمقامات العظمى التي عبر عنها بالأجواز. وقوله: فما شئت من طل، يريد الشذا والندى، والشذا هو ما نزل من الطل بالنهار، والندى ما نزل من الطل بالليل، وهو ما يتنزل عليه من أوائل المعارف بطريق اللطف في غيابات الغيب والشهادة لأنه لا يدرك نزوله بالحس متى يظهر في المحل منه القدر الذي يدركه الحس. والمنآد: الغصن الناعم.

يقول: وفيه غذاء للنشأة الإنسانية التي خلقت في أحسن تقويم واختصت بالحركة المستقيمة على سائر المولدات.

4 - وما شِئْتَ من وَبْلٍ، وما شئتَ من ندًى سَحَابٌ على بانَاتِها رائحٌ غادِ

5 - وما شِئْتَ من ظِلِّ ظليلٍ، ومن جَنًى شَهِيٌّ لدَى الجاني يميسُ بميّادِ

4 - **قوله**: وما شئت من وَبْلٍ[1] تنزل أعظم فيه شفاء لأن فيه رائحة اشتقاق من الاستبلال الذي هو الشفاء فكأنها معارف تزيل جهالات بوجودها، فإن المعارف قد تنزل على قلوب ساذجة ما فيها شيء أصلاً وقد تنزل على قلوب فيها تشكيك وتردد فذلك مرض، وقد تنزل على قلوب فيها جهالات وهي مصممة عليها على أنها علوم فيبين له هذا النزول حاله فيرجع، وهذا لا يسمى مرضاً لأن من شرط المرض الإحساس به فيطلب به الدواء رغبة في الشفاء، وهذا لا يكون في القلوب إلا لأهل التشكيك والحيرة، وأما المصمم على اعتقاده وشبهته فلا يقال فيه صاحب مرض وإنما هو ميت، فهذا التنزيل يحييه كما قال: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا﴾ [الأنعام: 122] يعني بالجهل ﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: 122] الآية. وقوله: وما شئت من ندى، قوله: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ﴾ [النور: 36] فهذه تنزلات هذه الأعمال المخصوصة بهذه الأوقات لأنها أزمان نزول الندى وهو مقام الجود يمر به سحاب العناية على باناتها اختصر البان من غيره لما فيه من إشارة التنزيه والتفرقة والتمييز بين الحقائق، وأيده بقوله: رائح، وهو الراجع بالعشي. والغادي: المبكر.

يقول: إنه يذهب بكرة ويعود عشية إلى ما منه غدا كما بين الزمانين هو مقدار عمر السالك والحال والمقام ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [البقرة: 210]﴿تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: 53]، إشارة إلى هذا المقام ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: 123] فسمي رجوعاً لكونه منه خرج وإليه يعود، وفيما بين الخروج والعود وضعت الموازين ومد الصراط ووقعت الدواعي وظهرت الآفات وكانت الرسل وجاءت الأدواء، فمنهم المستعمل لها والآخذ بها والتارك لها.

5 - قوله: وما شئت من ظل ظليل، إذ ما كل ظل يكون ظليلاً لكل مستظل بل لآحاد، بقوله: إلا صاحب هذا المقام المحمدي الموسوي[2] فإنه يظله كل ظل، فكل ظل فهو له

(1) الوبل: المطر الغزير في اللغة.

(2) **المقام**: مقام العبد بين يدي الله عز وجلّ. بما يقوم به من مجاهدات ورياضات. . **المقام المحمدي**: هو المعبّر عنه بالصحو الثاني، أو الصحو بعد السكر. انظر: الموسوعة الصوفية، ص964.

6 -ومن ناشدٍ فيها زَرُودَ ورملَها ومن مُنشدٍ حادٍ ومن مُنشدٍ هادِ

ظليل لاستغراقه المقامات كلها، ويظهر هذا في موزونات الأعمال بما لها من الثواب كما سبق بلال النبي، ﷺ، إلى جنة من داوم على الوضوء من كل حدث والصلاة عقيبه. وقوله: «وما شئت من جنى»، وهو الاستثمار مما يتلقاه الملقى إليه من الملقي كالمريد من شيخه وأستاذه، وكالنبي من الملك، وهكذا ما يلقى يكون المتأد الملقي الذي هو العلم وما يحمله من المعارف كالثمر فيه. والجاني: هو المحصل لهذه الثمرات من هذه الأغصان بيد اللطف لا بيد القهر على طريق الألفة لأنه قال: شهي عند الجاني لأن فيه نيل الغرض.

6 - **قوله**: ومن ناشد، الناشد الطالب زرود ورملها، يشير إلى المعارف الشوارد التي لا تنضبط للعالم إلا وقت الشهود خاصة، ويقولون: ثلاثة رابعهم كلبهم وخمسة وسبعة، ثم قال: ﴿مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ [الكهف: 22] وهم الخارجون من البشرية إلى عالم الأرواح واللطائف. وقد تقدم الإشارات بالرمل ما هي. وقوله: ومن منشد حاد وهاد. الحادي: هو الذي يسوق الركاب من خلف، والهادي هو الذي يقودها من أمام، فالسائق هو الإشارة للآتي بالزجر والتهديد والرهبوت، فهو عبد القهار، والهادي هو الإشارة للآتي بالرغبوت والأنس والملاطفة والوعد الجميل، فهو عبد اللطيف. فإن الناس يوم القيامة الكبرى إنما هم عبيد الأسماء الحسنى الإلهية فمنهم عبد نعمة ومنهم عبد نقمة ومنهم عبد تنزيه وتقديس وما أشبه ذلك.

يقول: فكأن هذه المقامات كلها حاصلة لمن نودي في هذه الروضة بالوادي المقدس، فتدبر ما أشير إليه تسعد إن شاء الله تعالى.

طَرْفٌ أحْوَر وجيدٌ أغْيَد

1 - عُجْ بالرّكائِبِ نحوَ بُرْقةِ ثَهْمَدِ   حيثُ القضِيبُ الرّطبُ والرّوْض الندي

2 - حيثُ البُروقُ بها تُرِيكَ وَميضَها   حيثُ السّحابُ بها يرُوحُ ويغْتَدي

3 - وارْفَعْ صُوَيتَكَ بالسُّحَيرِ مُنادياً   بالبِيضِ والغِيدِ الحِسانِ الخُرّدِ

1 - يقول للهادي: مِلْ بالركائب، والركائب: هي الإبل، وقد يعبَّر بالإبل عن السحاب، كما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[الغاشية: 17] قيل: أراد السحاب، وهي المرادة هنا في هذا البيت، ويدل عليها قوله: برقة ثهمد، فجاء بالبرق. وثهمد: موضع باليمن على ما قيل[1]. والبرق أبداً عند صاحب هذا القول مشهد ذاتي يذهب بالأبصار لا يكاد يتحقق. والقضيب الرطب نشأة الاعتدال في جميع الأشياء. والروض الندي: هو المقام الذي يظهر فيه هذا النشء الاعتدالي. والندي إشارة إلى ما فيه من اللين والجود.

2 - ثم أكد أنه أراد بالركائب السحاب بقوله: حيث البروق بها تريك وميضها، أي تريك لمعانها فيكون حجاباً عليها، فكثير من الناس يزعمون أنهم يرون البرق وإنما يرون سنا البرق وقد تقدم تفسير: «حيث السحاب بها يروح ويغتدي»، قوله: سحاب على باناتها رائح غادي.

3 - **يقول**: السحير لا يكون إلا في مقام الخطاب بالحروف في عالم المواد من حضرة التمثيل والمثال، وشرطه أن يكون له وجه إلى حضرة الأنوار ووجه إلى حضرة الظلم، وهي الحجابان اللذان يمنعان السبحات أن تحرق الكائنات، فإن السحر والسُّدْفة هو اختلاط الضوء والظلمة. وأراد برفع الصوت هنا البيان بما هو المراد من هذا الخطاب

(1) **بُرْقة ثَهمد**: لبني دارم، قال طَرَفة في مطلع معلّقته:

لِخَولةَ أطلالٌ ببُرقةِ ثَهْمدِ:   تلوحُ كباقي الوشْمِ في ظاهرِ اليدِ

4 - مِن كُلِّ فاتِكَةٍ بِطَرْفٍ أحْوَرٍ مِن كُلِّ ثانِيَةٍ بِجِيدٍ أغْيَدِ

على الوجهين معاً أو وجه واحد. وقوله: منادياً، إعلام بالبعد، والبيض كل حكمة إدريسية وردت خطاباً من السماء الرابعة يكون فيها من العلوم ما في الشمس من الحقائق التي أودع الله فيها، والبيض جمع بيضاء وهو من أسماء الشمس، والغيد الذي فيه ميل إلى عالم الكون بالأمداد. أي كل حقيقة لها تعطف بالكون كالأسماء الإلهية، والحسان يعني من مقام المشاهدة والرؤية. وقوله: **الخرد**: هم الذين عندهم الحياء، وقال ﷺ [1]: **«الحياء من الإيمان»** فأراد أنه علم إيماني أي نتيجة الإيمان ما هو نتيجة الفكر إذ نتيجة الفكر عن مقدمات كونية نازلة ونتيجة الإيمان هي وهب إلهي وكشف رباني ذاتي، ولا سيما في هذا الموضع الذي قرنه مع الحسان وهو مقام المشاهدة.

4 - ثم أخذ يصف أيضاً مراتب هذه العلوم التي استفادها في طريقه فقال:

مـن كـل فـاتـكـة بـطـرف أحـور

من كل علم مشاهدة ورد على صاحب الخلوة فحال بينه وبين نفسه، فغيبه وجعل هذا الطرف الذي دل على المشاهدة أحور. والحور في العين الشديد شديد بياضه الشديد شديد سواده. يقول: خالص ما فيه شبهة ولا مزج فخلص لمن قام به. وإن جعله من الرجوع من حار يحور فهو ميل إليه بضرب من المحبة والغنج لتقع به اللذة ويكون أمكن في العقل في قلب المشاهد، وضرب آخر من العلوم في قوله: من كل ثانيةٍ، أي عاطفة.

يقول: هذه المعرفة والحكمة لها عطف وحنان على من تعشق بها، ولهذا أكده بأغيد وهو الميل. وذكر الجيد وهو العنق وأراد به عالم النور وهو ما لهم في ذلك العالم من الطول والفضل على الغير، كما قال ﷺ [2]: **«المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة»** أي لهم ظهور وتميز على الناس يعرفون به، فإن العنق هو الذي كان محل مجرى النفس موضع التنفس إلى الفم في الأذان ففيه امتداد، فلهذا نسب الطول وجعله أجراً له في ذلك المحل.

(1) في صحيح البخاري، قال رسول الله ﷺ «الحياء شعبة من الإيمان» رقم (9)، و«الحياء من الإيمان» رقم 24.

(2) أخرجه مسلم، رقم (387). وقد تقدم.

5 ـ تَهْوي فتُقصِدُ كلَّ قَلْبِ هائمٍ يَهوى الحِسانَ بِرَاشقٍ ومُهنَّدِ
6 ـ تَعطو برَخصٍ كالدّمقْسِ مُنعَّمٍ بالنّدّ والمِسكِ الفَتيقِ مُقرْمَدِ
7 ـ تَرنُو، إذا لحَظَتْ بمُقلةِ شادِنٍ يُعزَى لمُقلتِها سوَادُ الإثْمِدِ

5 ـ **يقول**: إن هذه الحكمة لما كانت عالية الأوج سامية المكانة وصفها بالهوي الذي هو النزول من أعلى إلى كل قلب متعلق هائم، أي حائر في طلبها لجهله بمكانها، ثم وصف هذا القلب بأنه يهوى الحسان وهي هذه الحكم التي ذكرناها من مقام المشاهدة. وقوله: براشق، أي تقصده، معناه: ترميه براشق، يريد سهم اللحظ. ومهند من كونه سيفاً فتصيبه بالراشق وتقطعه عن غيرها بكونه سيفاً. ونسبه إلى الهند موضع الحكم الأول لأنه محل مهبط آدم عليه السلام، الذي كان ينبوع الحكمة، فأول موضع انفجرت فيه ينابيع الحكمة كان الهند على لسان آدم عليه السلام.

6 ـ **قوله**: تعطو برخص، **يقول**: تتناول بيد النعمة على هذا العبد والقبول، والإشارة لمثل ما ورد في الخبر: **«إن الصدقة تقع بيد الرحمٰن فيربيها»**. ثم وصف هذه اليد بالدمقس[1] فهي منزهة عن الشوب بالألوان، فإن الدمقس هو الحرير الذي ما تصبغ بلون غير لونه الذي خلق عليه، فوصفها بالتنزيه. ووصفها بالنعومة وهو اللين إشارة إلى يد العطف والحنان والرفق في التناول. ثم نعتها بالطيب الخالص والمشوب بغيره وهو الند وجعلها ملطخة به، فهي عبارة عن التخلق بالخلق الإلٰهية والأسماء الحسنى، فإن الند أخلاط من الطيب فالتخلق بها في حق العبد. والإشارة هنا بمقرمد أي هي موصوفة بهذه الأشياء المذكورة، وكذلك هو، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180]؛ وهي في حق العبد تخلق. فاعلم ذلك.

7 ـ **يقول**: رؤيتها رؤية من لا يحصل في اليد منه شيء ولكن بعين كحلاء، أي تنظر في سواد وهو الغيب الذي لا يدرك ما فيه إلا هو سبحانه. وأراد بالملاحظة هنا ملاحظة من يدعو قلوب المحبين إلى حسن جماله، فما أراد اللحظ المطلق فإنه لا يقع به الفائدة في العالم أصلاً وإنما الفائدة من جانب الحق لعباده بكل ما أعطى التقييد فإنه إذا تقيد تميز وتعينت المرتبة وعرف الفرق بينه وبين من لم يحصل له هذا المقام. وذكر المقلة دون

(1) الدِّمَقْس: الحرير الناعم.

8 ـ بالغُنجِ، والسحرِ القَتول مُكحَّلٍ بـالـتّـيـهِ والـحُـسـنِ الـبـديـعِ مُـقـلَّـدِ

اسم آخر من أسمائها لأن فيها معنى العوض، وقد جاء في الحديث[1] في الذباب إذا وقع في الطعام: «أن يمقّل»، أي يغمس كله، «فإن في جناحه الواحد داء وفي الآخر دواء من ذلك الداء». وقوله: يعزى، يقول: تنسب الأشياء إليها ما تنسب هي لشيء فإن الأشياء متعلقة بها.

8 ـ **يقول**: إذا تجسدت المعاني في عالم المثال وظهرت صوراً في الجسم المشترك، كما أخبر عليه السلام، من أن الزهراوين: البقرة وآل عمران؛ يأتيان يوم القيامة لهما لسانان وشفتان يشهدان لمن قرأهما. ومعلوم حقيقة الكلام وأنه معنى من المعاني جثمانياً كان أو غير جثماني وكالدين في صورة القيد والعلم في صورة اللبن والإنسان في صورة العمد فيقع النعت من الناعت والوصف من الواصف لهذا المعنى على هذه الصورة التي يظهر فيها له في عالم المثال فيوصف بما توصف به الصورة التي يتجلى فيها. ولما كان الغنج فتوراً في العين وتوصف العين بالسحر لأنها تحول بين المرء وقلبه فكل علم حال بينك وبين ذاتك من جهة الجمال في رحمة إلقاء ونزول ألطاف فيشار بهذه الصفة إليه إذا جعلها تجلية في صورة عين، وقوله: بالتيه، ومعناه الحيرة أي عند وصفه تحير الناظر فيه عن إدراك حقيقته والحسن البديع يزيد الجمال، وهو بديع عندنا لا في نفسه، كما قال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: 2] يعني عندنا لا في نفسه فهو محدث النسبة لا محدث العين، وكنى عنه بالإبداع، أي لم يظهر على مثال سبق. وقوله: مقلد، يعم الجنبين وهما العطفان عطف اليمين باليمين واليسار باليسار كتقليد السيف والقلادة ومروره على الصدر والقلب فيعطى من أسرارهما ما يختص به ذانك الموطنان، وكان فيه اعتصام فإنه قد عم الجنبين والظهر والصدر، ولا يؤتى على الإنسان إلا من هذه الجهات الأربع، وهو الذي قال إبليس حسبما أخبر الله تعالى به عنه: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ [الأعراف: 17]، فهذا هو تقليد العصمة لأن الحسن البديع مشغل للناظر فيه عن نفسه وعن سواه فيعتصم ولا شك.

(1) الحديث في البخاري، رقم (3142)، وهو: «إذا وقع الذبابُ في شراب أحدكم فليغْمِسْه ثم لينزعه. فإن في إحدى جناحيه داءً والأخرى شفاءً».

9 - هَيفاءُ ما تَهوَى الذي أهوَى ولا   تَفِ للّذي وَعَدَتْ بصِدْقِ المَوعِدِ
10 - سَحَبَتْ غَديرَتَها شُجاعاً أسوداً   لتُخيفَ مَن يَقفُو بِذاكَ الأسْوَدِ
11 - واللهِ ما خِفْتُ المَنُونَ، وإنّما   خوْفي أموتُ، فلا أراها في غَدِ

---

9 - **قوله**: ما تهوى الذي أهوى، **يقول**: لا تتقيد بإرادة أحد لنزاهتها وعلو مجدها ومكانتها، فإن اتفقت الإرادات مني ومنها فمن حيث أثرها فيّ لا من حيث أثري فيها. وقوله:

ولا تف للذي وعدت بصدقِ الموعد

يصفها بالعفو والكرم والتجاوز، فإن الوعد هنا يريد به الوعيد بالشر، فإن العرب تقول: وعدته في الخير والشر، ولا تقول أوعدته إلا في الشر خاصة، فأراد بالوعد هنا الشر، والكريم يوصف بالوفاء والخير، وخلف الوعد بالشر للتجاوز والعفو، كما قال:

وإني إذا أوعدتُه، أو وعدته   لمخلفُ إيعادي ومنجزُ موعدي

فمدح نفسه بالعفو والتجاوز، وذلك من الكرم العميم والفضل الجسيم.

10 - **يقول بلسان الأدب**: إن هذه الجارية أرسلتْ ضفيرة شعرها خلفها مثل الحية لتخيف بذلك من يقفو أثرها.

11 - **قال هذا المحب**: ما خفتُ من الموت وإنما أكره الموت من أجل إن أمت لا أراها. القصد من ذلك في باب المعرفة، **يقول**: إن هذه المعرفة أرسلت غديرتها، يعني الدلائل والبراهين، وشبهها بالضفيرة لتداخل المقدمات بعضها في بعض كتداخل الضفيرة، وجعلها سوداء إشارة إلى عالم الجلال والهيبة، فيخاف السالك أن تحرقه سطوات أنوار الهيبة فيتوقف، ثم نبه في البيت الثاني بقوله: وما خوفي من الموت وإنما خوفي أن يفوتني ما بعده من المشاهدة المتعلقة بهذه النكتة المتغزل فيها فتوقفت حتى أحصل من القوى الإلهية والبواعث الربانية ما أقابل به هذا التجلي الجلالي.

غَريقُ الدمْعِ

1 - سُحَيْراً أناخُوا بِوَادي العَقِيقِ وقـدْ قَـطَـعـوا كـلّ فَـجّ عَـمِـيـقِ
2 - فـمـا طـلَـعَ الـفَـجـرُ إلاّ وقـدْ رأوا عَـلَـمـاً، لا يـخـافـونَ، نِـيـقِ

---

2 - هكذا وردت «نيقِ» في الأصل مجرورة، وحقها أن تكون منصوبة.

يقول: إن أهل هذه المعرفة لما أدلجوا في معارجهم وسروا لنيل مقاصدهم وقطعوا كل مسلك بعيد في نفوسهم بالسفر البعيد الذي ندبهم الحق إليه وأمرهم في قوله: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات: 50] وذم من يتربص عن هذا السفر بقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ [التوبة: 24] الآية إلى قوله تعالى: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ﴾ [التوبة: 24]، فجعل البركة في الحركة منه، وإليه نزلوا في السحر نزول المسافر إذا أدلج ليستريح، وتسمى تلك النومة العسلية لما فيها من اللذة فهو نزولهم للاستراحة في آخر طريق معرفة ما أودع الله في ليل هياكلهم من الحكمة المتعلقة بالحقائق الإلهية، وجعل السحر موضع الفصل بين هذه الحقائق الليلية الهيكلية وبين حقائق الأرواح النورية المعبر عنها بالملأ الأعلى فأناخوا في هذا المقام، وهذا يسمى الوقوف، ولم يسلك سلوكاً آخر لتحصيل فوائد أخر، فإن الله قال لنبيه ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: 114] وجعل الإناخة بمطايا الهمم في وادي العقيق الذي هو موضع الإحرام بالحج والعمرة، فجعله مناخ حرمة محمدية لأنه ميقات أهل المدينة الذين نبه عليهم بلسان الإشارة أن لا نهاية لما يطلبون فليرجعوا فإن رجوعهم سفر لاقتناص علوم لم ينالوها في العروج فما لهم غاية يقفون عندها، وللتنبيه في ذلك بهم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ﴾ [الأحزاب: 13] وأهل يثرب هم المحمديون من العارفين، ولكن من باب الإشارة بالآية لا من باب النص والتفسير فلا تغلط فيما أشرنا إليه في ذلك. ثم قال: لما أخذوا تلك الراحة في السحر طلع الفجر، أي ظهر الأمن من عالم الأمر الناظري ولكن ظهور علم من ذلك أي إشارة دليل ولكن في محل النفع والرفعة وهو النيق.

يقول: فما ظهر لي في عالم الأمر لنفسه وإنما لاح لي علماً أي دليلاً على ما يناسب ذلك

3 - إذا رامَهُ النّسرُ لَمْ يَستطِعْ فمِن دونِهِ كان بَيضُ الأنوقِ
4 - عَلَيْهِ زَخارِفُ مَنقُوشَةٌ رفِيعُ القواعِدِ مثلُ العَقوقِ
5 - وقد كتَبُوا أسطُراً أوْدَعُوها: ألا مَنْ لصَبّ غَريبٍ مَشُوقِ
6 - لهُ هِمّةٌ فوْقَ هذا السّماكِ ويُوطَأ بالخفّ وطءَ الحريقِ
7 - ومَسكِنُهُ عِندَ هذا العُقابِ وقد ماتَ في الدمعِ موْتَ الغريقِ

الإبداع اللطيف من الحقائق الإلهية. والجبل المذكور هنا في هذا البيت الذي هو العلم عليه وهو الجسم وذلك هو الروح، أي ظهر له في عالم الأمر من نفسه فإنه أتم في المعرفة.

3 و4 - **يقول**: الأنوق الرخم. والعقوق قيل هو قصر عظيم فوق جبل عال، وقيل غير ذلك. وقوله: إذا رامه النسر[1] لم يستطع، إشارة إلى الروح البرزخي الذي هو أقرب إلى الملأ الأعلى من غيره من الأرواح المدبرة.

يقول: هذا العلم الذي لاح له لا يستطيع الرقي إليه هذا الروح المكنى عنه بالنسر. والأنوق لما لم يكن في الطير من يفرخ في موضع أعلى منه ولا أحمى خوفاً على بيضه كانت العرب تضرب به الأمثال في كلامها لعلوه وارتفاعه. وكنى عنه بالبيض أي صفة النتاج التي تكون عنه هذه الأرواح البرزخية. ثم وصف العلم بأن عليه زخارف منقوشة يريد بها التجلي بالخلق الإلهية ومنقوشة ثابتة. وشبهه بالعقوق لارتفاعه وعلوه.

5 و6 و7 - شرحه بلسان الأدب يقول هذا العاشق إن همته على علوها أنزل عن الحب عليه وسلطانه عليه من الذل أن يوطأ بالخف، ثم تغالى في ذكر كثرة دموعه أنه مات غريقاً فيها مع سكناه في هذا الموضع. المقصد يقول: وقد كتبوا أسطراً أودعوها، يريد الكتابة الإلهية من ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: 54] في مقام العزة الأحمى. وقوله: ألا من لصب، يريد مائل إلينا بالمحبة غريب، من قوله عليه السلام: **«فطوبى للغرباء من أمتي»**، والغربة: مفارقة الوطن، ووطن الكون عبارة عن وجوده

---

(1) رامه: طلبه.

8 - قَدَ اسْلَمَهُ الحُبّ للحادِثَاتِ بهذا المكانِ بغَيرِ شَفِيقِ
9 - فيا وارِدِينَ مِياهَ القَلِيبِ ويا ساكِنينَ بِوَادي العَقِيقِ
10 - ويا طالِباً طَيْبَةَ زائراً ويا سالِكِينَ بهذا الطّرِيقِ

لربه، وغربته نزوحه عنه إلى وجوده لنفسه مع مفارقة العين لا بد من ذلك، وقد أشرنا في المفاريد لنا في هذا المعنى بقولنا:

إذا ما بدا الكونُ الغريبُ لناظري حننتُ إلى الأوطان حنَّ الركائبِ

وقوله: مشوق، طالباً للقاء المحبوب بضرب من الهيجان.

وقوله: له همة فوق هذا السماك، يقول: إن همته فوق الكون، أي لا تعلق لها به ولكنه مع هذا يوطأ بالخف، إشارة إلى ما ندب إليه من التواضع طلباً للرفعة في قوله ﷺ، أي «**من تواضع لله**» أي من أجل الله رفعه الله. وقوله: ومسكنه عند هذا العقاب، البيت، يقول: وإن كان محله في هذا الوقت من الرفعة بمثل ما وقعت به الكناية في عالم الأجسام فإن المعارف المشهدية من باب الحب قد طمى سيلها حتى غطى هذا المقام الأحمى على رفعته عن هذا المقيم فيه وأفناه عن مشاهدة نفسه بهذا المشهد، فكنى عنه بالغرق والموت.

8 - **يقول**: قد أسلمه مقام الصفاء للحادثات فإن البلاء إنما يرد على الأمثل فالأمثل. وقوله: بهذا المقام، يعني المقام الذي تقدم ذكره. وقوله: بغير شفيق، أي ما له مؤنس هناك إلا عارف مبتل مثله، فشغله بنفسه لسروره بذلك أو صبره يحول بينه وبين رؤية غيره بحكم الشفقة أو شبهها.

9 و10 - **يقول**: يا أهل الحياة المنشأة من الأعمال، يريد حياة العلم، من قوله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: 122] وقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: 30] وجعله مكتسباً من أجل أنه نسبة للقليب وهو البئر وللإنسان فيه تعمل وهو حفره لاستخراج الماء. ثم خاطب القُطّان بوادي العقيق وهم الذين اكتسبوا العلم من الحرمة التي قامت للحق بقلوبهم. وأشار إلى الوادي لأمرين: لانخفاضه يريد التواضع ولأنه مسيل الماء فهو مسيل الحياة العلمية، وإنما قلنا لا ميقات المحرمين بالحج والعمرة. ثم خاطب طلاب المقامات اليثربية باسم طيبة من طاب يطيب، وقوله: طوبى لهم، هو من ذلك.

11 - أفِيقُوا علينَا، فإنّا زُرِئْنَا بُعَيدَ السُّحَيْرِ قُبَيْلَ الشُّرُوقِ

12 - بِبَيضَاءَ غَيداءَ بَهتَانَةً تُضَوِّعُ نَشراً كمِسكٍ فَتيقِ

13 - تمايَلُ سَكرَى، كمثلِ الغُصُونِ ثَنَتها الرّياحُ كمِثلِ الشّقِيقِ

وقوله: زائراً، أي مائلاً إليها لعلمه بشرفها على غيرها لأنه الميراث الأكمل. ثم خاطب السالكين وهم أهل السلوك بهذا الطريق يريد الصراط المستقيم الذي قال فيه تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام: 153] فخاطب أربعة أصناف من الخلق لأرفع مقامات.

11 - **يقول**: لا تشغلكم أحوالكم التي أضعفتكم ومنعتكم عن أن تفيقوا للنظر في حالنا لتعلقنا بكم وطلبنا المعونة على ما نحن بصدده بهمتكم ودعائكم. وقوله: فإنا رزئنا، من الرزية.

يقول: أخذنا عناء ولم نصل إليه وصول من حصل بيده المكانة لعزته. وقوله: بُعَيد السحير قُبيل الشروق، وهو زمان العروج من النزول الإلهي إلى سماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل في طلوع الفجر. يقول: انقضى الوقت ولم نحصل على المطلوب. وجعل ذلك رزية.

12 - **يقول**: رزئنا بفقد بيضاء، أي فيها شك. يريد هذه الصفة الذاتية التي هي مطلوبة. وقوله: غيداء، يقول: مع كونها جليلة القدر لها ميل إلينا وهو النزول الذي ذكرناه ومع هذا فلا نحصل منه ما يضبطه علم أو عقل أو وهم أو خيال. والبهتانة الطيبة الريح. يقول: إن لهذه الصفة في قلوبنا طيباً ونشراً. يقول: وإن لم نشهد ذاتها فإن لنا منها ما لنا من المسك رائحة وإن لم نشهد عينه، وهي هذه الآثار الإلهية في قلوب العباد، غير أن كل واحد ليس له مشم لإدراك ما هي عليه من العطرية. والنشر الطيب. وشبهها بالمسك لأنه أطيب الطيب ولا سيما إذا كان مفتتاً فهو أطيب وأليق بالمشام الإنسانية ولو كان ثم ما هو أطيب من تلك الرائحة.

13 - **يقول**: تمايل سكرى، أراد تتمايل، وهو النزول كما ذكرناه. وقوله: سكرى، يشير إلى مقام الحيرة لأن السكران حيران فإن الميل إلينا لا يكون إلا بقدر ما يقع به التفهم عندنا مما يناسب كأحاديث الضحك والفرح والتبشيش وما أشبه ذلك. وقوله: كمثل الغصون، لأنها محل الثمر أي ميلها للإفادة. وقوله: ثنتها الرياح، أي أمالتها الهمم بطلبها إياها، فإنه تعالى يقول: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60] و«من تقرّب إلي شبراً تقربت منه

14 - بِرِدفٍ مَهولٍ كدِعصِ النَّقَا ... تَرَجرَجَ مثلَ سَنامِ الفَنِيقِ

15 - فما لامَني في هَواهَا عَذُولٌ ... ولا لامَني في هوَاها صَديقي

16 - ولو لامَني في هواها عَذولٌ ... لكانَ جَوابي إليهِ شَهيقي

17 - فشَوقي رِكابي، وحُزْني لِباسي ... وَوَجدي صَبوحي، ودَمعي غَبُوقي

ذراعاً»، فقربك شبراً أدى تقريبه إليك ذراعاً شبراً لشبر جزاء وللشبر الآخر جزاء والشبر الآخر الزائد للمنة الإلٰهية والفضل الخارج عن الكسب. وقوله: كمثل الشقيق، وهو الحرير الخام الذي لم تدخله صنعة الآدمي. يقول: أي أنها على ما هي عليه.

14 - يشير إلى ما أردفه من النعم المعنوية وغير المعنوية على عباده. وقوله: مهول، فمن فكر في ذلك عظم عليه وهاله ما أردفه سبحانه من جسيم مننه التي لا طاقة للعبد على القيام بشكرها، وشبهها بكثيب الرمل لارتكاب بعضها على بعض وتصرفها وكثرتها وتميز بعضها من بعض كما تنفصل دقيقة الرمل من الرمل، أي لا تمزج فتختلط فلا تعرف. ثم شبه حركتها في قلوب العارفين بها مثل سنام الجمل العظيم في الرفعة والسمن فإنه دهن كله والدهن تمد الأنوار للبقاء، فكذلك هذه العلوم إذا قامت بقلوب من قامت بها أورثتها البقاء الأبدي في النعيم الأبدي.

15 - **يقول**: لاتساعها لا تتعلق غيرة العباد بها لأنها مع كل أحد كالشمس لو اتفق أن تهواها القلوب لقطعت يأسها من مماسة ذاتها لنزاهتها وعلوها عن مقام محبيها ولنالت منها مقصودها بمجرد النظر على الانفراد لأنها متخيلة لكل عين فلهذا لا تصح الغيرة على محبوب بهذه الصفة، فإن المصلي يناجي ربه وكل شخص في رؤيته على انفراده يناجي ربه بقلبه فلا يقع في ذلك ازدحام فلا غيرة فلا لوم من عاذل ولا من صديق أصلاً.

16 - **يقول**: ولو تصور اللوم من أحد إلي في حبي إياها لكان جوابي الإعلان بالبكاء والزفير. يريد: أن الحال مني محبة بأني لا أسمع عذلك فيما جئت به.

17 - **يقول**: فشوقي ركابي إليها وهو الذي ينزلني عليها. يقول الحق تعالى: «**أين المشتاقون إلي أنزههم في وجهي وأرفع لهم الحجاب عني حتى يروني فطوبى لهم ثم طوبى ما أحسن تلك المناظر العلى بالمقام الأجلى والمكانة الزلفى**». ثم قال: إن وجدي به غذائي الذي هو سبب حياتي، والصبوح: شرب الغداة، والغبوق: شرب العشي، ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: 62] كما للمحجوبين النار يعرضون عليها غدواً وعشياً.

قِفْ بالطُّلولِ الدارِسَاتِ

قال: وأنشدني بعض الفقراء بيتاً لا يعرف له أخاً وهو:

كـلُّ الـذي يـرجـو نـوالَـكَ أمـطـروا مـا كـان بـرقـك خـلـبـاً إلا مـعـي

قال: فأعجبني وقفوت معناه فعملتُ أبياتاً في هذا الروي وضمنتها هذا البيت بكماله إجابة لذلك الفقير رحمه الله فقلت:

1 - قِفْ بالطّلولِ الدارِساتِ بلَعلعِ وانـدُبْ أحـبّـتَـنـا بـذاك الـبَـلْـقَـعِ

2 - قِفْ بالدِّيارِ، وناجِها، متعجِّباً مـنـهـا بـحُـسـنِ تـلـطُّـفٍ، بـتـفـجُّـعِ

3 - عَهدي بمثِلي عِندَ بانِك قاطِفاً ثَـمَـرَ الـخُـدودِ، وَوَرْدَ رَوضٍ أيـنـعِ

1 - **الطلول**: أثر منازل الأسماء الإلهية بقلوب العارفين هنا. **والدارسات**: المتغيرة بالأحوال لانتقالها من حال إلى حال بسبب تولعها. واندبْ يقول: وَابكِ أحبتنا، يعني الأسماء الإلهية. بذلك البلقع: يعني قلبه المنعوت بالتجريد وإفراغها من السكان الذين كانوا عمروها وهي الخواطر الإلهية والملكية خاصة.

2 - يشير بالديار إلى المقامات. وقوله: نادها، متعجباً لعدم النازل فيها مع ما يراه من حسنها وبهائها. وقوله: بحسن تلطّفٍ بتفجّعٍ، يقول يستنزلها فيها مع مقام اللطف بحال المكلف بها الحزن لها لما هي عليه من عدم النازل. ثم أخذ يذكر ما قال لها.

3 - **يقول**: كم شهدت من محب مشتاق بروضك يقطف من ثمار معارف القيومية، يعني التخلق بها، فإن أصحابنا اختلفوا في التخلق بالقيومية ومذهبنا التخلق بها ومذهب ابن جنيد القبر كفني واتباعه لا يصح التخلق بها. وقوله: وورد روضٍ أينعٍ، ما تحمله الوجنات من الحمرة، يشير إلى مقام الحياء. وقوله: أينعٍ، يريد أنه نتيجة مراقبة ومشاهدة طرا بطروها، كما قال الجناب الإلهي: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: 2]، أي عندنا لطروه في وقت نزوله وإن كان قبل ذلك موجوداً لكن ليس عندنا. ثم ذكر البيت الذي ضمنه في هذه القصيدة.

4 - «كلّ الذي يرجو نَوالَك أُمطِرُوا ... مـا كـان بَـرْقُـك خُـلّبـاً إلاّ مـعـي»

5 - قالت: نعم، قد كان ذاكَ المُلتَقى ... فـي ظـلّ أفـنـانـي بـأخـصَـبِ مَـوضِـعِ

6 - إذ كـانَ بَـرْقـي مـن بُـرُوقِ مَـبـاسِـم ... والـيَـوْمَ بَـرْقـي لَـمْـعُ هـذا الـيَـرْمَـعِ

7 - فـاعـتُـبْ زَمـانـاً مـا لـنَـا مـنْ حِـيـلَـةٍ ... فـي دَفْـعِـهِ، مـا ذنـبُ مَـنـزِلِ لَـعْـلَـعِ

---

4 - **يقول**: كل من طلب منك أمراً ناله غيري وذلك لعدم العناية. وفيه أيضاً إشارة في حق نفسه إلى مقام عال ناله لم ينله أحد غيره من أمثاله لأن البرق مشهد ذاتي فإذا أمطر فهو ما يحصل في قلب المشاهد من المعارف التي تثمر فنبه على أنه مشهد ذاتي في حجاب ممثل. كما قال في حق جبريل عليه السلام: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: 17]، فأفادها عيسى بهذا التمثل كما أفادها ولاء بالمطر في المشهد البرقي فنون المعارف إلا أنا.

يقول: فإن برقك خلب، أي ليس يتحصل من هذا المشهد الذاتي علم في نفس المشاهد لأنه تجلى في غير صورة مادية فلم يكن للخيال ما يضبطه به فلم يكن للعقل ما يعقله إذ لا يدخل تحت كيف ولا كم ولا حال ولا نعت ولا وصف لكنه في المقام الأول أَلْيَقُ بالعاشق والمقام الثاني أتم للعارف. ثم أخذ ينبه على شرح المقام الأول أن التجلي إنما كان في الحجاب الممثل.

5 و6 - **يقول**: قد قالت له هذه الصفة التي تجلت له: صدقت قد كان ذاك الملتقى مع المحبين من أمثالك وأشباهك في ظل أفناني أي في رحمة عواطفي بأكثر علم نافع بمقام تشبيه وإن كان قدسياً إذ كان برقي.

يقول: إذا كان التجلي مني في صورة مثالية حسنة جميلة من مقام الابتهاج والسرور بظهور المباسم التي عنها ظهر هذا التجلي فهو سبحاتها دائماً معك فالتجلي في صورة جمادية، فإن اليرمع: حجارة براقة وهي في العادة غير معشوقة، يقول: فتجلت لك في مقام لا يتقيد بالمحبة والعشق لأنه لا صورة له.

7 - **يقول**: لا عتب إلا على الزمان يعني الحركات الفلكية الجارية بفراق الأحباب، يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ [النحل: 70]، وهو الهرم الكائن عن مرور الأزمان لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وهو فراق الأحبة، أي أن المعارف محبوبة له وقد حال بينه وبينها كرور الأدوار فلا ذنب للمحل وإنما هو الذي أخلقه بعد جدته.

8 - فعَذَرْتُها لمّا سمِعتُ كلامَهَا　　تَشكو كما أشكو بقَلبٍ مُوجَعِ
9 - وسألتُها لمّا رأيتُ ربُوعَها　　مَسرَى الرّياحِ الذّارِياتِ الأرْبَعِ
10 - هل أخبرَتْكِ رِياحُهم بمَقِيلِهِمْ؟　　قالت: نعم، قالوا: بذاتِ الأجرَعِ
11 - حيثُ الخِيامُ البِيض تشرقُ للّذي　　تحويه من تلكَ الشموسِ الطُّلّعِ

---

8 - يريد قوله تعالى على لسان نبيه[1]: «**ما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له من لقائي**»؛ يريد أن ما سبق بكونه العلم ولا بد من كونه، فتفطن لما أشرنا، ولنا في هذا المعنى:

يحنُّ الحبيبُ إلى رؤيتي　　وإني إليهِ أشدُّ حنينَا
وتهوى النفوسُ ويأبى القضَا　　فأشكو الأنينَ، ويشكو الأنينا!

9 - **يقول**: .

وسألتها لما رأيت ربوعها

يعني المحل تخترقه الأهواء الأربعة: الجنوب والشمال والصبا والدبور، ويشير إلى ما يأتيه من الأهواء من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم، يريد عالم الأنفاس والأرواح التي تنسمت من هذه الجهات من منازل الأسماء الإلهية.

10 - **يقول**: هل أخبرتك هذه النسمات الإلهية حيث قالوا؟ يشير إلى مشهد قوله ﷺ: «**ترون ربكم كما ترون الشمس بالظهيرة**»[2]، وهو وقت القيلولة، ويؤيد ذلك بقوله: «**قالوا بذات الأجرع**»، أي لما فيه من تجريع الغصص بقوة سلطانه على المحل فيلجون خوف الاحتراق من سبحات الأنوار إلى الخيام البيض، يريد الحجب النورانية التي على السبحات الوجهية. قال: وأنوار هذه الخيام ليست منها وإنما هو مما تحته من شموس المعارف بآفاق قلوبهم فمن ذلك إشراقها وبياضها.

---

(1) تقدّم تخريج الحديث.
(2) تقدّم تخريجه.

واحَرَبا من كَبِدي

1 - وَاحَـرَبـا مِـن كَـبِـدي، وَاحَـرَبـا وَاطَـرَبَـا مـن خَـلَـدي وَاطَـرَبـا
2 - فـي كَـبِـدي نـارُ جَـوًى مُـحـرِقَـةٌ فـي خَـلَـدي بـدرُ دُجًـى قـد غَـرَبَـا
3 - يا مِسكُ، يا بدرُ، ويا غُصن نَقًا مـا أوْرَقَـا، مـا أنـوَرَا، مـا أطْـيَـبَـا

---

1 - لما كان الخلد محل شاهد الحق القائم به قال: «واطَربا»، لسروره بما شاهدته، وبين البيت الثاني ذلك لأنه مفسر له فقال: في كبِدي نار جوى محرقة؛ يشير به إلى الاصطلام والحرب الذي يشكو منه هو خوف التلف على نفسه بفساد هذا الهيكل الذي بواسطته اكتسب العلوم الإلٰهية وإن كان أكثر النفوس تطلب التجرد منه والالتحاق بعالمها البسيط، ولكن عند المحققين إنما تطلب التجرد عنه حالاً وفناء لانفصال علاقة لما لها بوجوده من المزيد فيما هي سبيله فلهذا شكا الحرب.

وقوله: «في خلدي بدر دجى»؛ الدجى إشارة إلى الغيب فإنه الليل وهو محل الستر والغيب ستر. وقوله: «قد غَرَبا»؛ رجح جانب الستر على جانب الكشف، أي غرب عن عالم الحس وطلع في الخلد بدراً يريد كامل النور، إشارة إلى قوله ﷺ: **«ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر»**. صفة كمالية.

2 و3 - سماها مسكاً لما تعطيه من الأنفاس الرحمانية اليمنية لإظهار العلوم المحمدية. وسماها بدراً لما توصف به من الكمال وما ينسب إليها مما لا يليق بها في اعتقاد من خالف اعتقاده العلم بما يليق بها من التنزيه والتقديس، بمنزلة الكسوف والنقص الذي يطرأ على البدور، وذلك راجع إلى شاهد الحق في قلب كل أحد بحسب ما هو الشاهد عليه لاقتضاء دليله واعتقاده أو إلهامه، وليس الاستمداد الذي فيه من النور الشمسي لمصالح الكون، فشاهد الحق في قلب العبد مستمد من النور الإلٰهي الذاتي. وسماها أيضاً بدراً لكونها مرآة لمن تجلى فيها. وهو من باب ظهور الحق في الخلق وبالعكس أيضاً. وسماها غصن نقاً للصفة القيومية التي لها أوصاف القيومية منها إلى النقا الذي هو كدس الرمل يحد بين الوصل، وهو المعنى الذي أظهر فيه هذه الصفة القيومية

4 - يا مبسِماً أحبَبتُ منهُ الحَبَبا ويا رُضاباً ذُقتُ منه الضَّرَبا
5 - يا قَمَراً في شَفَقٍ مِن خَفَرٍ في خَدّه لاحَ لَنا مُنتَقِبا

وظهرت فيه وبما فيه من العلو والنشر على الأرض لما فيه من التنزيه عن مراتب الكون وبما يطرأ على النقا من ذهاب الرياح به عند هبوبها هو ما تعارضه هذه العلوم الرملية من الأهواء النفسانية في أوقات ما، وتلك أوقات الغفلات مثلاً، كمن يعلم قطعاً أن الله هو الرزاق وأنه قد سبق علمه بأن ما هو لك ليس لغيرك فتأتي الأهواء النفسانية بالخواطر الطبيعية فتحول بينك وبين هذا العلم فتضطرب عند الفقد وتسعى في طلب ما قد فرغ لك منه، فهذا هو ذلك. وقوله: ما أورقا، يريد ما يلبسه غصن القيومية من الأسماء الإلٰهية التي بها تجمله في قلوب العباد، كما أن الأوراق ملابس الأغصان، وقوله: «ما أنورا»، يريد البدر، من قوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النور: 35] والمثل المثل. وقوله: «ما أطيبا»، يريد المسك، وهو ما تعطيه الأنفاس التي ذكرناها من المعارف والأخلاق الإلٰهية لهذا العبد المتصف بها.

4 - يشير إلى ما أراد عليه السلام، بقوله: «إن الله يضحك»، حتى قالت العرب: لا عدمنا خيراً من ربٍ يضحك. وشبه المبسم بالحبب وهو ما يظهر على وجه الماء، وهو راجع إلى ريح والماء سر الحياة فهو ما يظهر على الحياة الإلٰهية من العلوم الرحمانية عند هبوب الأنفاس. كما قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ [الأنعام: 122] يريد العلم من الجهل. وقوله: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ﴾ [الأنبياء: 30]، فهذا ذلك، وقوله: «ورضاباً» يشير إلى علوم الفهوانية والمناجاة والكلام والحديث والسمر ولكن من العلوم التي تعقب اللذة في قلب من قامت به، فإنه ما كل علم يكون عنه لذة، والضرب هو العسل الأبيض، فشبه الرضاب به للحلاوة والبياض كما شبه النور الإلٰهي بنور المصباح وإن بعدت المناسبة، ولكن اللسان العربي يعطي التفهم بأدنى شيء من متعلقات التشبيه.

5 - شبهه بالقمر وهي حالة بين البدر والهلال، فهو مشهد برزخي مثالي صوري يضبطه الخيال. والشفق هنا الحمرة من أجل الخفر الذي هو في الحياء، والحياء يعطي الحمرة في الخدود، والله حيّ كما أخبر عليه السلام. ولما كانت حمرة الخفر في الوجنة لذلك ذكر الخدود دون غيرها. وقوله: «لاح لنا منتقبا»، الإشارة إلى ما أشار عليه السلام، بالحجب الإلٰهية النورانية الظلمانية. وسيأتي في البيت الثاني معنى ما ذكرناه.

6 - لَـو أنّـهُ يُـسـفِـرُ عَـن بُـرْقُـعِـهِ كـانَ عَـذابـاً، فـلِـهـذا احـتـجَـبَـا

7 - شـمـسُ ضُـحًـى فـي فَـلَـكٍ طـالِـعةٌ غُـصـنُ نَـقـاً فـي رَوضَـةٍ قـد نُـصِـبَـا

8 - ظَـلْـتُ لـهَـا مـن حَـذَرٍ مُـرْتـعِـبـا والـغُـصْـنُ أسـقِـيـهِ سـمـاءً صَـيِّـبـا

6 - الإشارة بالإسفار والعذاب والحجاب الإشارة بقوله ﷺ: **«إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها أحرقت سُبُحات وجهه ما أدركه بصره»**. وهو مشهد عظيم نزيه لا يبقي أثراً ولا عيناً ولا كوناً فما احتجب إلا رحمة بنا لبقاء أعياننا، فإنه في بقاء عين الكون ظهور الحضرة الإلهية وأسماؤها الحسنى وهو جمال الكون، فلو ذهب لم تعلم، فبالرسوم والجسوم انتشرت العلوم وتميزت الفهوم وظهر الاسم الحي القيوم، فسبحان من أرسل رحمته عامة على خلقه وكونه لشهود صفته وعينه.

7 - قوله: شمس ضحى، يريد وضوح التجلي عند الرؤية. والفلك عبارة عن الصورة التي يقع بها التجلي وهي تختلف باختلاف المعتقدات والمعارف وهي حضرة التبدل والتحول في الصور، وهذه القوة الإلهية والصفة الربانية تظهر أعلامها لأهل الجنان في سوق الجنة الذي لا بيع فيه ولا شراء، وقد يصل إلى هذا المقام هنا بعض العارفين كقضيب البان وغيره في الصورة الحسية. وأما في الصورة الباطنة فهي أحوال الخلق كافة. وأراد بطلوعها ظهورها لعين المشاهد.

وقوله: «غصن نقاً»، فهي الصفة القيومية في روضة، يريد روضة الأسماء الإلهية لا روضة العلوم. وقوله «قد نصبا»، إشارة إلى التخلق بهذه الصفة، خلافاً لابن جنيد وغيره ممن يمنع التخلق بها، وأجمعنا على التحقق إلا أني أمنع إدراك التحقق بالشيء إذا امتنع التخلق به إذ التخلق بالشيء هو الدليل الموصل إلى التحقق به وما لا يتخلق به فلا يتحقق أصلاً إذ لا ذوق يدركه لكن قد نعلم علم علامة أو إشارة لا علم ذوق وحال، وقوله: قد نصبا، كأنه يفهم منه أن نصبه أثر فيه، وليس كذلك وإنما كشفنا هذا الرأي له في هذه الروضة بعد أن لم يكن له كاشفاً هو نصب في حقه، كما قال تعالى: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾ [الأنبياء: 2] يعني عندهم لا في نفس الأمر، كما يحدث الآن خبر عندنا من الملك وكان قد تكلم به منذ شهر مثلاً، فحدوثه الآن عندنا لا في نفس الأمر.

8 - **يقول**: لما كانت عزيزة المنال لا تتقيد بالمثال خفت من الحجاب بالمثال من الالتفات الغرضي النفسي فصرت أشهدها في كل شيء وقبل كل شيء من حيث تعلق ذلك

9 - إن طلعَتْ كانتْ لعيني عَجَبا   أوْ غَرَبَتْ كانَتْ لِحَيْني سببا
10 - مُذْ عَقَدَ الحُسنُ على مَفرِقِها   تاجاً من التِّبرِ عشِقتُ الذَّهَبا

الشيء بها في ثبوته قبل وجوده لا من حيث هي مجردة عن تعلق التشبيه بها ومن كونها غصناً. أسقيه سماء يريد مطراً وغيثاً، إشارة إلى ما تكون به الحياة العرفانية. وصيباً نازلاً من أعلى يشير إلى أنه يأخذ من العلو منة وفضلاً لا كسباً وتعملاً ويسقيه ليثمر عنه ما تعطيه قوته من المعارف المحمولة فيه.

9 - إن طلعت كانت لعيني متعلق بطلعت، والعجب الذي يقع منه حيث أدرك الخسيس على خساسته والنفيس على نفاسته، ولكن يسهل هذا الأمر عند من وقف عند قوله تعالى[1]: «كنت سمعه وبصره»، فما أدركه سواه ولا سمع كلامه غيره، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: 21].

ولما غاب هذا القائل عن هذا المشهد لذلك ذكر هذا. وقد يريد بقوله: فإن كنت في شك وهي لا تطلع فلا يكون عجباً. وقوله:

أو غربت كانت لحيني سببا

ينبه على صفة عشقية يموت للفقد شوقاً كما ذكره المحبون في كلامهم.

10 - الحسن مشهد عيني في مقام الفرق الذي تميز فيه العبد من الرب وهو الفرق الثاني المطلوب، وهو أعلى عند المحققين العارفين بالله من المقام في عين الجمع، فإن الجمع على الحقيقة إذن بالتفرقة فإنه يؤذن بالكثرة ولا كثرة في العين فهو راجع إلى جمعك به عند أخذك منك. وقوله: تاجاً، زينة إلهية خارجة عن مقام الاستواء. والذهب صفة كمال لكمال مراتب المقامات، فإن الذهب حاز صفة كمال الاعتدال وهو أشرف المعادن. وجعلهِ تِبْرًا أي لم تدنسه أيدي الكون بالتخليص فإنه في تبره أشرف في حقنا لأن ظهوره لنا بنا هو الذي يصح ويوجد، وأما ظهوره لنا به فلا يصح فالطمع في غير مطمع جهل. وجعله عشقاً من العشقة: العلاقة التي بين العبد والرب في الدقيقة التي ينزل فيها إلى قلبه بالمعرفة.

---

(1) صحيح البخاري، رقم (6137) وقد تقدم هذا الحديث قريباً.

11 – لـو أنّ إبـلِـيـسَ رَأى مِـن آدَمٍ نُـورَ مُـحـيّـاهـا عَـلـيـه مـا أبَـى

12 – لـو أنّ إدرِيـسَ رأى مـا رقَـم الـ حُـسـنُ بـخَـدّيْـهـا إذاً مـا كَـتَـبَـا

13 – لـو أنّ بِـلْـقِـيـسَ رأتْ رَفـرَفَـهـا مـا خَـطَـرَ الـعَـرشُ ولا الـصَّـرحُ بِـبـا

14 – يا سَرْحةَ الوَادي، ويا بانَ الغَضَا أهـدوا لـنـا مـن نَـشـرِكـم مـعَ الـصَّـبـا

---

11 – قيل لإبليس: اسجد لآدم، فغاب عن لام الخفض التي هي إشارة إلى لام الإضافة واحتجب العلم عنه بذكر آدم، فلو رأى اللام من قوله لآدم لرأى نور محيا هذه الذات المطلوبة لقلوب الرجال، فما كانت تتصور منه الإباءة عما دعاه إليه، فاحتجب إبليس واستكبر بنظره إلى عنصره الأعلى عن عنصر آدم الترابي، فلما رأى الشرف له امتنع عن النزول للأخس وما عرف ما أبطن الله له فيه من سبحات الأسماء الإلهية والإحاطة.

12 – إدريس: من الدرس وهو العلم المكتسب، مقام أيضاً شريف.

يقول: لو أن صاحب العلم النظري الإلهي رأى ما كتبه بالرقم العياني الإلهي بوجه هذه الصفة المطلوبة ما طلب اكتساب علم ولا كتب علماً أصلاً، فإن كل علم مندرج في هذا المشهد العظيم العياني.

13 – حقيقة برزخية بين الإنس والجن. ورفرفها: مرتبتها. والهاء تعود على هذه النكتة المطلوبة الذاتية. ما خطر لها عظيم مقامها، الذي هو سرير ملكها، ولا الصرح السليماني لها ببال إذ هو لها في عظيم ما تراه في علو مرتبتها. وهذه الحقيقة البرزخية يشهدها السالك عند انفصالها عن ترابيته إلى ناره من حيث اجتماع طرفي الدائرة لا على ما يقتضيه الترتيب الطبيعي عن الانفصال عن التراب إلى الماء إلى الهواء إلى النار. وقوله: ببا، حذف اللام للدلالة عليها فيما يقتضيه الكلام، وإنما حذف اللام لمعنى آخر ليبقى حرف الباء خاصة وهو مقام العقل الذي هو في ثاني مرتبة من الوجود، كما أن الباء في المرتبة الثانية من الحروف.

فكأنه يقول: إذا أقيمت هذه الحقيقة البرزخية في مقام التمليك لمرتبة العقل التي هي أقصى المراتب فيكون ذلك عرشها، وحالها صرحها لم يخطر لها ببال فكيف إذا كانت مع صورتها البرزخية.

14 – يريد بالوادي مسيل المعارف في قلوب العباد من حيث هم عباد. والغضا: مقام المجاهدة. وبانة وسرحة الوادي هما ما أنتجه لهم الدخول في هذه المعاملات.

15 - مُمَسَّكاً يفوحُ ريّاهُ لنا مِن زَهرِ أهضامك أوْ زَهرِ الرُّبَى

16 - يا بانَةَ الوادي أرِينا فَنَناً في لِينِ أعطافِ لها أو قُضُبا

17 - ريحُ صَباً يُخبِرُ عن عصرِ صِباً بحاجرٍ أو بمِنًى أو بِقَبا

يقول لهما: اهدوا لنا من طيبكم الطري مع عالم الأنفاس التي تكون عند التجلي، ولهذا كنى عنه بالصَّبا التي هي الريح الشرقية مطالع النور.

15 - **قوله**: «ممسكاً» مجعولاً فيه المسك، وهو طيب يخرج من حيوان. أي هذا الطيب انبعث من مقام الحياة تفوح رائحته لمشام العارفين. وقوله: من زهر أهضامك أو زهر الربى، يقول: إنه من مقام التنزل الإلهي الوارد على ألسنة الرسل في الكتب المنزلة، وكنى عنه بالإهضام وهو الذي أورث التواضع عند العارفين فنالوا بذلك المراتب العلى، وقد يكون أيضاً من مقام حجاب العزة الأحمى في بحر العمى، فكنى عن ذلك بالربى جمع ربوة، كما قال تعالى: ﴿لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ﴾ [المائدة: 66] بمنزلة الربى هنا ﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: 66] كالأهضام هنا. وشبهه بهذه الأزهار العطرية لأنها أوائل التجليات ودلائل على معارف ذوقية تأتي بعدها كما يأتي عقد الثمر بعد الزهر.

16 و17 - يخاطب ميل الكون إلى جناب الحق يقول: إني ميلك ونعمتك من ميل حضرة الحق إليك ونعمتها وظهور أنوارها عليك، وذلك لأن ميلك إليها ميل افتقار واستفادة وميلها إليك ميل غناء وإفادة فلا نسبة إلا من حيث النقيض. وذكر الفن لما في لفظه من الفنون وهي أنواع المعارف. وذكر القضب لحملها القضيب.

يشير إلى المعارف الذوقية. وذكر الأعطاف وهو جمع عطف وهو العطف الإلهي الذي تتضمنه الرحمة الشاملة المطلقة التي وسعت كل شيء، وبها حاج إبليس سهل بن عبد الله التستري فقال له: التقييد صفتك يا سهل لا صفته فإن الله لا يحجر بعد السعة ولكن يقسم أنواع المشارب على عباده فيعطي قوماً من وجه ما ويعطي آخرين من وجه آخر فلا يتقيد على الحق شيء، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فرحمته المتقين من باب الوجوب الإلهي الذي أوجبه على نفسه ورحمة غير المتقين من باب المنة والفضل كما كانت التقوى للمتقين من باب المنة والفضل، إذاً فرحمته على بابها وسعت كل شيء.

وقوله: «ريح صَبا» تخبر عن عصر صِبا، يقول: نسيم روح المعارف من جانب الكشف والتجلي، أخبر عن أوان زمان الشباب الذي أشار إليه رسول الله ﷺ، عند نزول المطر فكشف رأسه عليه السلام، حتى أصابه المطر فقال عليه السلام: «**إنه حديث عهد**

18 – أَوْ بالنّقا، فالمُنحنى عند الحِمى أَوْ لَـعْـلَـعٍ حـيـثُ مَـرَاتـعُ الـظِّـبـا
19 – لا عـجـبٌ لا عـجـبٌ لا عـجـبا مـن عَـربـيّ يَـتَـهـاوَى الـعَـرَبـا
20 – يفنى، إذا ما صَدَحتْ قُمريّةٌ بـذِكْـرِ مَـن يَـهْـوَاهُ فـيـهِ طَـرَبـا

بربه»، فلهذا أشار بعصر الصبا، وفيه أيضاً من اشتقاق الصبا من الصبابة وهي الميل، فكأن هذه الريح تخبر عن أوان الميل بالأعطاف الإلٰهية. قال: ووقع أخبار هذه الريح في مقامات مختلفة منها مقام الحرمة ومقام تمييز الأشياء بحقائقها بعضها عن بعض فكنى عنه بحاجر من التحجير[1]، ومنها مقام التمني مع وجود الطهارة والزكاة فكنى عنه بمنى، ومنها مقام الراحة والتجريد فكنى عنه بقبا، ولهذا كان رسول الله ﷺ، يزورها في كل سبت، والسبت الراحة، والسبت حلق الرأس، ففيه مقام التجريد.

18 – **يقول أيضاً**: أو بالنقا، يشير إلى الكثيب الذي تقع فيه الرؤية. وقوله: فالمنحنى، ما يكون من الشفقة الإلٰهية والعطف من باب الرحمة بالكون لبقاء العين عند ظهور العين التي هي الحمى فلا تنال مع كونها تشهد. وقوله: أو لعلع، من التولع يشير إلى حالة عشقية، حيث مراتع الظباء لتشبيه أهل الحسن والجمال بها أو لأنها محل الأعراف الطيبة النشر لكون الظباء تحمل المسك في نوافجها فتأكل الطيب وتطرح الطيب.

19 – **يقول**: لا تعجبوا من شيء يحن إلى أصله ويشتاق إليه.

20 – **قوله**: يفنى إذا ما صدحت قمرية، كنى بالقمرية عن نفس عارف مثله قد فوعت بأمر علوي أشاقه إلى ما جاء عنه. وقد أشار إلىٰ هذه القُمْرية بعض العقلاء بقوله[2]:

هَبَطتْ إليكَ من المحلّ الأرفعِ ورقاءُ ذاتُ تعَزُّزٍ وتَمنُّعِ

وكان الصدح من هذه الحمامة بلسان الأنس والجمال فكان فناؤه طرباً لحسن السماع بذكر من يهواه.

(1) الحاجر: المانع.

(2) القائل هو ابن سينا الشيخ الرئيس، وقصيدته هذه عن النفس مشتهرة في كتب الأدب.

رَوْضَةٌ غَنَّاء

1 - بالجِزْعِ بينَ الأبْرَقَيْنِ المَوْعِدُ فأنِخْ ركائِبنا، فهذا المَوْرِدُ
2 - لا تَطْلُبَنّ ولا تُغادي بَعْدَهُ: يا حاجِرٌ، يا بارِقٌ، يا ثَهْمَدُ

1 - لما كان الجزع منعطف الوادي أشار به إلى العواطف الإلٰهية وجعله بين الأبرقين، وقد ذكرنا أن البرق مشهد ذاتي وسناه للشاهد الذاتي الذي يحصل في نفس المشاهد عند الرؤية. والموعد ما وقع عليه الوعد. كما قال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [التوبة: 72] وهي جنة الإقامة، فصفة الجنة التي وعد الرحمٰن مقام اللطف عباده مقام العبودية بإضافة الاختصاص بالغيب، أو يريد مقام الإيمان، قال أبو يزيد رضي الله عنه: أنتم أخذتم علمكم ميتاً عن ميت ونحن أخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت من حيث الخبر الإلٰهي على اللسان النبوي، وقد يريد بالغيب حالة أوان أخذ الميثاق على النفوس فكان غيباً، أي في عالم الأمر والملكوت أنه كان وعده مأتياً حقاً صدقاً على المعنى. وقوله: فأنخ ركائبنا، إن أراد جنة الحس والمحسوس فالركائب هنا هي الهياكل الحاملة للطائف الإنسانية. والمورد هو ما ينزلون عليه من النعيم الدائم الملذوذ للنفوس والأعين، وإن أراد جنة المعاني فالركائب هنا مطايا الهمم. وقوله: أنخ، أي لا تتعدى الهمم ما تعلقت به مطالبها. والمورد عبارة عن بلوغها أمنيتها، وهو سر الحياة الدائمة، فإن كان لها أمر فوق هذا فهو خارج عن الموعد من باب المنة والفضل الإلٰهي الذي لا يدخل تحت حصر ولا حد.

2 - **يقول**: إذا وصلت إلى هذا المورد على التفسير الثاني لا تطلب بعده أمراً آخر، فإن النبي، ﷺ، يقول: «**ليس وراء الله مرمى وليس وراء الله منتهى وما بعد الحق إلا الضلال**». وأما تخصيص الحاجر والبارق والثهمد فإن المنع واقع عند بلوغ هذا المورد والنداء بعد فكأنه نقيض حاله لو نادى بالحاجر، وكذلك البارق فإنه في مشهد ذاتي، وكذلك الثهمد فإن البرق متصل به مضاف إليه. كما قال طرفة بن العبد[1]:

لِخَوْلَةَ أطْلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ

(1) في صدر معلقته المشهورة، وتمام البيت:

. . . . تلوحُ كباقي الوشْمِ في ظاهر اليدِ

3 - والعَبْ كما لعِبَتْ أَوَانس نُهَّدٌ   وارتَعْ كما رَتَعَتْ ظِباءٌ شُرَّدُ

4 - في رَوْضَةٍ غنّاءَ صاحَ ذِئابُها   فأجابَهُ طَرَباً هُناكَ مُغَرِّدُ

فأراد هنا يا برقة ثهمد فحذف. والضمير الذي بعد يعود على الوصول، كأنه قال: بعد الوصول لا بعد المورد، إذ لا بعدية هناك.

3 و4 - كنى بالروضة عن الحضرة الإلهية بما تحويه من الأسماء المقدسة والنعوت. واللعب تصرف حالات متنوعة وهي انتقالات هذا العبد من اسم إلى اسم بحالة الأنس والجمال والذوق[1]، ولهذا قال: العب وارتع. وأوقع التشبيه بالأوانس لما ذكرناه. والنهد لأنها محل الرضاع واللبن الفطرة التوحيدية التي طلب النبي ﷺ، الزيادة منها كما أمره الحق تعالى، وأشار إلى ميازيب العلوم التوحيدية الفطرية وأوقع التشبيه أيضاً في الذوق بالظباء الشرد لبعدها من الأغيار فتأتي الأماكن التي لم تدنسها الأقدام فتطيب مراعيها وتصفو مشاربها، وكأنه دله على علم التنزيه والتقديس. وكنى بالغناء عن الفهوانية. والذئاب الأرواح اللطيفة. وقوله: فأجابه طرباً، من مقام السرور والابتهاج. والمغرد النفس الإنسانية من حيث ما لها في تلك الحضرة من الصور، فإن للنفس الإنسانية في كل حضرة وفلك ومقام صورة، وقد نبه على ذلك عبد الله بن عباس رضي الله عنه، في تفسيره المنسوب إليه.

(1) **الأُنس**: يقابله الوحشة؛ يطلق على أُنسٍ خاص هو الأنس بالله، وهو التذاذ الروح بكمال الجمال، وهو من آثار مشاهدة الحضرة الإلهية في القلب، وهو جمال الجلال. وهو على أحوال. الموسوعة الصوفية، ص655.

الجمال: له نوعان: مكتسب: الذي يعرفه العامة. وحقيقي: التناسب بين الأعضاء، وهو الجمال الإلهي عند الصوفية. وهو مطلق يتفرّد به الحق، ومقيّد: والمقيّد كلّي وجزئي.

الموسوعة الصوفية، ص707 - 709.

الذوق: نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه، يفرّقون به بين الحق والباطل.

الموسوعة الصوفية، ص756 - 757.

5 - رَقّتْ حَواشِيها ورَقّ نَسيمُها فالغَيمُ يَبرُقُ والغمامَةُ تَرعُدُ
6 - والوَدْقُ يَنزِلُ من خِلالِ سَحابِهِ كدُموعِ صَبٍّ للفِراقِ تَبَدَّدُ
7 - واشرَبْ سُلافةَ خَمرِها بخمارِها واطرَبْ على غَرِدٍ هُنالك يُنشِدُ

---

5 - **يقول**: لطفت معاني ما تحمله من الظرف والأدب ولطف عالم الأنفاس منها، وقوله:

فالغيم يبرق والعمامة ترعد، إشارة إلى حالتين مشاهدة وخطاب «**وجاء ربك في ظلل من الغمام وكان الله في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء**»، والحديث مشهور عند العلماء وفيه روايتان المد والقصر، واستشهادنا به في هذا المعنى إذا كان بالمد لا غير.

6 - **يقول**: ونزول المعارف الإلهية من خلال السحاب، يعني أبواب التجلي ودقائقه، في هذا المقام الغمامي، وشبهه بدموع الصب، أي تنزل محبة وشوق تخصصاً له على مقام الخلة والاصطفاء والتبدد المنسوب إليها، أي أنها خارجة عن حكم ما يقتضيه الكسب فهو فوق الموازين لأنه تعالى يقول: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: 21] وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ [الشورى: 27].

7 - قال الله تعالى: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [محمد: 15] وصرفه إلى المعاني والمعارف التي يكون عنها السرور والابتهاج والفرح وإزالة الغموم والتجريد من الكم والكيف والهياكل الظلمانية والتنزه عن ملاحظة الأكوان الجسمية والجسمانية مطلوب الأفاضل من العلماء الإلهيين وجعل الخمر سلافة[1].

يقول: ما فيها تعمل ولا درستها أقدام ولا استخرجها معصار لكن صدرت عن أصلها بقوة أصلها فظهرت في عينها لعينها فلم تشهد سوى ذاتها وأصلها الصادرة عنه، فهي علوم ربانية ومعارف مقدسة إلهية تورث ما ذكرناه. والغَرِد الذي ينشد هنالك هو الناطق الذي ينتجه الذكر الجامع فتسمعه اللطيفة الإنسانية في ذاتها فتلتذ بسماعه، ولا سيما إذا تحمل معارف يخاطبها بها مثل هذا الخطاب الذي ورد به على هذا الشخص في هذا الحال بما ذكره في البيتين بعد هذا.

---

(1) السُّلافة: السُّلاف؛ أفضل الخمر وأخلصها، ومن كل شيء خالصه.

8 - وسُلافَةٌ من عهْدِ آدم أخبرَتْ عنْ جَنّةِ المأوَى حديثاً يُسْنَدُ
9 - إنّ الحِسانَ تَفَلْنها منْ رِيقِهِ كالمِسكِ جادَ بهَا علينا الخُرّدُ

8 و9 - هذا ذكر ما جاء به الناطق الغرد المنشد في خطابه في نعت هذه العلوم الخمرية ومرتبتها والتنبيه على أصلها وأصل عطريتها وقدمها وأنها من جنة المأوى أي من الحضرة التي تؤوي نفوس العارفين في أوان التربية. وقوله: «إن الحسان» يعني الأسماء الحسنى. تفلنها أي من محل الكلام والفهوانية والألسن. والخرد مقام الحياء والخفر، فيه إشارة إلى المشاهدة ولا سيما وقد تقدم ذكر الحسان، ثم جعلها من باب الجود والمنة لا من باب الكسب والطلب فقال: «جاد بها». وقوله: «كالمسك»، يجمع بين الشم والذوق.

أنا الَّذي أشكو الكَلال

1 - يا أيّها البَيْتُ العَتِيقُ تَعَالى نورٌ لكُمْ بقُلوبِنا يَتَلالا
2 - أشكُو إليكَ مَفاوِزاً قد جُبتُها أرسلتُ فيها أدمُعي إرسَالا
3 - أُمسي وأُصْبِحُ لا أَلَذُّ براحةٍ أَصِلُ البُكورَ وأقطَعُ الآصالا

1 - البيت العتيق: القديم، وهو قلب العبد العارف التقي النقي الذي وسع الحق سبحانه حقيقته.

وقوله: «تعالى»، يقول: ارتفع لكم نور من القلوب شعشعاني وظهر على الألسنة والعيون والأسماع وسائر الجوارح، فكان العبد في هذا المقام يسمع بالله وبه يبصر وبه يتكلم وبه يبطش وبه يسعى ويتحرك، فإن القلب من الجسد مثل النقطة من المحيط في الوسط، فالمحيط منها من كل جانب علواً، فلهذا قال تعالى، أي اطلب العلو من معدن انبعاثه فيلقى الجوارح فيصرفها بحسب ما تعطيه من الحقائق، فما تعالى منه إلى العين قيل فيه هذا الحق بصره، وإلى الأذن قيل هذا سمعه، وإلى الرجل قيل هذا سعيه، فناب من هذه صفته في الخلق مناب الحق فكان خليفة حق في أرض صدق لإقامة ميزان عدل عن امتنان وفضل.

2 - يصف حاله في سلوكه وسفره، وما قطع في طريقه من الرياضات والمجاهدات التي كنى عنها بالمفاوز. وقوله:

أرسلت فيها أدمعي إرسالا

حالة شوقية للقاء المحبوب والظفر بالمطلوب.

3 - يقول: تركت الراحات وأخذت بالعزائم والشدائد لبلوغ المقصد، فإن الهمم تعلقت بعظيم عزيز الحمى الطريق إليه وعرة صعبة وعقبتها كؤود فليس يوصل إليها إلا بالاتضاع.

4 - إنّ النّياقَ، وإن أضرّ بها الوَجى، تَسري وتُرفِلُ في السُّرَى إرفالا
5 - هذي الرّكابُ إليكُمُ سارَتْ بِنَا شوْقاً، وما ترجو بذاكَ وِصالا
6 - قَطَعَتْ إليكَ سَباسِباً ورِمالا وَخْداً، وما تَشكو لذاكَ كَلالا
7 - ما تَشتكي ألمَ الوَجى، وأنا الذي أشكو الكَلالَ، لقد أتَيتُ مُحالا

---

4 - **يقول**: الهمم وإن أعيت لعزة المطلوب فإنها مع ذلك لا تفتر، فإن الأدلة العقلية تريد أن تحيرها لقصور الأدلة عن تعلقها بما هو المطلوب عليه من الحقائق، فربما يكسل بعض همم العارفين الذين لا ذوق لهم محقق في الإلٰهية الواقفين مع الوجوب العقلي والجواز والاستحالة، والأمر الإلٰهي خارج عن هذا التقييد، فقد يحكم العقل بإحالة أمر ما وهو محال عقلاً لكن ليس محالاً نسبة إلٰهية، وهكذا في أكثر أحكامها فقد يدرك العقل بعض ما يعطيه الحق من حيث النسبة الإلٰهية، وقد يقصر عن إدراك بعض الأمور من تلك الحيثية ولا يعرف بقصوره.

فيقول: هذا واجب عقلاً أو جائز أو محال وهو صحيح من حيث دلالة العقل لا يكون إلا هكذا لا من حيث النسبة الإلٰهية.

5 - الركاب كل حامل من الإنسان ظاهر أو باطن، فإن السلوك يعم ذات الإنسان عملاً وهمة، فهي تحمل المشتاق وما ترجو وصالاً، واللطيفة الإنسانية المحمولة أولى بالمشتاق التي ترجو الوصال وإن كان لهذه المراكب وصول من حيث ما هي ولكن الوصول الذي لأجله تسلك بها إنما هو اللطيفة الإنسانية، ولا علم للمراكب بذلك فإنها تحت التسخير وبحكم التسخير تمشي، ولو كشف الغطاء لبدت الحقائق لكل ذي عين، كما أشرنا إليها، فهنيئاً لأهل الكشف.

6 و7 - **يقول**: هذه المراكب الكثيفة واللطيفة ارتكبت هذه المشاق ولم يظهر عليها أثر إعياء ولا وهن وأنا ما لي فيها سوى الأمر والتدبير والنظر بحكم السياسة لإقامة هذا النشأة واكتساب المعارف ودعوى المحبة، ثم أشكو الضجر والإعياء، لقد أتيت محالاً في دعواي.

قد تكذِبُ الريحُ

1 - بينَ النقَا ولَعلَعٍ ظِباءُ ذاتِ الأجرَعِ
2 - تَرعَى بها في خَمَرٍ خَمائِلاً وتَرتَعي
3 - ما طَلَعَتْ أهِلّةٌ بأُفقِ ذاكَ المَطْلَعِ
4 - إلا وَددتُ أنّهَا من حَذَرٍ لمْ تَطْلُعِ

1 - **يقول**: بين كثيب المسك الأبيض الذي تكون فيه الرؤية والتولع به فنون من المعارف الملازمة لمقامات التجريد وأحواله من قامت به جرعته الغصص العظيمة هيماناً وشوقاً إلى المعروف الذي هي دلالة عليه إذ لا بد لكل علم من معلوم هو متعلقه وإن كان عينه لكن من حيث ما هو الشيء كذا خلاف كونه من حيث أمر آخر.

2 - **يقول**: هذه المعارف المشبهة بالظباء ترعى، أي تتناول بحقيقتها من قوة من قامت به لغلبة سلطانها عليه. والخمر الشجر الملتف المتداخل بعضه في بعض إشارة إلى عالم الامتزاج والتداخل منه. والخمائل مثل ذلك إلا أنه قابل امتزاجاً بامتزاج، أي لكل ثمر قَطْفٌ ويد تقطف من جنسها لا تقدر يد أخرى تتناول ذلك وسببه الاتساع الإلهي، أي لا يتكرر شيء في الوجود فإنه يؤدي إلى الضيق والحقائق تأبى ذلك.

3 و4 - **يقول**: ما طلعت أهلة أي تجليات في مثل أحوال الهلال المرتقب هنا لطلب الشهود بأفق ذاك المطلع، يعني ذلك الكثيب الذي ذكره بلفظ النقا.

وقوله:

إلا وددت أنها من حذر...

يقول: من خوف على فناء المشاهد في نفسه عن نفسه فتذهب عينه والغرض بقاؤه لنفسه بربه ولربه بربه لا بنفسه لنفسه ولا لربه بنفسه ووجه آخر: وهو أنه قد تقرر أن التجلي على ما هو المتجلى عليه في نفسه لنفسه محال حصوله لأحد فلا يقع التجلي إلا من دون ذلك مما يليق بمن يتجلى له فيخاف على المتجلي له أن يعتقد أن الأمر في نفسه لنفسه على ذلك بعينه فتحصل الإحاطة وحصولها محال، كما ذهب بعض النظار في

5 - ولا بَــــدَتْ لامعــةٌ مــن بَـرْقِ ذاكَ الـيَـرمَـعِ
6 - إلاّ اشْـتَـهَـيْـتُ أنـهـا لـمَـا بـنَـا لـم تـلـمَـعِ
7 - يـا دَمـعَـتي فـانـسـكبي يـا مُـقـلـتـي لا تُـقـلِـعـي
8 - يـا زَفـرَتـي خُـذ صُـعُـداً يـا كَـبِـدي تَـصَـدّعـي
9 - وأنــتَ يـا حـادي اتّـئِـدْ فـالـنّـارُ بـيـنَ أضْـلُـعـي
10 - قـد فَـنِـيَـت مـمّـا جـرَى خـوْفَ الـفِـرَاقِ أدمُـعـي
11 - حـتّـى إذا حَـلّ الـنّـوَى لـم تَـلـقَ عـيـنـاً تَـدمـعِ

معرفة الباري سبحانه إلى أن معرفتنا به ومعرفة جبريل له ومعرفته بنفسه سبحانه على السواء، وما أبعد هذا من العلم الصحيح.

5 و6 - **يقول**: ولا بدت لامعة، يشير إلى تجل جمادي يقابله نور شعشعاني كمقابلة نور الشمس لهذه الحجارة الملس البراقة ومحلها الأرض كما أن محل الأهلة السماء، فيقول: إنه سواء كان التجلي علوياً أو سفلياً طبيعياً أو غير طبيعي لا أريد أن يقع، لما ذكرنا في التفسير قبل هذا، ولهذا قال: لما بنا لم تلمع، يشير إلى ما ذكرناه في التفسير على الوجه الثاني من أن يعتقد أن الأمر في نفسه كما تجلى له.

7 و8 - يخاطب عالم النزول والصعود كما ورد في الخبر: «**يتعاقبون فيكم ملائكة الليل وملائكة النهار**» فما يصعد منه فهو الهمة وما ينزل إليه فهو المعارف الوهبية والتي تأتي بها الملقيات. وقوله: يا كبدي تصدعي، خزانة الغذاء حقيقة ميكائيلية.

يقول لمقسم الأرزاق: ورزق كل عالم بحسب مشاكله، والتصدع: التفرق، على حسب العالم الذي يتغذى منه كأفواه العروق الملتقية من الكبد ما تعطيه من الدم في تلك المجاري ﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة: 60].

9 - 10 - 11 - قوله: «تدمعِ» بكسر العين هكذا في الأصل، والوجه الرفع.

يخاطب داعي الحق الذي يدعو الهمم إليه بالتوجه يقول: لا تعجل فإن نيران الحب قد أنضجت كبدي، ثم إني في حال الفراق مع رغبتي في حصول المشاهدة والاتصال أفكر في البينونة عن تلك الحالة فأبكي لها قبل وقوعها حتى لو وقعت لم تجد العين

12 - فارْحَلْ إلى وادي اللّوَى مَرتَعِهِم ومصرَعي
13 - إنّ بِهِ أحبَّتي عِندَ مِياهِ الأجرَعِ
14 - ونادِهم: مَن لِفتًى ذي لوعَةٍ مُودِّعِ؟!
15 - رَمَتْ بِهِ أشجانُهُ بَهماءَ رسمٍ بَلقَعِ
16 - يا قمَراً تحتَ دُجَى خُذْ منهُ شيئاً ودَعِ
17 - وزَوِّدِيهِ نَظرَةً مِن خلْفِ ذاكَ البُرقُعِ
18 - لأنّهُ يَضعُفُ عَنْ دَرْكِ الجَمالِ الأروَعِ

دمعة ترسلها عند الفراق لأن تلك الرطوبات فنيت لهذه النار وعظم حرارتها وكثرة ما أرسلته من العبرات خوف البين.

12 - يشير إلى مقام العطف، كنى عنه باللوى والرقة، فإن اللوى حيث يلتوي الرمل ويرق. **يقول**: ذلك المقام هو مرتع لهم وهو مصرعي فإني بتعطفهم علي أفنى وأذوب بل أموت دهشاً وحيرة عند ذلك العطف الإلهي.

13 - **قوله**: إن به أحبتي، يعني بمقام اللوى، فإن العطف إنما هو منهم بهم لا بغيرهم. وقوله: عند مياه الأجرع، يقول: لا يحصل لك هذا العطف الإلهي إلا بعد تجريع الغصص في الرياضات والمجاهدات، فحصوله مقرون بحصول هذه الغصص بل هي التي تنتج عن هذا العطف واللطف والرقة والحنان.

14 - **يقول**: ونادهم، أي الأحبة، من لفتى من الفتوة ذي لوعة حرقة الشوق مودع يريد حالة الانصراف من المشاهدة إلى ذاته، كما ورد في رؤية الجنة: إذا تجلى الحق لعباده ورأوه وهم بالكثيب في جنة عدن يقول: «**ردوهم إلى قصورهم**».

15 - **قوله**: رمت به أشجانه؛ أي أحزانه، بهماء حالة التجريد في حالة السلوك، وحالة الحيرة في حالة حصول المعارف. والرسم: بقية الأثر. والبلقع: الخراب
يقول: إن هذه الحيرة حصل منها على ما بقي فيه من الأثر الذي لا يمكن زواله إذ لو زال زالت عينه. وجعله خراباً لما أثرت فيه الرياضات والمجاهدات والمعارف والتجليات من الأحكام التي أذهبت منه كل ما لا يليق بظهورها عليه فصار خراباً منها لا أنه خراب في نفسه بل ذلك الخراب هو العمارة على الحقيقة.

16 - 17 - 18 - الدجى هنا كناية عن الصورة التي يقع فيها التجلي قمراً إذا كان الدجى ظل

19 - أوْ عَـلِّـلِـيـهِ بـالـمُـنـى عَـسـاه يَـحـيَـا ويـعـي
20 - مـا هـوَ إلاّ مَـيِّـتٌ بَـيـنَ الـنّـقـا، ولَـعـلَـعِ
21 - فَـمُـتُّ يَـأسـاً، وأسّـى كـمـا أنـا فـي مَـوضِـعـي
22 - مـا صَـدَقَـتْ ريحُ الـصَّبا حِـيـنَ أتَـتْ بـالـخُـدَعِ

الأرض فظلها صورة طبيعية. وقوله: خذ منه شيئاً، غير معين، يريد ما يناسبه ودع ما لا يناسبه لتجل آخر، مثل التحليل في الإسراء بتركه عند كل عالم ما يناسبه إلى أن تبقى اللطيفة الربانية المنفوخة فيبقى عند الحق بالحق بما شاء الحق ثم يردها إلى عرشها وملكها فتنفصل فتأخذ من كل عالم ما تركت عنده حتى تنزل إلى الأرض وقد انتظم ملكها وقام عرشها فتستوي عليه بالتدبير.

وقوله: وزوديه، يقول: لصورة القمر نظرة، أي مشاهدة، وذكر بلفظ الزاد لوقوع السفر عنه بعده. وقوله: من خلف ذاك البرقع، أي اجعل له علامة يعلم بها أن تلك الصورة المتجلى له فيها حجاب عن عين الحقيقة فيعرف ما رأى ومن رأى، وأيضاً فإنه يضعف الممكن عن إدراك الجمال الأزلي، وجعله أروع أي أنه مهاب يخاف من سطوته.

19 و20 - **يقول**: علّليه بالمنى، عِدِيه موعداً حسناً بما يلائم غرضه، فإنه يحيي نفسه بذلك ويعي ما يقال له فيلزم الآداب وما ينبغي، فإن المنى مما تحيا به النفوس ولا سيما إذا كانت من صادق جواد على الإطلاق، فإنه ميت بين المكانة الزلفى بالكثيب الأبيض وبين الولوع به والتعلق لأنه محل شهود المحبوب.

21 - **قوله**: فمت يأساً، من تعلق الإدراك بحقيقة المطلوب، وأسى على ما فات من زمن جهالتي بما ينبغي، فإنه من طمع فيما لا مطمع فيه خسر الوقت وشهد الحال عليه بجهله، وقوله: «كما أنا في موضعي»، أي لم أجد حيث أضع قدم الانتقال على الحالة التي أنا عليها إذ لا أين ولا كم ولا كيف بل تنزيه مجرد.

22 - يريد ريح عالم الأنفاس المخبرة بالكواين التي تودعها حضرة الطيب أو الكلام. وجعلها للصبا وهو موضع الشروق.

يقول: ما صدقت أخبار التجليات حين أتت فيها بصور التشبيه إذ لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء فكأنها أخبار أتت بالأمر على خلاف ما هو عليه فجعله مثل الخديعة، وقد

23 - قــد تــكــذِبُ الــرّيــحُ إذا   تُــســمِــعُ مــا لــم تَــســمَــعِ

يظهر في الشريعة مثل هذا، وهو قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: 11] ثم قال ﷺ، للسوداء: **«أين الله؟ فأشارت إلى السماء»** فجعل الخطاب عنه تعالى كخطاب من يسأل عنه من المتحيزات إذا المتحيز هو الذي يقبل ظرفية المكان فقال ﷺ: **«اعتقها فإنها مؤمنة»** فما كلف أمته أكثر مما تسعه أفهامهم، وسماه إيماناً وما قال فإنها عالمة فإنه سبحانه لا يتحيز، وقولها في السماء تحيز. فالإيمان يقبل هذا القول والإيمان سبب سعادي وضعه الشرع للخلق والإيمان يستغنى به عن العلم ولا يستغنى بالعلم عن الإيمان.

23 - **قوله:**

قــد تــكــذبُ الــريــحُ إذا   تُــســمِــعُ مــا لــم تَــسْــمَــعِ

مثاله الريح إذا هبت ببدر حنين تسمع آذان الناس أصوات كؤوس، ومعلوم أنه ما ثم كؤوس[1] تضرب ولا طبل فما نقلت صحيحاً وإنما تلك الأصوات انزعاجها والهبوب وأماكن مجوفة تعطي تلك الأصوات، فعلى الحقيقة أنها أعطت صوتاً في آذان السامع لا غير والحاكم عليها بأن ذلك صوت طبل أو غيره ليس ذلك وإنما أخطأ إن كان ذلك خطأ الحاكم على ذلك الصوت بأنه كذا وكذا، كل ما يعطيه الحس من المغاليط ليس على الحقيقة نسبة الغلط إلى الحس وإنما الغلط للحاكم وهو أمر آخر وراء الحس.

(1) ما ثَمّ كؤوس: ليس هناك كؤوس.

عَربيَّةٌ عَجْمَاء

1 -بأبي الغُصُونَ المائِلاتِ عَواطِفا العاطفاتِ على الخُدودِ سوالِفا
2 -المُرْسِلاتِ من الشّعورِ غَدائراً اللّيِّنَاتِ مَعاقِداً، ومَعَاطِفَا
3 -السّاحِباتِ من الدّلالِ ذَلاذِلاً اللاّبِساتِ من الجَمالِ مَطارِفا

1 و2 -قوله: «بأبي»، إشارة إلى العقل الأول يفدي به النعوت التي تحمل المعارف الإلهية للعارفين بطريق العطف الإلهي للعطف المقدس، كما قال تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: 23]. وقوله: «العاطفات على الخدود»، صفة وجهية. «سوالفاً» رتبة إلهية لها في القلوب لدغ وحرقة توجب اصطلام العبد على نفسه هيماناً وعشقاً. وأقام هذه الصفات في الكناية عنها مقام المخدرات المقصورات فأخذ يستعير لها مما هو حقيقة لمن كنى بهن عن ذلك فقال أيضاً: «المرسِلات» اسم فاعل والغدائر اسم مفعول هي المرسَلات من الشعور، كنى به عن العلوم الخفية والأسرار المكتمنة التي لا يستدل عليها إلا بضرب من التلويحات البعيدة لنزاهتها. وجعلها غدائر على تقاسيم هذه المعارف على مراتبها إذ ليست على مرتبة واحدة. وقوله:

اللينات معاقداً ومعاطفاً

يقول: إنها وإن كانت صعبة المرام من حيث نزاهتها إذا رمناها نحن من حيث نحن فهي سهلة التناول لكرمها وعطفها ونزولها إلينا جوداً ورحمة، كما قال تعالى: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[الكهف: 65] فلم يذكر له تعمل في تحصيل شيء من ذلك وجعل الكل منه امتناناً وفضلاً. والمعاقد المذكورة هنا تداخل صفات الخلق وصفات الحق وانعقاد الصفتين به كما وردت الأخبار في ذلك، ولكنها عند هؤلاء المعتنى بهم الذين كشف الله عن بصائرهم غطاء العمى وسهل عليهم معرفة ذلك بالكشف الإلهي فلان ما قوي من ذلك عندهم فعرفوه.

3 - لما أقيمت هذه المعارف للعارف من حضرة المثال كما أقيم المعلم في صورة اللبن نعتها بما تنعت به تلك الصورة المتجلى فيها فقال: إنها تجر أذيالها تيهاً ونخوة وعجباً لعلو منصبها ومكانتها. والمطارف: الأكسية المخططة.

4 - البـاخِـلاتِ بـحُـسنِـهِـنّ صِـيـانـةً   الـوَاهِـبـاتِ مَـتـالِـداً ومـطـارِفَـا
5 - المُـونِقَـاتِ مَـضَـاحِـكـاً ومَـبـاسِـمـاً   الـطّـيّـبـاتِ مُـقـبَّـلاً ومَـراشِـفـا

فقال: إنها لبست ضروباً متنوعة من الزينة والجمال وذلك لتنوعات وجوهها ومتعلقاتها.

4 - قوله:

البـاخـلات بـحـسـنـهـن صـيـانـة

الإشارة بذلك إلى الخبر: **«لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها»**؛ فهي لا تستحق أن تكون عند من لا يعرف قدرها لأنها علوم مشاهدة لا علوم نظر واستدلال، والمشاهدة لا تعطى لكل أحد. وقوله:

الـواهـبـات مـتـالـداً ومـطـارفـاً[1]

وذلك لما عز شهودها على أكثر العقلاء وعلى كل من تقيد في تحصيل العلوم بطريق النظر الذي هو الفكر الصحيح والاستدلال وهبتهم من خلف الحجاب الأقدس معرفة مأخذ الأدلة بطريق الفكر الصحيح والاستدلال لأهل هذا الشأن خاصة، فعرفوا منها على قدر ما أعطاهم نظرهم الذي هو هبتهم، فكنى عنها بالمتالد والمطارف وهو المال المحدث والقديم، فعبر بالقديم عن كل عالم علم أمراً ما بدليل نصبه غيره فاستفاده هذا المتأخر عنه، والحديث هو الذي امتن الله عليه في علم ما ينصب دليل لاح له من فكره الصحيح لم يستفده من غيره في أصل وضعه، فعن هذا كنى بالمتالد والمطارف.

5 - وصفها بحسن المبسم عند التبسم والضحك إشارة إلى الفهوانية وإلى حصولها عنده من مقام الأنس والجمال والمودة كما كانت الإشارة من الحق تعالى لمحمد ﷺ، في نزول جبريل ﷺ، في صورة دحية[2] وكان أجمل أهل زمانه، فإنه يشير إلى أنه، أي محمد، ليس بيني وبينك إلا صورة الجمال تأنيساً له وتعريفاً بما له عنده، وكان من

---

(1) التالد: المال القديم. الطريف: المال الحديث.

(2) دِحْيه: هو دِحْية الكلبيّ (... - نحو 45 هـ = ... - نحو 665م)، صحابيّ، بعثه رسول الله ﷺ برسالته إلى «قيصر» يدعوه للإسلام. حضر كثيراً من الوقائع. يُضرب به المثل في حُسْن الصورة. عاش إلى خلافة معاوية، وسكن المزّة بدمشق. الأعلام: 2/ 337.

6 - الناعِماتِ مُجرَّداً، والكاعِباتِ مُنَهَّداً، والمُهدِياتِ ظَرائِفا
7 - الخالِباتِ بكُلّ سِحْرٍ مُعجِبٍ عندَ الحديثِ مَسامِعاً ولَطائِفا

جمال دحية أنه لما ورد المدينة ما رأته حامل إلا وضعت حملها من حينها من هيبة جماله فناء فيه وانخلاعاً. وقوله:

الطيبات مقبّلاً ومراشِفا

هو ما كان منها له من القبول عند الخطاب. والمراشف: هو ما ارتشفه منها عند المشاهدة، والمشاهدة والخطاب لا يجتمعان عندنا لأن كل حقيقة منها تغنيه عن غيرها فلهذا لا يجتمعان أبداً.

6 - قوله: «الناعمات مجرداً»، يشير إلى ما اكتسبه من العلوم من حاسة اللمس في حضرة المثال والتخيل إذا وقع التجلي المعنوي فيها. وقوله: الكاعبات منهداً، هي التي صار نهدها كالكعب؛ وهي أحسن ما تكون فيه الجارية. يشير إلى أن محل حمل المعارف تجلى له ليشاهد كيف يتحمل المعارف الإلهية فيه حتى تؤديه المعارف المعتبر به في أوان تربيته المقدرة له عند الله تعالى، أخذه من هذا الوجه وهو مشهد عزيز ينظر إليه قوله تعالى: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الكهف: 51] وهو صورة تعلق القدرة بالمقدور حالة الإيجاد، والمانع من ذلك معلوم عندنا لا يسع هذا الشرح بسطه لمنازعة الخصوم فيه. وقوله: المهديات ظرائفا، هو ما ألقت عليه من معرفة نصب الأدلة على ما يحاوله من تحصيل العلوم لا غيره.

7 - يقول: إنها تخطف العقول عن أصحابها عند إيرادها عليه ما تسمعه من الخطاب العجيب والكلام الحسن فلا تترك له سمعاً يسمع به بعد هذا كوناً من الأكوان من حيث كونه لكن من حيث ما هي فيه فبهذا يسمع حديث الأكوان، كما ورد فيمن أحبه الحق تعالى في قرب النوافل فيكون الحق تعالى سمعه وبصره، ولسانه ويده. والخبر المشهور في «الصحيح»[1]. واللطائف جمع لطيفة، وأراد بها نفس السامع، فإنه من اصطلاح القوم في العبارة عنها أن يقولوا لطيفة الإنسانية، يريدون بها السر الذي به كان الإنسان إنساناً.

---

(1) صحيح البخاري، الحديث رقم (6137).

8 – السّاتِرَاتِ من الحَياءَ مَحَاسِناً تَسبي بها القلبَ التقيّ الخائِفَا
9 – المُبدِياتِ منَ الثّغُورِ لآلِياً تَشفي بِرِيقتِها ضَعيفاً تالفا
10 – الرّامِياتِ من العُيونِ رَوَاشِقاً قلباً خَبيراً بالحُرُوبِ مُثاقِفا

---

8 – قوله

الساترات من الحياء محاسناً

إشارة إلى الحجب التي بينك وبين هذه العلوم، والتجليات والحياء المنسوب إليها إنما هو حياء من الله تعالى يستحي أن يتجلى للقلوب المشغولة بغير الله في غالب حالاتها وتشتغل بالله في بعض حالاتها، فهم في هذا المقام بمنزلة المؤمنين في حالة قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: 102] فلهذا قرن الحياء هنا بالستر.

قال: وهذه المحاسن إذا تجلت لقلب التقي الخائف أخذته عن نفسه وهيمته فيها، كما ورد أيضاً في الجناب الإلهي عنه تعالى أنه قال: «**وسعني قلب عبدي المؤمن التقي**»؛ فلا بد من تطهير القلب وعمارته بهذه الصفات، وحين يحصل له هذه السعة يحصل له شهود هذه المحاسن.

9 – **يقول**: أظهروا من الحضرة الفهوانية جواهر العلوم الكبريائية، فإن اللؤلؤ هو الجوهر الكبير والمرجان ما صغر منه. وقوله: تشفي بريقتها، يقول: إذا حصلت له هذه المعارف، أذهبت علل الجهالات والشبه والشكوك.

10 – قوله: «الراميات من العيون» يريد الملاحظة العلوية من هذه العلوم، والرواشق أصابت قلوب من رميت عليه وقصدت به لأنها لا تخطىء. وقوله:

قلباً خبيراً بالحروب مثاقفا

يريد خبرته بطريق التباس العيون في حضرة التمثيل. كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ [هود: 7]. جاء رجل إلى النبي، ﷺ، وقال له: يا رسول الله رأيت البارحة الحق تعالى على عرشه. قال له: «**وأين كان عرشه؟**» قال: على البحر. قال: «**ذلك عرش إبليس**»، وانظر معرفة إبليس ما بدا له عرشه إلا على الماء ليلبس عليه ويعتقد فيه أنه ربه تعالى فيسمع منه ما يلقي إليه ليزيله عن الإيمان. فلهذا توصف

11 ـ المُطلِعاتِ من الجُيوبِ أهِلّةً لا تُلْفَيَنّ معَ التّمامِ كَوَاسِفا
12 ـ المُنشِيَاتِ منَ الدّموعِ سَحائِباً، المُسمِعاتِ منَ الزّفيرِ قَواصِفَا
13 ـ يا صاحبيّ! بمُهجَتي خمصَانَةٌ أسدَتْ إليّ أيادِياً وعَوَارِفا
14 ـ نُظمَتْ نِظامَ الشملِ، فهي نظامُنا عَربيّةٌ عَجماءُ تُلهي العارفا

قلوب العارفين بالخبرة بالثقاف والحذر من هذا الالتباس كما هي الشبه في حق النظار التي تأتيهم في صورة الأدلة وليست بأدلة.

11 ـ كنى بالجيوب عن الحجب والملابس التي هي النعوت العلوية المقدسة. وقوله: أهلة، يشير إلى تجل أفقي مطلوب، وقوله: لا يعتري تلك الأهلة كسوف، أي لم يبق لها شهوة طبيعية تحكم عليها فتحجبها عن المناظر العلى، لأن سبب كسوف الهلال إنما هو ظل الأرض في ترتيب نشأة العالم وإن كان الكسوف سببه التجلي الإلهي فيخشع فيظهر ذلك الخشوع عليه فيسمى كسوفاً. ذكر النسائي في «مسنده» أن رسول الله ﷺ، سئل عن الكسوف فقال: **«ما تجلّى الله لشيء إلا خشع له»** فنبه بالمعنى الحاصل في القمر والشمس عند هذا السبب الوضعي في سباحتهما في الأفلاك كما قدرها سبحانه كما قال: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس: 39]. فلا يتناقض ما يعطيه الخبر وما ذكره علماء هذا الشأن من الأسباب في ذلك.

12 ـ **قوله:**

المنشيات من الدموع سحائبا

البيت بكماله يشير إلى أثرها في المكلفين بها المهيمين فيها المحبين لها إلى أن هذه حالاتهم.

13 و14 ـ يقول هذا العارف: إن هذه المعارف التي وصفها هيمتني منها معرفة واحدة لطيفة برزخية، ولهذا جعلها خمصانة.

يقول: إنها أوقفني حصولها على معرفة ذاتي بذاتي لربي ولذاتي فجمعتني علي وجمعتني بربي فانتظم شملي بنظمها فهي عربية بي مني وعجماء فيما عرفتني من ربي، لأن المعرفة الإلهية إجمالية لا يمكن فيها تفصيل إلا بتشبيه والتشبيه محال فالتفصيل محال فكما لا تشبيه كذلك لا تفصيل وإذا انتفى التفصيل فلا إجمال، وإنما يذكر الإجمال توسعة في الخطاب لفهم السامع إذ العبارات المصطلح بها تضيق عن تفهيم ما لا يدرك بها إلا ذوقاً

15 ـ مَهما رَنَتْ سلّتْ عليكَ صَوَارِماً ويُرِيكَ مَبسِمُها بَرِيقاً خاطِفا

16 ـ يا صاحبيّ! قِفا بأكنافِ الحِمى من حاجرٍ، يا صاحبيّ، قِفا قِفا

17 ـ حتى أُسائِلَ أينَ سارَتْ عِيسُهُمْ فقدِ اقتحمْتُ مَعاطِباً ومَتالِفا

18 ـ ومَعالِماً، ومجاهِلاً، بشِمِلّةٍ تشكُو الوَجى، وسَباسِباً وتَنايِفا

19 ـ مَطْوِيّةِ الأقرابِ أذهبَ سَيرُها بحَثِيثِهِ مِنها قُوًى وسَدايِفا

ومشاهدة، وقوله: تُلْهي العارفا، يعني عن معرفته وعن نفسه بمشاهدته لأن العلم بالشيء وشهوده لا يجتمعان.

15 ـ **يقول**: هذه الحقيقة إذا نظرت إليك أثرت فيك تأثير الصوارم في الجسوم، يريد ما تعطيه من آثار المجاهدة والمشاق. ويريك مبسمها بريقاً خاطِفًا، يقول: يعطيك مشهداً ذاتياً في حال جمال وأنس لكنه يخطفك عنك فلا تبقى معك.

16 ـ **قوله**: يا صاحبي، يخاطب عقله وإيمانه يقول لهما: قفا بأكناف نواحي الحمى: حجاب العزة الأحمى من حاجر، أي أنه موضع التحجير عن أن يدركه كون فالكل من ورائه وقف وعنده منتهى علوم العالمين ومعرفة العارفين.

17 ـ أراد بالعيس الهمم التي هي مطايا العلوم واللطائف الإنسانية لأن بها يبلغ المقصود. كما قال العارف: والهمم للوصول. فقد اقتحمت: أي ولجت الغمرات وارتكبت المهالك التي تورث العطب والتلف، منها ما كان معلوماً لنا أنه متلف وحبنا جسرنا على اقتحامه مع المعرفة لأن المعرفة والمحبة تورث الشجاعة بك بلا شك ولا ريب، ومنها ما كان مجهولاً لنا حتى حصلنا فيه فأتلفنا، أي رميت نفسي من حبها فيما أعلم وفيما لا أعلم.

يقول: إنه لم يفكر في عاقبة، ولا خير في حب يدبر بالعقل.

18 و19 ـ قوله: بشملة كناية عن همة معينة منه لأمر مخصوص وقع له التعشق به. وقوله: يشكو الوجى؛ يعني الحفا، أي أنها لما حصلت بالوادي المقدس قيل لها: اخلعي نعليك، وكانت محمدية فشكت الحفا لمناسبة الطهارة في النعل. والوادي، والسباسب، والتنايف: حالات التنزيه من جانب الحق والتجريد من جانبه. ووصفها بأنها مطوية الأقراب لأنه أقوى في سيرها وأنهض لها فاستغاث. وقوله: أذهب سرعة سيرها منها قوى، أي كان لهذه الهمة وجوه كثيرة تتعلق بها فلما علقها بهذه الوحدانية

20 - حتى وقَفتُ بها برملَةِ حاجرٍ فرَأيتُ نُوقاً بالأثيلِ خَوالِفَا

21 - يَقتادُها قَمَرٌ عليهِ مَهابَةٌ فَطَويتُ من حَذَرٍ عليهِ شَرَاسِفَا

22 - قَمَرٌ تعرّضَ في الطّوافِ، فلم أكن بِسِوَاهُ عندَ طَوافِهِ بي طَائِفَا

23 - يَمْحُو بِفاضِلِ بُرْدِهِ آثارَهُ فتحارُ لو كنتَ الدّليلَ القَائفا

حجبها عما كان لها من القوى في تعلقها بالكثرة، فكأنه أضعفها كما يضعف البعير إذا ذهبت سدايفه التي هي شحمه وقوته.

20 - **يقول**: وصلت إلى حالة ميزت لي بين الأشياء وفصلتها لي ومنعتني أن أنظر إلى غير ما جلته لي فكان الذي رأيت نوقاً بالأثيل خوالِفا؛ أي علوماً أصلية تنتج علوماً أخر لمن قامت به، فإن الخوالف: النوق العظام التي لها أتباع.

21 - **يقول**: يقتاد هذه الخوالف قمر، حالة شهودية في صورة قمرية في مقام الإجلال والهيبة. والشراسف: أطراف الأضلاع حيث انحناؤها، ولهذا قال: فطويت من حذر عليه لئلا يذهب عني فأفقده شراسفاً، كما تحنو على محبوبك إذا حصل عندك. ولما كان القلب محل السعة الربانية ونعت الحق سبحانه نفسه وإنه في قلوب عباده على الوجه الذي يليق بهذا القدر من غير تشبيه ولا حصر ولا تكييف ولا تقييد ثم شبه تجليه بالقمر. وقوله: يقتادها، من قوله تعالى: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود: 56].

22 - قمر تعرض في الطواف، صفة إحاطية كما هي إحاطة الطائف بالبيت في طوافه منه بي ومني به من حيث نيتي لا من حيث هويته.

23 - **قوله**: يمحو بفاضل برده آثاره، أي هذه الأدلة التي نصبها دليلاً عليه محاها بـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: 11] وبـ ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: 180] فأوقف العالم في مقام الجهل والعجز والحيرة ليعرف العارفون ما طلب منهم من العلم به وما لا يمكن أن يعلم منه فيتأدبون ولا يتجاوزون مقاديرهم، كما قالت اليهود في الخبر النبوي المشهور من كون الحق يضع الأرض يوم القيامة على إصبع والسموات على إصبع، الحديث، فقرأ النبي، ﷺ، هذه الآية: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الأنعام: 91].

طُنُب الحُسْن

1 - بأثِيلاتِ النّقا سِرْبُ قَطا ضَرَبَ الحسنُ عليها طُنُبا
2 - وبأجْوَازِ الفَلا من إضَمٍ نَعَمٌ تَرْعَى عليها وظِبا
3 - يا خليليّ قِفَا واستنطِقا رَسْمَ دارٍ بعدَهمْ قد خَرِبا
4 - واندُبا قلبَ فتًى فارَقَهُ يومَ بانوا، وابكِيا وانتحِبا

---

1 - **يقول**: برؤية الكثيب الأبيض معارف أنتجها الصدق، وكنى عن الصدق بالقطا، يقال: **«أصدق من القطا»**. قوله: ضرب الحسن، أي ألبس عليه من آثار المشاهدة أي في حقيقة يريد حضرة المشاهدة.

2 - **قوله**: وبأجواز الفلا، يقول: وبمعظم مقامات التجريد والتفريد من إضم، يشير إلى موضع يعطي التواضع والتنزيه.

يقول: وبهذه الحالة التي كنى عنها بالموضع معارف قد ألفتها النفوس لأنها نتائجها، فكنى عنها بالنعم، ومعارف لم تألفها النفوس هي شرد لكن انقادت إليه بحكم العناية الإلهية، فكنى عنها بالظبا، وهذان الصنفان من المعارف مكتسبان من مقام التجريد والتفريد.

3 و4 - قوله: يا خليلي، يخاطب عقله وإيمانه يقول لهما: استنطقا في موقف من المواقف الإلهية أثر منازل الأحباب بعد رحيلهم عنها وخرابها بعدهم، فإن القلوب إذا فارقت أصحابها متوجهة نحو حضرة الحق التي هي محبوبة لها تتصف النفس بالخراب لعدم الساكن. كما قال بعضهم:

ضاعَ قلبي أين أطلبهُ ؟ ما أرى جسمي له وطنا!
كان حزني بعد بعدكمُ وسروري بعدكم حزنا!

وكثيراً ما يذكر الشعراء هذه القصيدة في باب النسب والهوى.

5 - علّهُ يُخبِرُ حيثُ يمّمُوا ألِلجَرْعاءِ الحِمى، أو لِقَبَا
6 - رَحَلُوا العِيسَ، ولم أشعرْ بهم ألِلسَّهوِ كان أم طَرفٌ نَبا
7 - لم يكن ذاك، ولا هذا، وما كان إلاّ ولَهٌ قد غَلَبَا
8 - يا هُموماً شَرَدَتْ، وافترَقَتْ خَلفَهُمْ تطلُبُهمْ أيدي سَبا
9 - أيُّ ريحٍ نَسَمَتْ ناديتُها: يا شَمالٌ، يا جَنوبٌ، يا صبَا
10 - هل لَدَيْكُمْ خَبَرٌ ممّا نَبا قد لَقِينا من نَواهمْ نَصبَا
11 - أسنَدَتْ ريحُ الصَّبا أخبارَها عن نَباتِ الشّيحِ عن زَهرِ الرُّبى
12 - إنّ مَن أمرَضَهُ داءُ الهوَى فَلْيُعَلَّلْ بأحاديثِ الصَّبا

5 - **يقول**: لعله، كلمة ترج وتوقع، يخبر حيث قصدوا وتوجهوا، يعني القلب، والجرعاء المقام تجرع الغصص من آلام الفوت، فينتج عندي تجرع الغصص من آلام الفراق، والحمى موضع يحرم الدخول فيه ونيل ما يحويه من العلوم لنزاهته عن تعلق الكون، أو لقبا أو لموضع الراحة الذي هو قبا، فإن النبي ﷺ، كان يزوره كل سبت لمناسبة الراحة الذي هو قبا، فإن السبت: الراحة، وبها يسمى السبت سبتاً.

6 - قوله: رحلوا العيس، يعني بالعيس الهمم امتطتها القلوب من غير علم مني بذلك ولا أدري ألسهو كان مني أو نبا طرفي عن إدراك ذلك من غير سهو.

7 - قال: ما سهوت ولا نبا طرفي وإنما شغلي بحبه حجبني عنه كما حكي عن مجنون بني عامر حين جاءته ليلى في حكاية طويلة فقال لها: **إليك عني فإن حبك شغلني عنك**.

8 و9 - تفرق أهل سبأ معلوم وهو المذكور في القرآن: ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [سبأ: 19]. يقول: همومي تفرقت كتفرق أهل سبأ على المقامات والحضرات بطلب هذه البغية المحبوبة التي فارقتهم وما لم تجد فهي تسأل أي ريح هبت عليها، يريد عالم الأنفاس لتنفس عنه بعض ما يجده من الكرب برائحة تهدي بها إلى مشامه من عرف طيبهم المسك.

10 - النصب: التعب. والنوى: الفراق. فأخذ يقول ما قالت له الريح إجابة له عن ندائه إياها وسؤاله.

11 و12 - يقول: أسندت ريح التجلي حديثاً عطرياً طيب النشر تخبر فيه أن من أمرضه الهوى فما له علالة إلا بالحديث فيه وعنه وبما يحدث منه. كما قال:

13 - ثمّ قالتْ: يا شَمالُ خبّري مثلَ ما خَبّرتُهُ، أو أعجبا

14 - ثمّ أنتِ يا جَنوبُ حدّثي مثلَ ما حدّثتُهُ، أوْ أعذَبا

15 - قالتِ الشّمألُ عندي فَرَجٌ شاركتْ فيهِ الشمالُ الأزْيَبا

16 - كلُّ سَوءٍ في هوَاهم حَسُنَا وعَذابي برِضاهم عَذُبَا

أعدِ الحديثَ عليَّ من جنباتهِ إنّ الحديثَ على الحبيبِ حبيبُ!

13 و14 و15 و16 - قالت الريح الشرقية لريح الشمال ولريح الجنوب: أخبراه مثل ما خبرته وأعجب وأعذب عساه يجد راحة. ولم يجعل لريح الدبور هنا ذكر وذلك أن المحب لا يستدبر جهة محبوبه أبداً أدباً وعشقاً فما هو معه إلا على أحد ثلاثة أوجه: إما المواجهة وهي التي كنّى عنها بالصبا وهي القبول أيضاً. وإما الجنوب وهي التي تأتي عن اليمين، وإما الشمال وهي التي تأتي من جهة القلب. فالصبا تعطيه علم خلق الله آدم على صورته. والجنوب تفيده علم أصحاب اليمين وهي القوة الإلهية المقرون معها السلام. والشمال تفيده عين المقربين وهو المقام الذي بين النبوة والصديقية ولا يناله إلا الأفراد خاصة والخضِر منهم، وقد شهد له القرآن بذلك، وهو مقام عزيز ما يعثر عليه كل أحد من أهل طريقتنا. وأما أبو حامد[1]، رحمه الله، فأنكره لأنه لم يكن له فيه قدم ولا عرفه فتخيل أنه من تخطى رقاب الصديقين من الأولياء فقد وقع في النبوة وأساء الأدب، وليس الأمر كما زعم أبو حامد فإن هذا المقام الذي نبهنا عليه هو بين الصديقية والنبوة وهو المقام الذي وقع التنبيه عليه في حق الصديق الأكبر بالسر الذي وقر في صدره نطق علم المقربين في قلب العارف، فقال: عندي فرج تعرفه ريح الجنوب وهي الأزيب، وهي لغة الملكية وبهذا الاسم تسميها أهل اليمن. قيل: وما هو الفرج؟ قال: إنما يطرأ العذاب على المحبين من عدم الملاءمة لما في أغراضهم فإذا فني المحب عن غرضه وكان مع ما يريده منه وبه محبوبه صار كل شيء في هواه حسناً لأنه غرض لمحبوبه فيه وإرادته. كما قيل: وكل ما يفعل المحبوب محبوب، وعذب العذاب منهم في رضاهم كان عنده أحلى من الشَّهْد، وإذا كان الأمر بهذه المثابة ويكون المحب صادقاً في هذا المقام لم يشك ما يجد ولا يجد حزناً ولا يشكو تعباً فإن إرادته عين إرادة محبوبه، فقد اتفق له جميع ما يريده، ومن اتفق له مراده فهو مسرور.

---

(1) أبو حامد: هو حُجّة الإسلام أبو حامد الغزاليّ

17 - فإلى مَا وعَلى ما ولمَا ... تَشتَكي البَثّ وتَشكُو الوَصَبا
18 - وإذا ما وعدوكم ما ترى ... برقَهُ إلاّ بريقاً خُلَّبا
19 - رَقَمَ الغيمُ على رَدنِ الغَما ... من سنا البرْقِ طِرازاً مُذهبَا
20 - فجَرتْ أدمعُها منها على ... صَحنِ خدّيها، فأذكتْ لهَبا

---

17 و18 - **قوله**: إلى ما وعلى ما ولما هكذا في الأصل، والوجه إلامَ، وعلامَ، ولمَ.

يقول: إذا وقع الوعد منهم كان مثل برق الخلب، وهو البرق الذي ليس معه رعد ولا مطر، أي لا ينتج شيئاً كالريح العقيم. وإن وعدهم هنا إنما هو بمشهد ذاتي ولهذا شبهه بالبرق وجعله خلباً لأن المشهد الذاتي لا ينتج شيئاً في قلب العبد لأنه لا ينضبط ولا يتحصل منه سوى شهوده عند خفقانه، فإنه يتعالى عن أن يحصره كون أصلاً بخلاف التجلي في الصورة في عالم التمثل، فإن الرائي يضبط صورة ما تجلى له ويعبر عنها، كما ورد في الخبر من ذلك كثير فيما لا صورة له حسية.

19 و20 - قوله: رقم الغيم على ردن الغما، يريد المعنى الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: 210]. وكنى بالغيم عن المغيب، وقد تبدل الباء ميماً يقال: لازم ولازب، وجعله رقماً لنفوذه، فله الدلالة عليه سبحانه من وجهين، فكما يستدل عليه سبحانه في عالم الشهادة كذلك يستدل عليه في عالم الغيب، كما ورد في الخبر: «**إن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم**» فإن الطراز هو العلم الذي في الثوب مشتق من العلامة. وجعله من البرق يريد دلالة ذاتية، وجعله مذهباً لأن الذهب أشرف ما يرقم به ويستعمل. وجعل الرقم على الردن وهي الكم محل اليد التي تقع فيها البيعة الإلٰهية. وأوقع الدلالة في الثوب لكونه يظهر على صورة اللابس وقد وسعه قلب العبد المؤمن التقي الورع، وقد قال: «**كنت سمعه وبصره**» فلهذا جعله موضع العلامة عليه.

فالمقصود أنه يريد إشهاداً ذاتياً خلف حجاب الكون لتحقق عبد إلٰهي به محبوب أن الله خلق آدم على صورته، وفي رواية على صورة الرحمٰن.

وقوله: فجرت أدمعها، يعني ما أمطرته الغمامة من المعارف الشهودية في روضات القلوب الإلٰهية فأذكت لهباً أي أورثت في القلوب اصطلاماً وهيبة وعظمة.

21 - وَرِدَةٌ نـابِـتَـةٌ مِـن أدمُـعٍ   نَـرجِـسٌ تُـمـطِـرُ غَـيـثـاً عـجَـبـا
22 - ومتى رُمتَ جَناها أرسلَت   عِـطْـفَ صُـدغَـيـهـا عـلَـيـهـا عـقـرَبـا
23 - تُشرِقُ الشمسُ إذا ما ابتسمتْ   رَبّ مـا أنْـوَرَ ذاكَ الـحَـبَـبـا
24 - يَطْلُعُ اللّيلُ، إذا ما أَسدلتْ   فـاحـمـاً جَـثْـلاً أثـيـثـاً غَـيْـهَـبـا
25 - يتجارى النّحْلُ مهما تَفلَت   رَبّ مـا أعْـذَبَ ذاكَ الـشّـنَـبـا
26 - وإذا مـالَـت أرَتـنـا فَـنَـنـاً   أو رَنَـتْ سـالَـتْ مـن الـلّـحـظِ ظُـبـى

---

21 - **يقول**: معارف الاصطلام تحرق ولا تنبت وهذه قد أنبتت. وشبه العيون بالنرجس.
يقول: والرؤية تعطي علماً بقوله تمطر غيثاً من أعجب الأشياء لأن المرأى لا ينضبط هنا ولا يحصل في النفوس منه علم تضبطه النفس عند الانفصال من حالة الرؤية لأن المرأى لا يتقيد فلا ينضبط في العالم التقييدي، وكل ما سوى الحق فهو مقيد الذات فإنه مرتبط وجوده بوجود خالقه إذ لولاه لم يكن.

22 - **يقول**: متى رمت استفادة منها لتحصيل صفة تشرف النفس نسبتها منعك من ذلك صفة وجهية تحرقك سبحاتها فلا تصل إلى ذلك أبداً.

23 - **يقول**: تظهر العلوم القطبية التي عليها مدار علوم العالم إذا كان من هذه الصفة مثل هذا القبول الذي كنى عنه بالتبسم. وشبه بريق أسنانها ببريق الحبب.

24 - **يقول**: تظهر العلوم الغيبية من نفوس العارفين إذا ما أسدلت هذه الصفة الذاتية حجب الشعور بالأمور الخفية الدقيقة لأن الإشعار بالشيء لا يقتضي تحقق العلم.

25 - يقول: ما تحقق هذا العارف في نفسه تحققاً إلهياً إلى أن وصل إلى المقام الذي نبه عليه الشارع بكنت سمعه وبصره صار كلامه حقاً محضاً ووحياً مطلقاً، والله يقول: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: 68].
يقول: فالقلوب التي للمريدين في مقام هذا الحيوان المعبر عنه بالنحل إذا تكلم هذا العارف تلقت منه المعارف كتلقي النحل الوحي من عند الله، يقول: وهو وحي سرور وجمال وأنس لأنه عذب الجنى فأثمر الحلاوة.

26 - **يقول**: وإذا مالت فميلها ميل الغصن المثمر لتدنو قطوفها إفادة إلهية، فهذا هو العطف الإلهي، لكن الغصن لا يميله سوى الرياح وهي الهمم هنا، فمتى ما تعلقت همة العارف بأمر إلهي من جانب الحق أمالت ما تعلقت به إليه فناله مقصوده.

27 - كم تُناغي بالنّقا من حاجرٍ يـا سـلِـيـلَ الـعَـرَبـيّ الـعُـرُبـا

28 - أنـا إلاّ عَـرَبـيٌّ، ولِـذا أعـشـقُ الـبِـيـضَ، وأهـوَى الـعَـرَبـا

29 - لا أبـالـي شَـرّقَ الـوَجْـدُ بِـنـا حـيـثُ مـا كـانـتْ بـه، أو غَـرّبـا

30 - كلّما قلتُ: ألا، قالوا: أما وإذا مـا قـلـتُ: هـل؟ قـالـوا: أبـى

---

27 و28 - **يقول**: كم تناغي بالكثيب الأبيض المعلوم عند القوم الممنوع مقامه أن تكون لأحد فيه قدم الإحسان، وهو المشاهدة والبهت، فهلا شغلت نفسك بالاستعداد لما يعطيه مقام ذلك الكثيب عن أن يخطر في الإحسان خاطر أصلاً.

فأجاب وقال: الإحسان الذي أطلب هو من نتائج الأمر الأصلي الذي عنه صدرنا، وأنا عربي فأهوى من الحسان العربا، للمناسبة اللفظية والأصلية فلا ينكر على من جرى على ما يعطيه أصله وحقيقته وحاله.

29 - **يقول**: لا أتقيد بالمقامات والمراتب وإنما أتقيد بها فحيث ما ظهرت لي كنت بحيث هي لأنها مطلوبي ثم إنها تلقي إلي بحسب ما تراه لا بحسب ما أريد، فإن العلم لها والأمر ليس لي فلا أبالي حيث يسير بي وجدي.

30 - الضمير في «قالوا» يعود على من جرى على الوسائط والحجاب.

يقول: كلما قلت ألا ينظرون في أمري عندها عسى أحظى منها بما حظي من اعتناء به من الواجدين مثلي، يقولون: أما تنظر إلى وجوهنا كيف هي مصروفة إليك محجوبة عنها وإن كانت أسباباً قد وضعت لنيل المقاصد لكنه ما لنا عناية تقتضي ما أشرت به إلينا، فإن الأسباب ما وضعت أسباباً لشرفها على الآخذين الأمور عندها وإنما وضعت اختباراً وبلاء وتمحيصاً لكم، فإن وقفتم معها لم تعطوا شيئاً إلا بوجودها وتتركون في الحجاب، فإن تجاوزتم عنا إلى من نصبنا فقد فزتم بالمطلوب.

وقوله: وإذا ما قلت هل من وصل للمطلوب واتصال فيقولون قد أبى أن يصل إليه من يطلبه بنا لكن من طلبه به وصل إليه. كما يقول العارف: عرفت الله بالله، حين يقول المتكلم: عرفت الله بمخلوقاته. فجعل دليلاً عليه من ليس بينه وبينه مناسبة، فمن عرف الله بالله فقد عرفه، ومن عرف الله بالكون فقد عرف ما أعطاه ذلك الكون لا غير.

31 – ومتَى ما أنجَدُوا أو أتهَموا أقْطَعُ البِيدَ أحُثّ الطّلَبا

32 – سامريُّ الوَقتِ قلبي، كلّما أبصَرَ الآثارَ يبْغي المذْهَبا

33 – وإذا هُمْ شرّقوا، أوْ غرّبوا كان ذو القَرنَينِ يقفو السّبَبا

31 و32 – **يقول**: إذا سلك قلبي وهو في مقام المعرفة بالأرواح العلوية وأبصر المعارف التي تحملها حقائق الأرواح العلوية وأراد الإفادة منها وعلم أنها ما تطأ مكاناً إلا حيي ذلك المكان لوطأتها لأنها أرواح مجردة فحيث ما ظهرت أكسبت الحياة من ظهرت فيه.

يقول: اتبعتها أنجدتْ أو أتهمتْ.

فقوله: أنجدت، إذا ظهرت في الأجساد الممثلة في عالم التمثيل كصورة جبريل في صورة دِحْية[1]. وقوله: أتهمت، مثل أرواح الأنبياء، يقول: ظهرت في الأجسام الترابية لا الجسدية البرزخية، ففي أي باب ظهرت وعرفتها أقفو أثرها لآخذ منه فأفعل به ما فعل السامريّ لما قبض من أثر جبريل، فيكون عندي همة أحييها وأحيي بها من وقعت له به عناية واعتدلت نشأته واستوت خلقته، أعني في التربية والسلوك، وتهيأ محله لقبول فيضان الروح نفخت فيه مما حصل لي من ذلك الأثر فحيي به فكان تحت حيطتي. وهذا باب من أبواب من أعطي التصريف فتركه أو ظهر به إن شاء وتركه تسليماً وأدباً. كما قيل لأبي السعود: هل أعطيت التصرف؟ قال: نعم وتركناه تظرفاً. يريد لم يكن غرضنا المزاحمة بل لله الأمر من قبل ومن بعد وشغلي بعبوديتي أولى بي من ظهوري بخلعته هي لمن تجب له لا لي. فمن وقف مع الأصول كان أكمل في المعرفة ممن حجبته هذه الخلع الإلهية. كما قال أبو يزيد[2]: ليس بي يتمسحون وإنما يتمسحون بحلية حلانيها ربي فكيف أمنعهم ذلك وذلك لغيري. ومن نظر الخلعة التي كساها الحق للحجر الأسود وعرف الحجر عرف ما أشرنا إليه، وذلك كان مقام أبي يزيد وشيخنا أبي مدين، رحمهما الله تعالى.

33 – **يقول**: هذه الأرواح التي ذكرنا إذا كانوا في مقام حمل الأنوار والأسرار، التي كنى عنها بالمشرق والمغرب، كان قلبي مثل ذي القرنين، أي مالك الصفتين، أقفو الأسباب التي توصلني إلى نيل ما عندهم به.

(1) دِحْية: هو دِحْية الكلبيّ الصحابي الجليل، وقد سبقت ترجمته، منذ قليل.

(2) أبو يزيد هو أبو يزيد البسطاميّ، وقد مرّت ترجمته.

34 - كَـمْ دَعَـوْنـا لِـوِصَـالٍ رَغَـبـا   كـم دَعَـوْنـا مـن فِـرَاقٍ رَهَـبـا
35 - يـا بَـنـي الـزَّوْرَاءِ هـذا قـمَـرٌ   عِـنـدكـم لاحَ، وعـنـدي غَـرَبـا
36 - حَـرَبـي، واللهِ مـنْـهُ حَـربـي   كـم أُنـادي خَـلْـفَـهُ: واحـرَبـا
37 - لهْفَ نفسي، لهْفَ نفسي لفتًى   كـلّـمـا غَـنّـى حَـمـامٌ غَـيّـبـا

34 - قوله: كم دعونا، يقول: كم سألنا التمكن من الأحوال حتى نحكمها فلا نخاف فرقة ولا نعدم وصلة.

35 - **يقول**: يخاطب أصحاب الميل الكائنين في حضرة القطب الداخلين تحت دائرته: هذا قمر، يشير إلى تجل ذاتي في هذا المقام، يقول: عندكم لاح بوجود الإمام القطب وعندي غربا، أي ذلك المعنى الذي ظهر لكم في الإمام هو باطني وسري، فجعل نفسه من الأفراد، وكنى بالزوراء وهي بغداد لكونها مسكن الإمام الظاهر صاحب الزمان في عالم الشهادة ليعرف السامع ما أراده هذا القائل.

36 - **قوله**: حربي والله منه حربي، مما يقاسي من سطواته. وقوله: خلفه، مع كونه عنده يشير إلى عدم الإحاطة وأنه معه في باب المزيد. كما قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114].

37 - **قوله**: لهف نفسي، البيت بكماله، يقول: واحَرَبي لمن مقامه من الفتيان كلما سمع من الأرواح البرزخية ما تحمله من الوحي الذي نالته في غشيانها عند الصلصلة التي هي كسلسلة على صفوان، إشارة إجمالية، يغيب هذا القلب كما غابت فلك تلك الأرواح عند ذلك السماع، ولهذا قال ﷺ [1]: «**وهو أشده علي**»، وكان يفنى عن نفسه، أعني عن حسه، ويسجى إلى أن يسرى عنه وقد وعى ما جاء به، وللوارث حظ من ذلك.

(1) أخرجه البخاري، الحديث، رقم(2).

كلُّ لسانٍ بها ناطق

1 - أضــاءَ بــذاتِ الأضــا بــارقٌ   مــن الـنّــورِ فــي جــوّهــا خــافــقُ
2 - وَصَــلْـصَــلَ رَعــدُ مُـنـاجـاتِـهِ   فــأرْسَــلَ مِــدرَارَهُ الــوادقُ
3 - تَـنـادَوْا: أنـيـخـوا، فـلـم يـسـمـعـوا   فـصِـحـتُ مـن الـوَجـدِ: يـا سـائـقُ
4 - ألا فـانـزِلـوا هـاهُـنـا، وارْتَـعُـوا   فــإنّــي بــمَــنْ عــنــدَكــمْ وامــقُ
5 - بــهَـيْـفَـاءَ غَـيْـداءَ رُعْـبـوبَـةٍ   فُــؤادُ الـشّـجـيّ لــهــا تــائــق
6 - يـفــوحُ الـنـديّ لـدى ذكـرِهـا   فـكـلّ لِـسـانٍ بـهـا نـاطِـقُ

---

1 - **يقول**: لاح لي مشهد ذاتي بذات الأضا من تهامة يريد بما أضاء لي في مقام التواضع من الرفعة عنده فإنه من تواضع لله رفعه الله فيظهر نور الرفعة للعارفين في عين التواضع وهو مقام العبودية، ولهذا قال: في جوها خافق، لما كانت تتضمنه.

2 - **قوله**: وصلصل رعد مناجاته، البيت بكماله، **يقول**: وخاطبها مخاطبة تعليم وتفهيم فكسبت من العلوم التي كنى عنها بالمدرار على حسب ما اقتضاه الشهود.

3 و4 - لما كانت العلوم ليست مطلوبة لأنفسها وإنما تطلب من حيث متعلقها كان الشغف من العالم بالمتعلق لا بالعلم، وهو الذي أراد بقوله: بمن عندكم. يخاطب العلوم فإن عندها متعلقها أي بكم أصل إليه. وقوله: تنادوا أنيخوا، أي اثبتوا هاهنا عند من يطلبكم ويتعشق بكم، إذ ليس كل قلب يطلب هذه العلوم فكأنه مثل الناصح لها. أي انزلوا في محل من يهواكم ويفرح بقدومكم فتحظوا وترفعوا، يريد تبقوا عنده، ألا ترى إلى العلوم التي تعطي الأعمال إذا كان صاحبها تاركاً للعمل يمقته علمه ويتمنى أنه لم يكن عنده، فإن حياة ذلك العلم إنما هي العمل فكأنه حصل عند من ليس له بأهل، كما ورد: «**لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها**». فقد نسب الظلم لمن جعل الشيء في غير أهله وجعل ذلك الشيء مظلوماً.

5 و6 - **يقول**: متعلق هذا العلم صفة إذا تجلت في عالم التمثل كانت معتدلة الخلق مائلة لمن

7 - فلَو أنّ مجلِسَها هَضْمَةٌ ومَقعَدَها جَبلٌ حالقُ
8 - لكانَ القَرَارُ بها حالقاً ولن يُدرِكَ الحالقَ الرّامِقُ
9 - فكُلّ خَرَابٍ بها عامِرٌ وكُلّ سَرَابٍ بها غادقُ
10 - وكُلّ رِياضٍ بها زاهِرٌ وكُلّ شَرَابٍ بها رائقُ

يهواها طرية الحسن تتوق إليها الأفئدة التي نار الاصطلام تطلع عليها، ومهما ذكرت في مجلس عطر المجلس ذكرها لطيب رياها فصارت معشوقة بكل لسان فيرتاح للنطق بها، فكأنها صفة تأخذها العبارة وسببه كونها ظهرت في عالم التمثل فقيدها النعت، لكن يعلم السامع العالم ما أشار إليه المعبر في هذا النعت كما عرف ما أشير به من حقيقة العلم والفطرة التوحيدية.

7 و8 - **يقول**: من علو شأنها يعلو بها كل من قامت به. يريد أن كل علم يوصلك إلى حيث متعلقه ولهذا العلم بالذات الإلهية لا يصح أصلاً لأنه لا يوصلك إليها لعزتها وإنما تصل إليك على قدرك في علمك بها فتحقق، فلو كان مجلسها موضعاً منخفضاً ومقعدها جبلاً مرتفعاً لكان المنخفض بها مثل الحالق من غيرها والحالق لا يدركه الرامق لعلوها، فكيف إذا اتفق أن تحل في قلب له من العلو بمنزلة الجبل الحالق فأين ينتهي به من الرفعة والشأن! قصد علو المكانة. كما قال في علو المكان الإدريسي: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: 57].

9 و10 - **يقول**: فكل قلب خرب بالغفلات وأشباهها من رؤية الأكوان إذا حلت فيه أو تجلت له يعمر وانقادت إليه جميع العلوم. كما ورد في خبر الضربة للنبي، ﷺ: «**فعلم منها عِلْم الأولين والآخرين**».

يقول: وكل سراب بها غادق، يقول: إذا جئت إلى السراب، وهو سراب يتخيل أنه ماء وتكون عندك هذه الصفة، فإنك تجده ماء كما طلبته وكما رأيته، إذ الماء لا يطلب لعينه وإنما يطلب لما يكون منه، فإذا أعطاك السراب ما أعطاك الماء لوجود هذه الصفة فقد وجدت الماء، أي وجدت المطلوب. كما قال: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ [النور: 39]، أي عند السراب، حين ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور: 39]، يعني السراب.

يقول: وهو من الرياض بمنزلة الأزهار التي تعطي لذة العيون والمشام وهي ألطف من الأذواق الطعمية، أي لها أثر في عالم الأنفاس والشهود، وقوله:

11 - فلَيلِيَ من وَجهِها مُشرِقٌ ويَومِيَ من شَعرِها غاسِقُ
12 - لقَد فلَقتْ حَبّةَ القلبِ إذْ رَماها بأسهُمِها الفالِقُ
13 - عيونٌ تَعوّدْنَ رَشقَ الحشا فليسَ يَطِيشُ لها رَاشِقُ
14 - فما هَامَةٌ في خَرابِ البِقاعِ ولا ساقُ حُرّ، ولا ناعِقُ
15 - بأشأمَ من باذِلٍ رَحّلُوا ليُحمَلَ مَن حُسنُهُ فائقُ
16 - وَيُترك صَبًّا بذاتِ الأضا قتيلاً، وفي حُبّهِمْ صادقُ

وكل شراب بها رائق

أي كل ذوق حصل لك في مبادي التجلي فإنه يصفو ويروق ويحلو معناه بوجود هذه الصفة.

11 - **يقول**: وقد حصل لي بها علم الغيب من شعرها وعلم الشهادة من وجهها فأشرق ليل هيكلي الطبيعي من نورها وصار عالم شهادتي بوجودها عيناً عند النظر، أي حصل لي من القوة بحيث أن أظهر في الصورة المختلفة كعالم الغيب كما هو الخضر وبعض الأولياء كقضيب البان وغيره.

12 - **يقول**: هذه النكتة فلقت حبة القلب حين رماها بها الفالق سبحانه. من قوله: ﴿فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: 95]. وفالق الإصباح في حبة القلب عندما فلقها من العلوم والتجليات.

13 - **قوله**: عيون، يعني المناظر العلوية تعودن إصابة القلوب التي لها تعشق بها وتعلق فهي ترميها بما عندها من العلوم والهبات فتصيبها ولا تخطئها، فإن الرقيقة الممتدة بين القلوب وبين هذه المناظر متصلة اتصال الدخان بالسراج من رأس الفتيلة.

15 و16 - **يقول**: لا شيء أشأم من حالة تحول بينك وبين هذه الصفة الإلهية التي تحيي القلوب بوجودها، فإن الحال إذا قام بالقلب ملكه ويبقى السر الرباني الذي أضاء له هذا المشهد الذاتي طريحاً لا معين له على دوام ما قد لاح له مع صدقه في التوجه إليه، وذلك للطريان هذا الشؤم الذي كنى عنه بالباذل. وجعله حاملاً لهذه الصفة المحبوبة لكونه حال بينه وبينها بحلوله.

يذكــــرني حالُ الشبيبة

1 - يُذكّرُني حالُ الشّبِيبَةِ والشَرْخِ ... حديثاً لنا بينَ الحَديثةِ والكَرخِ
2 - فقلْتُ لنفسي فيه خمسينَ حِجَّةً ... وقد صِرتُ من طولِ التفكُّرِ كالفَرخِ
3 - تُذكّرُني أكنافَ سَلعٍ وحاجرٍ ... وتَذكُرُ لي حالَ الشّبيبَةِ والشرْخِ
4 - وسَوْقَ المَطايا مُنجِداً، ثمّ مُتهِماً ... وقَدْحي لها نارَ القِفارِ مع المَرْخِ

---

1 و2 - **يقول**: بعد الوصول إلى مقام إتيان الذكر المحدث بالتنزيل الإلهي يذكر لي حالة السلوك في مقام احتراق الحجب المغيبة عني التي ترفعها الأعمال بما تعطيه من الحقائق والهمم من غير رؤية مني فتردني إلى العمل على مقام الحجاب من الحالة التي أنا عليها اليوم من العمل على الكشف بإسقاط رؤية الرؤية فكيف غيرها. وأراد بالخمسين حِجّة[1] عمر هيكله في زمن هذا القول.

3 و4 - **قوله**: تذكرني أكناف سلع، استشراف مد لي من أول تجليات الورث المحمدي، وتذكر لي حال الشبيبة، **والشرخ**: أوان البداية. وسوق المطايا، يقول: ويعني الهمم علواً وسُفْلاً، فأما علواً فمعلوم وأما سفلا فلحديث: لو دليتم حبلاً لوقع على الله.
وقوله:

وقدحي لها نار القفار مع المرخ

أي الأمور التي لا تكون عن الأسباب المحجوبة بغطائها عن ظهور الأمر على ما هو عليه. فكأنه أراد في هذه الأبيات يعتب نفسه حيث خطر له هذا الخاطر في حال تمكنه وقوته وعلو مقامه واستدامة كشفه.

---

(1) الحِجّة: السنة.

مُطارَحة بأفنانِ الشجون

1 - أُطـارِحُ كُـلّ هـاتِـفَـةٍ بـأيْـكٍ عـلـى فَـنَـنٍ بـأفـنـانِ الـشُّـجـونِ
2 - فـتَبـكـي إلـفَـهـا مـن غَـيـرِ دَمـعٍ وَدمعُ الـحُـزْن يـهـمُـلُ مـن جُـفـونـي
3 - أقولُ لـها، وقـد سمحتْ جفوني بـأذْمُـعِـهـا تُـخـبِّـرُ عـن شُـؤونـي:
4 - أعـنِـدَكِ بـالّـذي أهْـوَاهُ عـلَـمٌ وهـلْ قـالـوا بـأفْـيـاءِ الـغُـصُـونِ

---

1 و2 - **يقول**: أطارح كل لطيفة روحانية ظاهرة في صورة بَرزخيّة على غصن ثابت بروضة من المعارف الإلهية بحقيقة تناسبها مني تدل على حسرة الفوت حين فاز أمثالي بما فازوا به.

ثم قال: فتبكي إلفها، **يقول**: بكاء الأرواح من غير دمع وبكائي بدمع لوجود هذا الهيكل الذي أنتجني فقد شاركتها في بكاء من غير دمع لكوني على ما هي عليه من الحقائق من حيث الروحانية وزدت عليها بالبكاء الطبيعي الذي لا مشرب لها فيه فكان وجدي متضاعفاً لهذا السبب فعندي فوق ما عندها. فكأنه يخاطب الأرواح المفارقة لعالم الطبيعة بعد أن كانت متصلة بها وما نالت شيئاً في زماننا لشغلها بنيل شهواتها.

3 و4 - **يقول**: أقول لها في حال بكائي بلسان حالي المعبر لها بما أحمله: أعندك بالذي أهواه علم لأنك في مقام الكشف لمفارقتك عالم الظلمة وحبسي فيها إلى الأجل المسمى؟ وهل لهم ظهور بظلال هذه النشآت الطبيعية فأطلبهم فيها؟ فإن الله يقول: ﴿وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [الرعد: 15] أخبر عنهم بالسجود، والسجود لا يكون إلا مع الشهود والمعرفة لا مع غير ذلك. ولا سيما وقد قال بعضهم: أنا الحق. وقد قال الحق تعالى: **«فبي يسمع وبي يبصر»** فخبريني إن كان الأمر على ما استفهمتك عليه فأنظر كيف أرفع الحجاب عن عيني وأشهد ما في كوني.

أين الأُسودُ من العيونِ السود؟!

1 - عِندَ الجِبالِ من كثيبِ زَرُودِ صِيدٌ وأُسْدٌ من لِحاظِ الغِيدِ
2 - صَرعى، وهم أبناءُ ملحمةِ الوَغى أينَ الأُسودُ من العيونِ السّودِ
3 - فتكَتْ بهِمْ لحَظاتُهُنّ، وَحبّذا تلكَ المَلاحِظُ من بناتِ الصِّيدِ

1 - 3 - يقول: إن القلوب التي لها الإقدام والجرآت كالأُسود، ولها المنصب العالي من أصلها العالي من أصلها الكريم مع قوتها وكريم أصلها عندما يتجلى لها هذه المناظر العلى بالمكانة الزلفى حيث المحل الأزهى يبقون صرعى قتلى هيماناً فيها قد فتكت بهم تلك اللحظات العلى وحبذا هي من ملاحظات قدسية من صفات علوية قدسية منزهة عن ناظريها كريم ملك. كما قال: ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: 54 - 55].

ثلاثةُ بُدورٍ

1 - ثَـلاثُ بُـدورٍ مـا يُـزَنَّ بـزِنْـيَـةٍ خَـرَجـنَ إلـى الـتَّـنـعـيـمِ مُـعـتَـجِـراتِ

2 - حَسَرْنَ عنَ أمثالِ الشموس إضاءةً ولَـبَّـيْـنَ بـالإهْـلالِ مُـعـتَـمِـرَاتِ

3 - وأقْبَلنَ يمشينَ الرُّوَيْدا كمِثلِ ما تـمشـي الـقـطـا فـي ألْـحُـفِ الـحـبـراتِ

1 - 3 **يقول**: خرجت من حضرة الربوبية والملكية والألوهية ثلاثة أسماء مقدسة يطلبن ظهور آثارهن الذي به نعيمهن. فكنى عنه بالتنعيم. وخرجن معتجرات من أجل أنوارهن لئلا يدرك من ليس له قوة النظر إليها في طريقها فيهلك، فلما أردن زيارة القلب المهيأ لقبولها حسرن عن وجوههن فبدت أنوارهن ولبين رافعات أصواتهن لله تعالى بما يستحق له معتمرات، يقول زائرات، وأقبلن يطلبن هذا القلب الكريم ليشرفنه بزيارتهن.

وقوله: في ألحف الحبرات، يعني عليهم من زينة الأسماء التوابع الذين هم كالسدنة لهذه الأسماء كما يقول: لا يكون مريداً إلا عالماً ولا عالماً إلا حياً، فصار كونه حياً مهيمناً على كونه عالماً ومريداً. وهكذا كل أمر يتوقف وجوده على وجود أمر آخر فالأمر المتوقف عليه مهيمن على من توقف وجوده عليه.

يا ثَرى نَجْدِ

1 - ألا يا ثَرى نَجدٍ تَبارَكتَ من نَجدِ   سَقتكَ سحابُ المُزْن جَوْداً على جَوْدِ
2 - وَحَيّاكَ من أحياكَ خمسين حِجَّةً   بِعَوْدٍ على بَدءٍ، وبَدءٍ على عَوْدِ
3 - قَطَعْتُ إليها كُلّ قَفرٍ ومَهْمَهٍ   على النّاقةِ الكَوْماءِ والجَمَلِ العَوْدِ
4 - إلى أن تَراءَى البَرْقُ من جانبِ الحِمى
«وقد زَادَني مَسراه وَجداً على وَجدي»(1)

1 - 4 - أراد ثرى نجد: مركب العقل وسحائب المعارف تسقيه علماً على علم. وخمسين حِجَّة عمر المركب في هذا الوقت والتحية سلام الحق عليه مردداً بلطائف التحف. والإشارة بإليها الحضرة. والقفر والمَهْمَه: الرياضة النفسية والمجاهدة البدنية. والناقة الكوماء: السريعة. والجمل العودي: العقل المجرب. والبرق المطلوب والغضا الإشراق النوراني الذي لحجاب العزة الأحمى. ومسراه لمعانه من جانب الكون، فإن السرى لا يكون إلا بالليل والكون ليل.

(1) العَجُز من بيت لعبد الله بن الدمينة، من قصيدة له مشهورة، والبيت:
ألا يا صَبا نجدٍ متى هجتِ من نجد   لقد زادني مسراك وجداً على وجدِ

تحيَّات الهوَى

1 - يا خليليّ ألِمّا بالحِمَى　　واطلُبا نَجداً وذاكَ العَلَما
2 - وَرِدَا ماءَ بخَيماتِ اللّوَى　　واسْتَظِلاّ ضَالَها والسّلَما
3 - فإذا ما جِئتُما وادي مِنًى　　فالّذي قَلبي بهِ قد خَيّمَا
4 - أبْلِغا عنّي تَحِيّاتِ الهوَى　　كلَّ مَنْ حلّ بِهِ أو سَلّما

---

1 - يخاطب عقله وإيمانه يقول لهما: انزلا بالحماية الإلهية عند حجاب العزة الأحمى واطلبا معرفة نجدية؛ يريد علوماً وهيبة. وقوله: وذاك العلما، يشير إلى معرفة من جهة الدليل ليجمع بين ما يستقل العقل بإدراكه وبين ما لا يستقل بإدراكه فيكون ممن أوتي الجوامع.

2 - **قوله**: وردا ماء، يريد معدن الحياة الأزلية. بخيمات اللوى، يقول: بحضرة العطف الإلهي. واستظلا طلباً للراحة في ظلال العلم بالعجز عن درك الإدراك، وهو مقام الحيرة، فهو الضال. والسلما أي فيه السلامة من التقييد بأمر ما والإحاطة به، فإن الأمر أعز وأعلى من أن يتقيد بشيء أو لشيء أو تأخذه الإحاطة.

3 - **يقول**: فإذا جئتما موضع رمي الجمرات، وهو مقام الجماعات، يريد مواطن الملإ الأعلى على مراتبهم وحضرات اجتماعات الأسماء لظهور آثارهم، لما قد بيناه في بعض كتبنا من محاضراتهم. قال: فالذي قلبي به قد خيما، يعني مجالسة تلك الجماعات العلوية المعنوية الذين أشار إليهم الشارع عن ربه تبارك وتعالى: «**إن ذكرني عبدي في ملإ ذكرته في ملإ خير منه**»، فهو ما أشرنا إليه من الجماعات. فإن الجمرة: الجماعة، والجمرات: الجماعات. ومحلها تلك البقعة المخصوصة المعبر عنها بمنى. ولما كانت هذه الحضرة محل القربة الإلهية كانت هذه البقعة محل القرابين يوم الحج الأكبر.

4 - **قوله**: أبلغا عني تحيات الهوى، البيت بكماله، يقول لعقله يبلغ إلى خيفه ولإيمانه كذلك: سلما مني على تلك الجماعات المقدسة سلام محب لهم راغب في الالتحاق

5 – واسـمَـعَـا مـاذا يُـجـيـبُـونَ بـهِ   وأخـبـرا عـن دَنِـفِ الـقَـلـبِ بـمَـا

6 – يَشتكِيهِ من صَباباتِ الـهوَى   مُـعـلِـنـاً مُـسـتـخـبِـراً مُـسـتـفـهِـمـا

بمراتبهم إن سبقت له عناية إلهية بذلك. وقوله: أو سلما، أي لا تبلغا عني تحية إلا إن رأيتما القبول ممن بلغتماه وإلا فسلما أنتما ولا تذكراني.

5 – **يقول لهما**: واسمعا ما يردون عليكما وأخبراهم عما تعلمان من حالي ودنفي[1] بهم وما أشتكيه من رقة الحب ولطائفه إعلاناً بذلك ليسمع ذو الرحمة منهم فيشفع، فربما قد سبق في العلم أن لا يكون التقريب إلا بشفاعة فيظهر عند ذلك رجاء من هذا العبد.

6 – **قوله**: مستخبراً: مستفهماً، عن دوائه فيما قد أصابه من مقاساة الحب المانعة عن إدراك المطلوب مع وجود المحبة وانتشائها بباطنه وظاهره.

---

(1) الدَّنَف: دنف المريضُ اشتّد مرضه وأشفى على الموت. الدنف: المرض المثقل.

أَحَبُّ بلادِ اللهِ

1 - أَحَبُّ بِلادِ اللهِ لي، بعدَ طَيبةٍ ومكّةَ والأقصَى، مدينةُ بَغدانِ
2 - ومَا ليَ لا أهوَى السّلامَ، ولي بِها إمامُ هُدًى دِيني وعَقدي وإيماني
3 - وقَد سكَنَتها من بُنيّاتِ فارسٍ لَطِيفَةُ إيماءٍ مَرِيضَةُ أجفانِ

1 - **يقول**: أحب المواطن إلي بعد الموطن الذي لا مقام فيه وهو اليثربي الذي يكون منه الرجوع بالعجز عن الوصول أصلاً لتحقق المعرفة بالجناب الأعز، وهو قول الصديق الأكبر: «**العجزُ عن درك الإدراك إدراكٌ**»؛ فما رأى شيئاً عند ذلك إلا ورأى الله قبله، والموطن الآخر موطن البيت الإلٰهي المتوجه إليه من كل وجه وهو القلب الكامل الذي وسع الحق، والموطن الثالث الأبعد الذي هو مقام التقديس والتنزيه.

يقول: أحب موطن إلي بعد هذه المواطن كلها موطن الإمام الخليفة على الأنام كافة الذي هو مرتبة القطب، وذلك لكمال ظهور صورة الحضرة الإلٰهية فيه من تقييد الأوامر الإلٰهية بالبسط والقبض والحياة والموت والأمر والنهي.

2 - **قوله**: وما لي لا أهوى السلام، أراد مدينة السلام، فإن الله يدعو إلى دار السلام[1] والله الهادي إليها، والسلام اسمه تعالى، والعقل والدين والإيمان متعلق به، فما لي لا أهواه ولي به هذه الأمور كلها ولكن لا بد من تقدم هذه المراتب الثلاث إذ لا يصح وصول من غير سلوك فإنه لا وصول.

3 - **يقول**: وهذه الحضرة القطبية الإمامية حضرة التصريف والتدبير وبها يظهر عالم التدوين والتسطير والتمليك والتسخير قد سكنتها. أي فيها حكمة عجمية يريد موسوية وعيسوية وإبراهيمية وكل ما تعلق بذلك الفن من نبي عجمي. وقوله: «لطيفة إيماء»، يريد ضعيفة الإشارة. وقوله: مريضة أجفان، يقول: معشوقة المنظر فيها حنان ورقة وتعطف فيرجو الكلف بها أن ينال مقصوده منها لما هي عليه من الحنان.

(1) قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: 25].

4 -تُحَيِّي فتُحيي مَن أماتَت بلَحظِها فَجاءت بحُسنى بعد حُسنٍ وإحسانِ

---

4 - تحيي، أي تسلم فتحيي بسلامها من أماته النظر إليها عندما لحظته هيبة وجلالا.
وقوله: فجاءت بحسنى بعد حسن وإحسان، كما قال جبريل عليه السلام: **«إن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»**[1] وهذا مقام وإحسانٌ آخر دونه **«فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**، فإلى هذا هي الإشارة بقوله: بحسنى بعد حسن. وأما قوله: وإحسان، فهو ما يهبك هذا التجلي الامتناني من لطائف المعارف وشواهد هذه الفرائد ولآلي الأسرار وجواهر العلوم.

---

(1) البخاري، رقم (50).

الدليلُ الطّيّبُ

1 - نَفسي الفِداءُ لِبيضٍ خُرَّدٍ عُرُبٍ لَعِبنَ بي عند لَثمِ الرُّكنِ والحجَرِ
2 - ما تَستدلّ، إذا ما تهتَ خَلفَهمُ إلّا بريحِهِمُ من طَيِّبِ الأثرِ
3 - ولا دَجا بيَ لَيلٌ ما بهِ قَمَرٌ إلاّ ذكَرتُهُمْ فسِرْتُ في القمَرِ
4 - وإنّما حِينَ أُمسي في رِكابِهِمُ فاللّيلُ عنديَ مثلُ الشمس في البُكَرِ
5 - غَازَلْتُ من غَزَلي منهنّ وَاحِدَةً حَسْناءَ، ليسَ لها أُختٌ من البَشَرِ

---

1 - **يقول**: عند المبايعة الإلهية ظهر لي علوم في صورة متجسدة في عالم التمثل حسان ثبتن عن أنفسها بمعلوماتها ولكن من مقام الإيمان لا من حيث العقل، ولذلك جعلها **خُرّداً**: أي حييات.

2 - **قوله**: ما تستدل، أي ما تجد دليلاً إذا جئت في طلبهم إلا بما تركوه من آثارهم الطيبة في قلوب العارفين الحاملين لهذه العلوم، فإن المعاني إذا قامت بشيء أوجبت له حكمها. ووصف الطالبين لها بالتيه الذي هو مقام الحيرة لعلوها وعزة إدراكها.

3 - **يقول**: ولا دجا بي ليل جهالة وذكرتهم إلا أقمر ليل جهالتي هذا حال سلوك. وقد يقول: ولا دجا بي ليل حيرة وتيهاً إلا فكان ذكري إياهم سبباً لإزالة ذلك التيه والحيرة لوقوفي بهم على حقائق الأمر على ما هو عليه ذلك الأمر.

4 - **يقول**: وإنما حين أمسي صحبة هذه العلوم فلا جهل يعتريني ولا حيرة وتكون حيرتي مثل الشمس، أي تظهر علوماً ومعارف. وقوله: في البكر، معها راحة فإن الشمس في الظهيرة لا يستطاع المشي إليها لشدة حرها فتكون المشتاق عند ذلك فلهذا قيد بالبكر.

5 - **يقول**: تعشقت من هذه المعارف بمعرفة واحدة علوية ذاتية من مقام المشاهدة ما لها مثل ولا شبه كما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: 11]. وقوله: من غزلي، أي الحب صفة لازمة لي. وقوله: واحدة، إشارة إلى عين التوحيد.

6 ـ إن أسْفرَتْ عن مُحيّاها أرَتكَ سناً مـثـلَ الـغَـزالـةِ إشْـرَاقـاً بـلا غَـبَـرِ
7 ـ لـلـشّمسِ غُرّتُـها، لـلّـيْلِ طُرّتُـها شمسٌ وليلٌ معاً من أعجبِ الصّوَرِ[1]
8 ـ فنحنُ باللّيلِ في ضَوْءِ النهارِ بها ونـحـنُ في الظّهـرِ في ليلٍ من الشَّعَرِ

6 ـ **يقول**: إذا زالت الحجب التي بينك وبينها ظهرت لك سُبُحات كالشمس صحواً لا يعتريها سحاب، كما قال ﷺ[1]: **«ترون ربكم كالشمس بالظهيرة ليس دونها سحاب»**.

7 ـ **قوله**: للشمس غرتها، لليل طرتها، هو ما تحمله من علوم الشعور أي علوم الرمز والإخفاء مثل أحاديث التشبيه وغير ذلك. وقوله: شمس وليل معاً من أعجب الصور، يقول: الجمع بين الضدين لا يتصور عقلا وها قد تصور وهو عجب. كما قال أبو سعيد الخراز وقيل له: بم عرفت ربك؟ فقال: بجمعه بين الضدين، بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: 3] من وجه واحد لا من جهتين مختلفتين، كما يقول صاحب علم النظر الواقف مع عقله المتحكم على الحق بدليله: هيهات وأين الألوهية من الكون وأين المحدث من حضرة العين، كيف يدرك من له شبه من لا شبه له، للعقل عقل مثله وليس للحق حق مثله. محال وجود ذاتين وإلهين لا يشبه شيئاً ولا يتقيد بشيء ولا يحكم عليه بشيء بل ما يضاف إليه إلا بقدر ما تمس حاجة الممكن المقيد إليه غير ذلك من الشمس بعقله، فما عرفه كيف يلتمس بأمر هو خلقه عاجزاً فقيراً مستمداً، تعالى الله عن إدراك المدركين علواً كبيراً، ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: 180] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

8 ـ **قوله**: فنحن بالليل في ضوء النهار بها، البيت بكماله، يقول: عينه شهادة وشهادته عين في نفس الأمر نظراً إليه لا إلى عقلك ولا إلى إضافتك ولا نسبك. وقد أشار صاحب الخلع إلى شيء من هذا في قوله: أي اسم أخذته من الأسماء كان مسمى بجميع الأسماء، وسبب ذلك التوحيد العين وعدم التشبيه بالكون. وهذا مشهد عزيز لا يناله إلا الأعز من عباده المتوحدين به الذين لا نظر لأنفسهم إلا بعينه والمغيب كونهم في كونه الموحد له لا لهم. حينئذٍ بهذه المثابة عرفت ما أقول. فلا يطلب بالعقول ما لا يصح إليه الوصول.

(1) سبق تخريجه.

نهاية في الحُسْن

1 ـ طَلَعَتْ بينَ أذرِعاتٍ وبصرَى   بِنْتُ عَشْرٍ وأربعٍ ليَ بَدرا
2 ـ قد تعالَتْ على الزّمان جَلالاً   وتسامَتْ عليه فخْراً وكِبرَا
3 ـ كلُّ بَدرٍ إذا تَناهَى كمالاً   جاءَهُ نقْصُهُ ليَكمُلَ شَهرا
4 ـ غيرَ هذي، فما لها حركاتٌ   في بُروجٍ، فما تُشفَّعُ وِترَا
5 ـ حُقّةٌ أُودعتْ عَبيراً ونَشْرا   رَوْضَةٌ أنبَتَتْ ربيعاً وزَهرا
6 ـ انتهى الحُسنُ فيكِ أقصى مداهُ   ما لوسعِ الإمكان مثلُك أُخرى

---

1 و2 ـ لما أوقع التشبيه بالبدر جاءه بالزمان مذكوراً لارتباطه به في عدة الشهور. يريد بهذه المذكورة النفس الكاملة. وقصد ذكر هذا المكان لأنه منتهى النبي، ﷺ، من الشام وفيه ظهرت عليه آيات في حديث بَحيرا. ونسب إليها صفة الكمال وأعطاها من العدد أكمله وهو الأربعة فإن فيها العشرة، ونزهها عن التقييد بالزمان لعدم التحييز.

3 و4 ـ **يقول**: وليس تشبهه من كل وجه وإنما قصدنا صفة الكمال وكونها محل التجلي لكونها على الصورة والبدر مجلي الشمس. ثم قال: بدر إذا تناهى في كماله يرجع وينقص ليظهر الشهر بحساب العالم، وهذه ليست كذلك إنما هو كمال لا يقبل النقص لعدم التقييد كما أنها لا تقبل الحركة فلا تقطع مساحة. فما تشفع وتراً، يقول: إن لها مقام الوحدانية ولا يتصل بها أحد لعدم الجنسية لعلو مكانتها وكمالها.

5 ـ **يقول**: لما كانت محل العلوم الإلٰهية والمعارف والأنفاس الرحمانية شبهها بالحقة التي فيها العبير وهو أخلاط من الطيب كذلك فيها فنون من العلوم، **والنشر**: الرائحة، وهو ما لها من التعليم والإفادة لمن هو دونها. ولذلك شبهها بالروضة لما فيها من الأزاهر والثمار بما يناسبها من العلوم والمعارف والأحوال والأسرار والمقامات.

6 ـ **قوله**: انتهى الحسن فيك أقصى مداه، البيت بكماله، المراد به ما أراد أبو حامد بقوله: وليس في الإمكان أبدع من هذا العالم إذ لو كان وادخره لكان بخلاً ينافي الجود وعجزاً يناقض القدرة. وهو كلام محرر لم يفهمه وشرحه هنا لا يليق بهذا المجموع وقد ذكرناه في كتاب المعرفة.

جَحيمٌ في القلبِ مُشتَعِر

1 - رَعَى الله طَيراً على بانَةٍ قدَ أفصَحَ لي عن صَحيح الخبَرْ:
2 - بأنّ الأحِبّةَ شَدّوا على رَوَاحِلِهم، ثمّ راحوا سَحَرْ
3 - فسِرْتُ، وفي القلبِ من أجلهم جَحِيمٌ لبَيْنِهِمُ تَستَعِرْ
4 - أُسابِقُهمْ في ظلامِ الدّجى أنادي بهم ثمّ أقفو الأثَرْ
5 - وما لي دليلٌ على إثرِهمْ سوى نَفَسٍ من هواهمْ عَطِرْ

---

1 و2 - يدعو للنبي ﷺ، وهو الطير على البانة. **فالبانة**: نشأته. **والطير**: لطيفته حين أخبر بنزول الحق جل جلاله إلى سماء الدنيا، الحديث، وفيه: «**حتى ينصدع الفجر**». ولما كانت القلوب لها أوقات مع الله تعالى وأوقات مع نفوسها وحظوظها نسب الوقت إلى نزول الحق وظهوره في ليل هياكل الطبيعة، وفجره ما ينسلخ فيه من التجليات الإلٰهية بالعلم المصون المخزون. وجعل الرواح في السحر وهو اختلاط الضوء والظلمة والجلال في حين نزولها.

يريد أنه في عالم البرزخ ينظر إلى ذلك من الألوهية على ما هي عليه في نفسها من التنزيه والتقديس والعظمة والجلال في حين نزولها إلى التبشيش والضحك والفرح والتعجب والسبات والمكر وأمثال ذلك، وإلى هذا الإشارة بالسحر.

3 و4 - **يقول هذا العارف**: فسرت وفي قلبي برحيلهم عني نار تأجج، وهي التي تطلع على الأفئدة. ثم قال: أسابقهم، أي أعلو همتي بالسرى إلى محل الاستواء الذي إليه تكون الرحلة والعمل على قدر ما يعطيه الوقت من المعرفة بالحال. وقوله: ثم أقفو الأثر، يريد التخلق بالأخلاق الإلٰهية والاتصاف بالأسماء العبدانية والربانية بحسب الوقت والحال.

5 - **يقول**: وما لي دليل في سيري خلفهم سوى ما أجده في طريقي من نفس حبهم إياي وهي العناية، فإنه قال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: 54]، فذكر محبته لهم لا محبتهم له.

6 - رَفعنَ السجافَ أضاءَ الدّجى، فسارَ الركابُ لضَوْءِ القَمَرْ
7 - فأرسلتُ دَمعي أمامَ الرّكابِ فقالوا: متى سالَ هذا النّهَرْ؟
8 - ولم يستطيعوا عُبوراً لهُ فقلتُ: دموعي جَرَينَ دُرَرْ
9 - كأنّ الرّعودَ للَمْعِ البرُوقِ وسَيرَ الغَمامِ لصَوْبِ المَطَر
10 - وجيبُ القلوبِ لبرْقِ الثغورِ وسَكْبُ الدّموعِ لرَكبٍ نفَرْ
11 - فيا مَن يُشبّهُ لِينَ القُدودِ بلِينِ القَضِيبِ الرّطيبِ النَّضِرْ
12 - فلو عُكسَ الأمرُ مثلَ الّذي فعَلْتَ لكانَ سليمَ النّظَرْ
13 - فَلِينُ الغُصونِ كلينِ القُدودِ وَوَرْدُ الرّياضِ كوَرْدِ الخَفَرْ

وقوله: عطر، يريد طيب الرائحة، وذلك أن الدليل في المفاوز المهلكة حيث لا علامة يجدها إنما يستدل بشم تربة الأماكن. قال الشاعر:

إذا الليلُ أمسى استف أخلاف الطرق

6 - **قوله**: رفعن السجاف أضاء الدجى، البيت بكماله، المراد بذلك ما أراد بقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ﴾ [سبأ: 23].

7 - الركاب والضمير في قالوا يعود على الملائكة المذكورة في قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: 210].

8 - **قوله**: ولم يستطيعوا عبوراً له، لأنها دموع حزن لوقوع بين ومفارقة، وليس عند الملإ الأعلى هذا الذوق لعدم الحجاب فلهذا لم تعط حقائقهم عبور هذا المقام المنبه عليه بالدموع.

9 و10 - **الرعود**: مناجاة الصلصلة. والبروق مشاهدة ذاتية. **والغمام**: الصور التي يكون فيها التجلي. والمطر تنزيل العلوم والمعارف. والمعنى مفهوم من باب التشبيه وما تقتضيه صيغة النظم.

11 - 13 - **يقول**: لما وقع في أحاديث التشبيه إلحاق الحق بالخلق بما قد ذكر وجعله الناس للتشبيه، وليس كذلك عندي وإنما اللفظ الدال على كذا من الخلق، جعل ذلك اللفظ على الحق لا من حيث ما يقبله الخلق، فلو أن هذا المتأول يعكس الأمر ويلحق الخلق بالتنزيه لكان أولى من حيث ارتباطه بالحقائق الإلهية كما فعلنا نحن حيث شبهنا لين

. . . .

الغصون بلين قامة المحبوب الجميل، وورد الرياض شبهناه بورد الخدود، وجعلنا الأصل وألحقناه به تشبيهاً من وجه ما هو دونه. فالأدنى يلحق بالأعلى بوجه ما للمدح لا بعكس الأمر. فالتبشيش على الحقيقة لله والضحك وغير ذلك. ثم أطلق علينا بمعان تعلقها فهي الأصل وله القدم. وبالأول يوقع التشبيه إذ ولا بد هو يشبه بشيء، هذا إذا كان التنزل إلى حضرة التمثل، وأما إذا وقع الأمر بما يناسب الحقائق على ما هي عليه فلا تشبيه ولا تمثيل بل كل على ما هو عليه من غير اختلاط.

مَنِ السَّاهي؟

1 - يا أُولي الألبابِ، يا أُولي النُّهى هِـمـتُ مـا بـيـنَ الـمَـهـاةِ والـمَـهـا

2 - مَن سَهَا عن السُّها فما سَها، مَـن سَـهـا عـن الـمـهـاةِ قَـد سَـهـا

3 - سِـرْ بِـهِ بـسِـرْبِـهِ لِـسِـربِـهِ فـالـلُّـهـى تـفـتَـحُ بـالـحـمـدِ الـلَّـهَـا

---

1 - قال تعالى: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: 12]. ففي ذلك وقع الهيمان بهذا العارف. والمهاة: الشمس. والمها: بقر الوحش. فهذا سماوي، وهذا أرضي وبينهما وقع الهيمان لهذا العارف، وهو الذي أردنا بقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: 12]. ثم قال: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: 12].

2 - **قوله**: من سَها عن السُّها فما سها

يقول: من غابت عنه الأمور الخفية فلم يدركها فما يقال فيه سها عنها بل هي عزت عليه فلم يدركها كالمشاهد البرقية الذاتية، وإنما يقع السهو فيمن لا يدرك الأمور الجلية لشغله عنها بأمور أخر إيثاراً له عليها كمن لا يرى الشمس وهو فيها يمشي فبهذا يسمى ساهياً.

3 - لما ذكر المها ذكر السرب وهو أيضاً من العالم الترابي الأرضي، فقال: سر به من السير بسربه، يعني بنفسه لسربه من أجل هؤلاء الأحباب الذين شبههم بالسرب، ويعني بنفسه أي نفسك قدم بين أيديهم قربة وهدية، فإنك إذا فعلت ذلك أحبوك وأثنوا عليك، فاللهى، الأعطيات، تفتح بالحمد، الثناء، اللها جمع لهاة. وقد قيل في ذلك:

تُـهـدَى الأضَـاحـي وأُهْدي مهجتي ودمي!

وقلنا في ذلك:

وأهـدى عـن الـقـربـانِ نـفـساً مـعـيـبـةً وهـل ريء خـلـق بـالـعـيـون تـقـربـا؟!

وكان بعض الفقراء يوماً بمنى رأى الناس يقربون قرباناتهم وكان فقيراً لا شيء له من الدنيا فقال: يا رب كل قد وهبته شيئاً يتقرب به إليك وليس عند عبدك الفقير سوى نفسه وقد جعلتها في هذا اليوم قرباناً إليك فاقبلها مني ولا ترد قرباني في وجهي إنك جواد كريم. فمات من حينه وهو واقف.

4 - إنـهـا مـن فَـتَـيَـاتٍ عُـرُبٍ مـن بـنـاتِ الـفُـرْس أصـلاً إنّـهـا
5 - نَـظَـمَ الـحُـسـنُ مـن الـدُّرِّ لـهـا أشـنَـبـاً أبـيـضَ صـافـي كـالـمَـهـا
6 - رابَـنـي مـنـهـا سُـفـورٌ راعَـنـي عِـنـدَهُ مـنـهـا جـمـالٌ وبَـهـا
7 - فـأنـا ذو الـمَـوْتَـتَـيْـنِ مـنـهُـمـا هـكـذا الـقُـرآنُ قـدْ جـاءَ بـهَـا
8 - قـلـتُ: مـا بـالُ سُـفـورٍ راعَـنـي مـوْعـدُ الأقـوَامِ إشـرَاقُ الـمَـهـا
9 - قلتُ: إني في حِمًى من فاجِمٍ سـاتِـراً فَـلْـتُـرْسِـلِـيـهِ عِـنـدَهـا

4 - **قوله**: إنها من فتيات، البيت بكماله، **يقول**: إنها من المعارف المحمدية وإن كان أصلها أعجمياً، فإن الله يقول لما ذكر الأنبياء في القرآن الكريم قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: 90]. والعجمة في الوضع بالأصل أقدم من العربية ويجمعها الكلام، والعبارة المعجمة متقدمة، فلهذا قال: من الفرس أصلاً.

5 - قوله: نظم الحسن، البيت بكماله، يقول: إن فهوانيتها معشوقة لها نور عظيم عندما تتجلى لمناجاتها. والمها هنا حجر شفاف أبيض شبه الثغر به لما وصفها وصف الجواد.

6 - كانت العرب إذا حسرت المرأة النقاب عن وجهها لأحد لغير شيء عرف ذلك أن الشر وراءها في حقه فيحذر وينظر لنفسه. وقال الشاعر:

وقـد رابـنـي مـنـهـا الـغـداة سـفـوُرهـا

يقول: إن هذه النكتة التي تعشق بهاء العلوية رأت أنه قد أقام منازعها في حضرة التمثل ما يناسبها في الصورة ميزاناً بالميزان فعلمت أنه يريد أن تخدعه بذلك ليتعشق بتلك الصورة فيحجب عن هذه التي فيها سعادته فغارت عليه لأمرين: شفقة عليه لئلا يجهل فيشقى، ولأنها أيضاً يتعطل أثرها إذا راحت عنه بقبوله لتلك. فإن العلم بالشيء يقابل الجهل به ويضاده، فتسفر عن وجهها إعلاماً وليزيد تعشقاً. فلهذا قال: جمال وبها.

7 - قوله: ذو الموتتين، الموتة الأولى عن الأغيار والثانية عن نفسه فيبقى معها بها لا به. وقوله عن مجيء القرآن بها، يريد قوله: ﴿أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ [غافر: 11].

8 و9 - في البيت الأول ضمير محذوف دل عليه المفهوم. كأنه يقول: قالت موعد الأقوام

10 - شِعرُنَا هَذا بِلا قافِيةٍ   إنّما قَصدِيَ منهُ حَرْفُ هَا
11 - غَرَضي لَفظَةُ هَا من أجلها   لستُ أهوى البيعَ إلاّ ها وهَا

إشراق المها، يعني ظهور الشمس. نبهت على أن العدو الذي ذكرناه المعد له صورة مثلها مستعد عنده تجلي ذات هذه المحبوبة له يقيم هو تلك الصورة. وهو الذي كنى عنها بإشراق المها يعني ظهور ذاتها له من حيث يريد تحصيلها فقال لها: ما علي منهم فإني في حمى من عصمتك فتخفيني في سرادقات غيبك فلا يصلون إلي، كما قيل في حق الرسول ﷺ: ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن: 27]. كل هذا حتى لا يلتبس عليه في الإلقاء، وهو الذي أردنا بقولنا:

تنزلت الأملاك ليلاً على قلبي   ودارتْ عليه مثلُ دائرة القلب

10 و11 - يقول: ما لنا تعلق إلا بها ولا بالكون إلا من أجلها بشرط أن تكون ظاهرة فيه بأية مناسبة كانت، كما قال الأول:

أحبُّ لحبها السودانَ حتى   أحبّ لحبها سود الكلابِ

وكما قلنا في صاحب لنا حبشي اسمه بدر:

أحبُّ لحبكَ الحبشان طراً   وأعشق لاسمك البدر المنيرا

وأما قولنا: بلا قافية، فإن القافية عند أكثر أهل هذا الشأن في القصيدة التي يكون أواخر أبياتها هاء الإضافة أوضاعها إنما هي في الحروف التي قبلها، وهنا لم يلتزم ذلك، فعلى هذا المذهب قلنا إنه بغير قافية. وقد قيل خلاف ذلك.

الأَسى لا يصْبرُ

1 - ولا أنسَ يوماً عندَ وانَةَ مَنزِلي وقَولي لِركبِ رائحينَ ونُزَّلِ
2 - أقِيموا عَلينا ساعةً نشتفي بها فإني، ومَن أهواهُم في تَعَلّلِ
3 - فإن رَحَلوا سارُوا بأيمنِ طائِرِ وإن نَزَلوا حلّوا بأخصَبِ مَنزِلِ
4 - وبالشِّعْبِ من وادي قناةٍ لقِيتُهمْ وعهدي بهِمْ بينَ النّقا والمُشلَّلِ

---

1 و2 - **يقول**: ولا أنس يوماً وقوفي في مقام التقصير، والاعتراف بالقصور على ما ينبغي من التعظيم لجلال الحضرة الإلهية، وقولي لركب الأبرار والمقربين الرائحين في مرضاة الحبيب والتنزل في مقام الوقفة للارتحال بعد نيل ما نزلوا له: أقيموا علينا ساعة نشتفي بها بالنظر إلى السعداء أهل العناية والوجد فإني في تعلل.

يقول: أعلل نفسي بذكرهم لما نجده من الشوق إليهم. والواو من: **ومن أهواهم**، واو القسم. أقسم بهم تعظيماً وحتى لا يكون ذكره إلا هم في قسمه، وهو أيضاً من باب التعلل بذكرهم والتقدير: فإني وحق من أهواهم في تعلل بذكرهم. والساعة هنا قدر ما تقع به الراحة في إقامتهم ولو كانت سنة.

3 - **يقول**: فإن رحلوا ساروا بأيمن طائر أي يقال حسن في وقت سعيد. وإن نزلوا، يقول: وإن أقاموا فأبذل جهدي في خدمتهم.

4 - **يقول**: وبالشعب، طريق في الجبل، والله يقول: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: 7]، والأوتاد أربعة في العالم. يقول: ولقيتهم في هذا المقام متبرزين. وقوله: من وادي قناة، من بطن طيبة، يقول: إنهم محمديون موحدون.

وعهدي بهم بين النقا والمشلل، وهو ماء بفديك حيث كانت مناة. يقول: وعهدي بهم في رؤية الوسائط والأسباب. ينظر إلى قوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: 3].

5 - يُرَاعون مرْعى العيس حيثُ وَجدنَهُ   وليسَ يُرَاعُوا قلْبَ صَبّ مُضَلَّلِ
6 - فيا حاديَ الأجمالِ رِفقاً على فَتًى   تَرَاه لدَى التّوديعِ كاسرَ حنظَلِ
7 - يخالِفُ بينَ الرّاحتينِ على الحَشا   يُسكّنُ قَلباً طارَ من صَرّ مَحمَلِ
8 - يقولون صَبراً، والأسى غيرُ صابرٍ   فما حِيلَتي والصبّرُ عنّي بمَعزَلِ
9 - فلو كان لي صَبرٌ، وكنتُ بحكمةٍ   لما صَبَرَتْ نفسي، فكيف وليس لي

---

5 - **قوله**: يراعون مرعى العيس، يقول: مطالب الهمم ومقاصدها يراعونها حيث وجدانها ولا يراعون قلباً مائلاً إليهم حائراً تائهاً في هواهم.

6 و7 - يخاطب داعي الحق الذي يدعوهم إلى دار السلام. والأجمال الهمم. رفقاً على فتى وصف نفسه بالفتوة ليرعاه ويشفق عليه وينبهه على مقام الفتوة ليعامله بها. كما قال ﷺ: **«ما كان الله لينهاكم عن الربا ويأخذه منكم فهو أولى بكل ما يدعو إليه من مكارم الأخلاق»** ثم وصف حاله عند الفراق بحالة الذي يكسر الحنظل في تمعر وجهه. كما قال امرؤ القيس:[(1)]

كأني غداةَ البينِ يوم تحمّلوا   لدى سَمُراتِ الحي ناقفُ حنظلِ

وقوله: يخالف بين الراحتين على الحشا، مثل الصليب يشير إلى اختلاف الحالات فيمسك جانب اليمين بالشمال وجانب الشمال باليمين ليسكن خفقان قلبه مما يجده من ألم مفارقة الجنس وهو يمسكه لأجل المسمى عن اللحاق بهم، والصر والصرير الصوت، فإنه لا يكون له صرير إلا عند السير. وطيران قلبه يريد برحلته خلفهم، لمنزلة البازي المربوط رجله في الكندرة فهو يطير شوقاً إلى الانفساح في فسحات الأطباق الجوية، والرباط بالكندرة يمسكه، كذلك رباط لطيفته بتدبير هذا الهيكل الذي هو بمنزلة الكندرة للبازي يمسكه إلى أن يأتي أمر الله.

8 و9 - **يقول**: لما رأى المقربون والأبرار شوقي إليهم وحبسي في ظلمة عالم الأجساد قالوا لي صبراً على ما نالك إلى أن يصل وقتك، فقال لهم: إن الأسى غير صابر.

---

(1) البيت من معلّقته، ورقمه (4) في شرح المعلقات العشر، للشنقيطيّ.

. . . .

يقول: إن الحزن لو صبر عني ولم ينزل بي صبرت فهو لا يصبر فكيف أصبر عنكم وصبري عني بمعزل وليس لي حيلة في تحصيله فإني تحت حكم سلطان الوجد، ثم إنه لو حل بي صبر وكان الصبر يحكم علي لما صبرت، فإن الشوق إلى الحضرة الإلٰهية ذاتي للعارف والصبر عرضي وأنى يقاوم العرضي الذاتي فما كنت أصبر فكيف والأمر على هذا الحد من كون الصبر عني بمعزل فكيف وليس لي صبر فلا ملام على من هذه حالته.

فَلَكُ النورِ دونَ أخمصِها

1 - طَلَعَ البدرُ في دُجى الشعَرِ وسقَى الوَرْدُ نَرجِسَ الحَوَرِ
2 - غادَةٌ تاهَتِ الحِسانُ بها وزَهَا نُورُها على القَمَرِ
3 - هيَ أسْنى من المَهاةِ سَناً صُورةٌ لا تُقاسُ بالصّوَرِ
4 - فَلَكُ النّورِ دونَ أخمَصِها تاجُها خارجٌ عن الأُكَرِ

---

1 و2 - شبه التجلي بالبدر كما ورد في الخبر. وشبه الغيب بالدجى. والشعر من الشعور وهو العلم الخفي.

فكأنه يقول: ظهر الجلي في الخفي كظهور الخفي في الجلي. كما تقول: وجود الحق في الخلق ووجود الخلق في الحق. وسقى الورد يعني حمرة الخد. نرجس الحور يريد العين بما ترسله من الدموع فيقع على حمرة الخدود فيكون كالروضة سقتها السماء. والعرب تشبه العيون بالنرجس الأبيض الذي في وسطه صفرة.

فكأنه يقول: وسقى المشهد الذاتي أو الاسم الجامع روضة الأسماء الإلهية فإنها ناظرة إليه وهو مهيمن عليها.

وقوله: غادة، يعني الصفة الجامعة التي وصفها بالبدر. وقوله: تاهت الحسان بها، يعني توابعها من الأسماء. وزها نورها يعني وتكبر نورها على نور القمر. وإنما أوقع التشبيه بالقمر للتقريب على الأفهام لا من جانب التحقيق.

3 - **يقول**: وهي أعظم نوراً من الشمس ولو وقع التشبيه بها. وقوله: صورة لا تقاس بالصور، يريد معنى قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11] على زيادة الكاف. وجاء بلفظ الصورة لورود الأخبار في ذلك، فكيف فيما أشرنا إليه من هذه المعرفة الذاتية التي تحصل للعبد من حيث المشاهدة والكشف.

4 - **قوله**: فلك النور دون أخمصها، البيت بكماله، من أراد معناه يعرف معنى قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: 5] والحديث المروي: أين كان الله قبل أن يخلق

5 - إن سَرَت في الضّميرِ يَجرَحُها ذلكَ الوَهمُ، كيفَ بالبَصَرِ
6 - لُعبَةٌ ذِكرُنَا يُذَوِّبُها لَطُفَت عن مَسارِحِ النَّظَرِ
7 - طَلَبَ النّعْتُ أن يُبَيِّنَها فتعالَت، فعادَ ذا حَصَرِ
8 - وإذا رامَ أن يُكَيِّفَها لم يَزَل ناكصاً على الأثَرِ
9 - إنْ أراحَ المَطِيَّ طالِبُها لم تُرِح مَطِيّة الفِكَر
10 - رَوْحَنَتْ كُلَّ مَن أشَبّ بها نَقَلَتهُ عَن مَراتبِ البَشَرِ

العرش؟ قال: كان في عماء ما فوقه هواء، وما تحته هواء. فأقرب شيء من المعاني لهذا البيت معنى هذه الآية والخبر.

5 - المعنى في نسبة الجرح إليها عند سريانها في الضمير هو ما يتخيله الوهم في الجناب الأعز من التصور فذلك جرح فيه، والوهم ألطف من الإدراك الحسي فهي منزهة عن إدراك الألطف فكيف بالبصر الذي هو أكثف. ولهذا يقال في العقائد في جناب الحق: كل ما خطر في سرك أو تلجلج في صدرك أو حصره وهمك فالله بخلاف ذلك.

6 - **قوله**: لعبة، من حيث فرح القلوب بها عند نزولها إليها من حيث ما هي القلوب عليه لا من حيث ما هي، وقوله: ذكرنا يذوبها أي إذا وقع الذكر عليها لم يجدها لكون ذلك الذكر لا يناسب لطفها ومعناها. وقوله: لطفت؛ أي دقت عن مجاري الفكر فلا تدرك بالأفكار.

7 و8 و9 - **يقول**: لا تدرك بالنعوت والأسماء الواردة عليها فعاد النعت ذا حصر لأنه لم يجد محلاً يقبله، فإذا جاء الخيال بتكييفه ليحمله عليها لم يقبله فارتد على عقبه راجعاً، وإذا كلت الهمم التي هي المطايا من العارفين في طلبها لوقوفهم على عجزهم في ذلك ولأنها لا تنال بالسعايات لم ترح العقلاء الذين يزعمون أن الله يعرف بالدليل مطية فكرهم في استخلاص العلم بها جهلا منهم بما يعطيه المقام الأعلى.

10 - **يقول**: إن كل من تعلق بها تعلق عشق ومحبة وتخلق نقلته عن مراتب البشر إلى مقام التحول في الصور الذي هو الأرواح المجردة وللمقام الإلهي في التبدل والتحول في الصور في الدار الآخرة، وهذا خارج عن طبيعة البشر.

11 - غـيـرةً أن يُـشَـابَ رايِـقُـهـا بـالّـذي فـي الـحِـيـاضِ مـن كَـدَرِ

11 - **قوله**: غيرة أن يشاب رايقها، خلوص روحانيتها أن يخلط بالذي في عالم الأجسام من كدر الطبيعة وظلمتها.

أينَ هُمْ؟

1 - أحبابُنا أين هُمُ؟ ‏ ‏ ‏ بالله قولوا: أين هُمْ
2 - كما رأيتُ طَيفَهم ‏ ‏ ‏ فهل تُريني عَينَهُمْ
3 - فكم، وكم أطلُبُهم ‏ ‏ ‏ وكم سألتُ بَينَهُمْ
4 - حتى أمِنتُ بَينَهم ‏ ‏ ‏ وما أمِنتُ بينَهُمْ
5 - لعلّ سَعدي حائلٌ ‏ ‏ ‏ بينَ النّوَى وبينَهم
6 - لِتنعمَ العينُ بهمْ ‏ ‏ ‏ فلا أقول: أينَ هم؟!

---

1 - **قوله**: أحبابنا، يريد الأرواح العلوية بالأينية اللائقة بهم، فإن الأينية لغير المتحيزات كالأينية التي سأل النبي ﷺ، بها للسوداء الخرساء. وأخذ يقسم على المسؤولين عليهم بالله الاسم الجامع أين هم؟ والجواب: هم في قلوب محبيهم.

2 - **قوله**: كما رأيت طيفهم، يريد تجليهم في عالم التمثل والصور. فهل تريني عينهم. يريد: حقيقتهم في عالم اللطف والمعاني من غير تجسد.

3 - **يقول**: وكم طلبتهم لأظفر بهم وأنتظم في سلكهم بالتخلص مما أنا فيه. وكم سألت بينهم أي وصلهم. والبين هنا الوصل. قال تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: 94] بالرفع، أي وصلكم.

4 - **قوله**: حتى أمنت بينهم، أي بعدهم، والبين البعد، وهو من الأضداد. وما أمنت بينهم: من البينية وعدم الأمر من أن يحترق بأنوارهم إذا كان بينهم لضعفه وقوتهم.

5 و6 - **يقول**: لعل عناية إلٰهية سبقت لي في القدم تحول بين البعد وبينهم وأدركهم فأظفر بالمطلوب وتنعم عيني بمشاهدتهم فلا أقول بعد ذلك أين هم لحضوري عندهم وحضورهم عندي.

حَزبُ الهوى

1 - بين الحشا والعيونِ النُّجلِ حزبُ هَوًى
والقلبُ من أجلِ ذاكَ الحزبِ في حَرَبِ

2 - لميَاءُ لَعساءُ مَعسولٌ مُقبَّلُها   شهادةُ النحلِ ما يَلقَى منَ الضَّرَبِ

3 - رَيّا المُخلخَلِ، ديجورٌ على قَمَرٍ   في خدّها شَفَقٌ، غُصْنٌ على كُثُبِ

4 - حسناءُ حاليَةٌ ليسَتْ بغانِيَةٍ   تَفْتَرّ عن بَرَدٍ ظَلْمٍ وعن شَنَبِ

5 - تَصُدّ جِدًّا، وتلهو بالهَوى لَعِباً   والموْتُ ما بينَ ذاكَ الجدّ واللّعبِ

---

1 - **يقول**: بين عالم الأخلاط والتداخل والمناظر العلى حرب هوى لافتقار هذا العالم إليها وتعشقها بها إذ لا حياة لها إلا بنظرها إليها ولا حجاب لقلوب العارفين عن إدراك المناظر العلى إلا هذا العالم الطبيعي والمناظر العلى متأهبة لإدراكات قلوب العارفين وعالم الطبيعة يحجبها عن إدراك تلك المناظر فلا تزال المحاربة بينهما لكن القلب بين ذلك في حرب وفي شدة لفقده وعدم وجوده مع وجود وجده.

2 - **قوله**: لمياء، يشير إلى حكمة علوية من تلك المناظر وصفها بسمرة الشفة، إشارة إلى ما عنده من الأمور الغيبية طيبة المذاق. وذكر شهادة النحل لأنها من الجنس الذي له ذوق في الوحي الذي هو مطلوب القلوب. والضرب العسل الأبيض، فجعل العسل دليلاً على ما يدعيه النحل من الوحي إليها المشاكل لما تلقيه.

3 - **قوله**: ريا المخلخل، يقول: ممتلئة الساق أي عظيمتها من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: 42] أي عن أمر فظيع فوصفها بالعظمة. وقوله: ديجور على قمر؛ أي غيب وراء مشاهدة. في خدها شفق: يشير إلى مقام الحياء. غصن على كثب: يريد القيومية الظاهرة في كتب التجليات.

4 و5 - **يقول**: لها مقام الجمال من اسمه الجميل حالية مزينة بالأسماء الإلهية ليست بغانية يقول لم يقتضها أحد لأن الغانية هي المرأة التي لها زوج ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾

6 - ما عَسعَسَ اللّيلُ إلاّ جاءَ يَعقُبُهُ تَنَفُّس الصُّبْحِ مَعلومٌ منَ الحِقَبِ
7 - ولا تَمُرّ على رَوْضٍ رِياحُ صَباً تحوي على كاعباتٍ خُرّدٍ عُرُبِ
8 - إلاّ أمالَتْ ونمّتْ في تنسّمِها بما حَمَلنَ من الأزهارِ والقُضُبِ
9 - سألتُ رِيحَ الصَّبا عنهُمْ لتُخبرَني قالت: وما لك في الأخبارِ منْ أرَبِ
10 - في الأبرَقَيْنِ، وفي بَرْكِ العِمادِ، وفي
بَرْكِ الغَميمِ تركتُ الحيّ عن كَثَبِ

[الرحمن: 56]. وقوله: تفتر عن برد، يقول: تمتن بما يبرد الأكباد من لهب الشوق. والظلم بريق الأسنان. يريد صافية المشهد. والشنب: طيب ذلك المشهد وحسنه. وقوله: تصد جداً، لما كانت عزيزة المنال عن الإدراك كنى عن ذلك بالصد، ولما كان الأمر حقيقة في نفسه أعني عزتها جعله جداً لا هزلاً. وقوله: وتلهو بالهوى، أي تجعله في قلوب المحبين وتعلقه بها مع كونها تعرف أنه ما يحصل لهم منها شيء فأنزلته منزلة اللهو. وقوله: والموت ما بين ذاك الجد واللعب، يقول: إن المحب يموت ويقاسي الآلام بين هاتين الحالتين.

6 - 7 - 8 - **يقول**: ما يبطن أمر إلا ويظهر مقابله، ولا يظهر أمر إلا ويبطن مقابله أبد الآباد ولا سيما وقد يسمى الحق سبحانه أزلا بأنه الظاهر الباطن ولا يحمل على محمل النسب والإضافات. هذا هو حد النظر العقلي من طريق التنزيه وإنما ينبغي أن يحمل على أنه أمر ذاتي هو عين المطلوب الموصوف بالوجه الذي يليق وتعرفه من نفسه. وقوله: ولا تمر، أرواح التجليات على روض القلوب الحاوي على الحكم اللطيفة والمعارف الحسية الحاصلة من مقام الحياء والجمال، إلا أمالت يريد عطف القيومية على القائمين بالأكوان. ونمت أي وصلت إلى أسماع القلوب ما عندها من لطائف الحكم في تنسمها في هبوبها. بما حملن من الأزهار، يريد نشر المعارف. والقضب: مراتب القيومية، من قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآيِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: 33].

9 - 10 - **يقول**: سألت الأرواح التي تعطي الشروق لتخبرني عن منازل الأحبة: كما قال: ونمت في تنسمها. فقالت: وما لك بذلك من حاجة؟ والجواب محذوف. ثم قالت هذه الريح: تركتهم في الأبرقين مشهدين للذات من حيث الشاهد ومن حيث المشهود، فمن حيث الشاهد يحصل في القلب أثر معرفة ومن حيث المشهود لا يجد عند

11 – لا تستقِلُّ بهمْ أرْضٌ، فقلتُ لها: أينَ المفرّ، وخيلُ الشَوْقِ في الطَّلَبِ؟!

12 – هيهاتَ ليس لهم مَعنًى سَوى خَلَدي فحيثُ كنتُ يكونُ البدرُ، فارْتقِبِ

13 – أليسَ مَطلعُها وَهمي، ومَغربُها قَلبي، فقدْ زَال شُؤْمُ البانِ والغَرَبِ

14 – ما للغُرَابِ نَعِيقٌ في مَنَازِلنا وما لهُ في نِظامِ الشَّملِ من نَدَبِ

الرجوع أمراً ينضبط له بل يزول بزوال التجلي. قوله: في برك العماد والعميم، يريد المقاصد لأنها أماكن بأرض الحجاز، والحج القصد على التكرار. وقوله: عن كثب، عن قرب، كما قال عليه السلام في المطر لما نزل ظهر له بنفسه، ﷺ، حتى أصابه منه وقال: «إنه حديث عهد بربه»؛ فهذا معنى عن كثب.

11 – **قوله**: لا تستقل بهم أرض، أي لا يثبتون على حال. يشير إلى التمكن في مقام التلوين وهو أرفع المقامات عند المحققين. وقوله: أين المفر، يقول: إن كان عدم الثبوت لهم على حال حتى أعجزوا رجع عن الطلب فلا أفعل فإن خيل الشوق مني في طلبهم ما دمت وداموا والدوام لنا دائم فالشوق والطلب دائم سواء ثبتوا بمقام أو لم يثبتوا.

12 – **قوله**: هيهات ليس لهم معنى، البيت بكماله، يريد قوله عليه السلام، عن ربه[1]: **«ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن»**، فهو محل المعرفة بالله ومجلى التجلي الإلهي.

13 – **قوله**: أليس مطلعها وهمي، يريد حين تجليها في الصور في عالم التمثل. ومغربها قلبي، يريد السعة التي ذكرناها وهي المعرفة بالله. وقوله: فقد زال شؤم البان والغرب، فإن الغرب تتشاءم بالبان لأنه من البين، والغرب من الغربة، كما قال:

تعد الطائرات لبين سلمى على غصنين: من غرب وبانِ
فكان البان أن بانت سليمى وفي الغرب اغتراب غير دانِ

14 – **قوله**: ما للغراب نعيق في منازلنا، البيت بكماله.

يقول: وإن الناس يتشاءمون بنعيق الغراب، وإنه من مبشرات البين وشتات الشمل، وهنا لا يتصور فإن الذي أهواه في قلبي فليس لأسباب البين فيه ندب، أي ليس له أثر في تفريق الشمل فإن الحقائق تعطي أن لا حجاب بعد التجلي ولا محو بعد الكتابة في القلب.

---

(1) تقدم الحديث والكلام عليه.

مَن يحملُ شَجْوَ الهوى؟

1 - حمامةَ البانِ بذاتِ الغَضَا ضاقَ لما حمّلتِنِيهِ الفَضَا
2 - مَن ذا الذي يحملُ شجْوَ الهوَى، مَن ذا الذي يَجرَعُ مُرّ القَضا
3 - أقولُ من وَجدٍ ومِنْ لَوْعَةٍ: يا لَيتَ مَن أمْرَضَني مَرّضا
4 - مَرّ ببابِ الدّارِ مُستهزِئاً مُستخفِياً، مُعتجِراً، مُعرِضا

1 - يخاطب الحكمة المنزهة بذات الغضا الكائنة بأحوال المجاهدات والرياضات كنى عنها بالغضا. وقوله: ضاق لما حملتنيه الفضا، أراد ما أريد بقوله في الأمانة المعروضة: ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الأحزاب: 72]. والذي أراده القائل أيضاً بقوله:(1)

ضَاحِكٌ عن جُمْانْ. سافر عن بدرِ ضاقَ عنه الزمانْ. وحواه صَدْري

2 - **يقول**: من ذا الذي يحمل آلام الهوى ومن ذا الذي يقدر أن يجرع مر ما يقضي به الله من الأمور التي لا تلائم لطبيعة النفس لا بمعرفة كاملة تحجبه عن تلك المرارة كما يحجب الدواء المر بما يلقى فيه من الحلاوة ليسوغ لشاربه لتحصل المنفعة.

3 - **قوله**: أقول من وجد؛ أي حزن، ومن لوعة حرقة الهوى: يا ليت من كان سبباً لمرضي يلتزم تمريضي وسياستي فيكون شفائي وشغلي به عن مرضي بمشاهدته.

4 - **قوله**: مر بباب الدار، يريد الخواطر الإلهية التي تخطر له من جانب الحق من غير حلول ولا إقامة بل هي بروق تلوح. وقوله: مستهزئاً، من قوله: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: 15] فلا بد من صفات تكون في القلب تعطي حالة استهزاء، وهي مشهورة عند القوم. وقوله: مستخفياً، يقول: في الغيب معتجراً، إشارة إلى الحجب. معرضاً، يقول: ينبه على الصفة التي حجبته عني.

(1) القائل هو الأعمى الطُليطليّ. انظر آخر مقدمة ابن خلدون، الموشحات والأزجال للأندلس

5 - ما ضَرّني تَعجِيرُهُ، إنّما   أضرّ بي من كونِهِ أعرَضَا

---

5 - **قوله**: ما ضرني تعجيره، **يقول**: لا أنكر الحجب فإنه لا بد منها وإنما الضرر الذي وجدته في الإعراض فعلمت أن عندي صفة تقتضي ذلك الإعراض ولا أدري ما هي فأزيلها إلا أن ينبهني الله عليها ويوفقني إلى معرفتها فأسعى في زوالها فيكون القبول.

هَلْ عندكم من فَرَجِ

1 - يا حاديَ العيسِ بسَلعِ عَرّجِ وقِفْ على البانَةِ بالمدَرَّجِ
2 - ونادِهِمْ مُستعطِفاً مُستلطِفاً: يا سادَتي! هل عندكم من فَرَجِ
3 - بِرَامَةٍ، بينَ النّقَا وحاجِرٍ جاريةٌ مَقصُورَةٌ في هَوْدَجِ
4 - يا حُسنَها من طَفْلَةٍ غُرّتُها تُضيءُ للطّارِقِ مثلَ السُّرُجِ
5 - لُؤلُؤةٌ مَكنونَةٌ في صَدَفٍ من شَعَرٍ مثلِ سوادِ السَّبَجِ

---

1 - يخاطب داعي الحق للهمم الطالبة معرفته وشهوده. وقوله: بسلع، يريد بمقام الإحرام اليثربي. عرج: أي أقبل. وقوله: وقف على البانة، يقول: وأظهر لي في مقام القيومية والعطف. بالمدرج، يقول: على التدريج لا تلقي إلي الأمر دفعة واحدة فأهلك لكن حالاً بعد حال ومقاماً بعد مقام مخافة الدهش والحيرة.

2 - قوله: ونادهم، يريد الأسماء الإلهية بلسان الاستعطاف والاستلطاف، هل عندكم من فرج أي من شفاء لما نالني في هواها.

3 - قوله: برامة، منزل من منازل التجريد والتفريد. وقوله: بين النقا وحاجر، يقول: بين الكثيب الأبيض وبين الحجاب الأحمى المحجوب على القلوب. جارية، يقول: معرفة ذاتية أحدية. مقصورة محبوسة. في هودج، يقول: يشار بها أي أنها في قلوب العارفين والقلوب لها كالهوادج ومراكب القلوب كالإبل تحت الهوادج. ثم أخذ يصف هذه المعرفة الذاتية.

4 و5 - يقول: يا حسنها من طَفْلة، أي ما أنعمها. وغرتها تجليها في نورها. تضيء للطارق الآتي ليلاً، يريد أهل المعارف والإسراءات، مثل السرج ليهتدي بها في ذلك المعراج. وقوله: لؤلؤة، أي شريفة مكنونة.

يقول: محجوبة في صدف من شعر في حجاب الغيب المشعور به ولهذا يصح طلبها لأنه ما لا يشعر به لا يصح أن يطلب ولا تتعلق به همة.

6 - لؤلؤةٌ غوّاصُها الفِكْرُ، فما تَنفَكّ في أغوارِ تلكَ اللُّجَجِ
7 - يحسَبُها ناظِرُها ظَبْيَ نَقاً من جِيدِها، وحسنِ ذاكَ الغَنَجِ
8 - كأنّها شمسُ ضُحَى في حَمَلٍ قاطعَةٌ أقصَى مَعالي الدَّرَجِ
9 - إن حَسَرَتْ بُرْقُعَها، أوْ سفرَتْ أزْرَتْ بأنْوارِ الصّباحِ الأبْلجِ
10 - نادَيتُها بينَ الحِمى ورامَةٍ مَنْ لِفتّى حلّ بسَلعٍ يَرتجي
11 - مَن لِفتّى مُتَيَّمٍ في مَهمَهٍ مُولَّهٍ مُدَلَّهِ العَقلِ شَجي
12 - مَن لِفتّى دَمعتُهُ مُغرِقَةٌ أسكَرَهُ خَمرٌ بذاكَ الفَلَجِ

---

6 و7 - **يقول**: إن الفكر يغوص في لجة بحرها ليستخرج هذه اللؤلؤة وهي لا تخرج بالفكر فالفكر لا يزال غائصاً أبداً، وهؤلاء هم أهل الأفكار الطالبون تحصيل هذه الأمور من باب النظر والاستدلال، وهيهات لما يطلبون وبعداً لما يرومون. والله ما تحصل إلا بعناية مجردة وسر فارغ عن الأفكار لأنها لا تنال بالسعايات ولكن بالعنايات الإلهية حصولها، فإذا حصلت يحسبها إذا كان تجليها في حضرة التمثل ظبي نقا في التفاتها إليه في الكثيب الأبيض وفي حسن كلامها وخطابها الذي كنى عنه بالغنج.

8 - **يقول**: كأنها شمس ضحى في حمل بيت شرفها، يريد: تجليها في مقام العزة والكبرياء. وقوله: قاطعة أقصى معالي الدرج، يقول: إشارة إلى ما يجده الناظر في نفسه من الزيادة والعظمة والكبرياء والعزة في إدامة النظر.

9 - **قوله**: إن حسرت أي إن رفعت الحجب وظهرت بوجهها طمس كل نور لنورها.

10 و11 - **يقول**: ناديتها في وقت الحجاب بين حجاب العزة الأحمى وبين منازل التفريد من لفتى من الفتوة حلّ بسلع، منزل من منازل الحرمة الإلهية قد تعلق رجاؤه به. من لفتى متيّم، أي حائر في عزتها وكبريائها. **في مَهمه**: في قفر يريد حالة الانقطاع. **موله**: حيران. **مدلّه**: سكران العقل. شج محزون على ما فاته.

12 - **يقول**: من لفتى، يشير إلى مقام الفتوة من قوله تعالى: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: 60] وقوله: دمعته مغرقة، هو ما تعطيه المشاهدة من المعرفة ولذلك نسبها إلى الدمع، وقوله: مغرقة، أي من حصل في هذا البحر العرفاني فغرق يعرفه بأنه بحر لا ساحل له. وقوله: أسكره خمر، مع أنه لذة للشاربين، وهو كل علم يعطي=

13 - مَن لِفتَى زَفرتُهُ مُحرِقَةٌ   تَيَّمَهُ جمالُ ذاكَ البَلَجِ
14 - قد لَعِبَتْ أيدي الهوَى بقَلبِهِ   فما عليه في الذي من حَرَجِ

= الابتهاج والسرور بالعلم بالكمال إذا حصل لهذه اللطيفة الإنسانية. **والفلج**: تفرق الأسنان، وهي مراتب في المعرفة.

13 - **قوله**: من لفتى زفرته محرقة، يقول: اصطلامه محرق. وتيمه تعبده. والبلج تفرق الحاجبين وهو المقام الذي بين الوزيرين الإمامين، فكأنه يشير إلى مقام القطب.

14 - **قوله**: قد لعبت أيدي الهوى بقلبه، يقول: إنه في تصريف الهوى وتحت حكمه فما عليه في الذي يرومه على حسب ما وقع له في هواه وهو الذي ابتنى عليه الخاطر الأول من حرج، يقول: من جناح ولا إثم.

بدوز على غصون

1 - مَن لي بمَخضُوبةِ البَنانِ … مَن لي بمَعسولةِ اللِّسانِ
2 - من كاعِباتٍ ذوَاتِ خِدرٍ … نَواعِمٍ خُرَّدٍ حِسانِ
3 - بُدورُ تَمّ على غُصونٍ … هُنّ من النّقصِ في أمانِ
4 - برَوْضَةٍ من ديارِ جسمي … حَمامَةٌ فوْقَ غُصْنِ بانِ
5 - تموتُ شوْقاً، تذوبُ عِشقاً … لِمَا دَهاها الذي دَهاني
6 - تَنْدُبُ إلْفاً تذُمّ دَهراً … رَماها قَصْداً بما رَماني
7 - فِرَاقُ جارٍ ونأْيُ دارٍ … فيا زماني على زماني

---

1 - يريد بمخضوبة البنان: ما استترت به القدرة القديمة بالقدرة. المحدث على مذاهب أهل النظر، واختلافهم في ذلك، فيقول: من لي بها، أي بتحصيل علم ما أحالوه من تحصيله لأقف على حقيقة الأمر، وسبب طلبه لذلك هل يصح فيها تجلّ أم لا، وأنا أمنع وجماعة من أصحابنا والمعتزلة لا تمنع، وصوفية الأشعرية متوقفة. وقوله: من لي بمعسولة اللسان، يريد طيب الكلام.

2 - **قوله**: من كاعبات، أي تحمل علومها. وصف ذوات صون. يريد الحجب والستر نواعم ما يعطونه من اللطافة وهو مقام الحياء والجمال.

3 و4 - **يقول**: لهن مقام الكمال والتمام الذي لا يعتريه نقص ولا جرم يريد أنهن بروضة منقطعة عن الروضات لانفرادها في صفتها وبها حمامة لطيفة روحانية نبوية ظهرت في القيومية المنزهة عن الاشتراك. وهو مذهب بعض أصحابنا أن القيومية لا يتخلق بها.

5 - 7 - **يقول**: إنها في مقام الشوق والعشق، ووصفها بالذوبان والموت، والمراد: ﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 31]، ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: 54]. وذكرها الإلف يريد الصورة الجامعة. ولما كانت الصور من عالم التمثل كان لها التقييد بالزمان أيضاً في ذلك العالم، فعلق الذم على الزمان وجعل السهام الصوائب له لأنه محلها وبه ظهرت.

8 - مَن لي بمَن يرتضي عذابي؟! ما لي بما يَرتضي يدَانِ

فراق جار عارف الحجب بنفسه عن ربه بعد أن كان بربه لربه. ونأي دار، يريد دار طبيعته إذا رجع إليها فتحسر من هذا الزمان الذي وقع فيه البين على الزمان الذي كان فيه انتظام الشمل.

8 - **قوله**: من لي بمن يرتضي عذابي. يقول: من لي بوصله بعد هجره، فإن فراق الإطلاق أعظم من الفراق الأول لأنه فراق عن خبر. وقوله: ما لي بما يرتضي يدان، يقول: سبق العلم بأمر ما يمنع من وقوع غيره. وهذا باب عظيم واجب غلقه وسده بأنه مهلك إلا للعارف المتمكن.

فَتيلُ اللحاظِ

1 - وغـادِرَةٍ قـد غـادَرَتْ بِـغَـدَائِـرٍ   شـبـيـهِ الأفـاعـي مَـن أرادَ سَـبـيـلا
2 - سليماً، وتَلوي لينَها فتُذيبُهُ   وتَـتـرُكُـهُ فـوْقَ الـفِـرَاشِ عَـلـيـلا
3 - رَمتْ بسهامِ اللحظِ عن قوْس حاجبٍ،   فـمـن أيّ شـقٍّ جِـئـتَ كـنـتَ قـتـيـلا

---

1 - **قوله**: وغادرة، يشير إلى صفة مكربة تركت بفنون علومها الغيبية التي هي من حضرة الهيبة والجلال من أراد الوصول إليها لذيعاً من حبها.

2 - **قوله**: وتلوي لينها، يريد نظرة عطف من الجانب الأيمن فتذوب لتلك النظرة كما قتلته أيضاً من خلف بغدائرها. وقوله: وتتركه فوق الفراش عليلاً، **الفراش**: سريره الطبيعي المعبر عنه بالجسم.

3 - **قوله**: رمت بسهام اللحظ عن قوس حاجب، يقول: وهو أيضاً قتيل بما حصل له من المناظر العلى عند الشهود بالوسائط وغير الوسائط. وقوله: فمن أي شق، يقول: من أي ناحية جئت كنت قتيلاً.

يقول لها: الأثر فيك من أي ناحية جئتها جانباً أو أماماً، أي مقابلة، أو مدابرة بالملاحظة من أمام، واللفت من جانب، والضفائر من خلف، وكلها للمحب أبواب مهلكة فلا راحة.

مُلْكٌ لمعشوقٍ ومُلْكٌ لعاشقِ

1 - بذاتِ الأضَا، والمَأزَمَينِ وبارِقِ وذي سَلَمٍ، والأبرَقَينِ لطارِقِ

2 - بُرُوقُ سيوفٍ من بُرُوقِ مبَاسِمٍ نَوَافِجُ مِسكٍ ما أُبيحتْ لناشِقِ

3 - فإن حورِبوا سلّوا سيوفَ لحاظهمْ وإن سلَموا هَدّوا عُقودَ المضَايقِ

4 - فَنَالوا، ونِلنا لَذّتَينِ تَساوَيَا فمُلْكٌ لمعشوقٍ، وملكٌ لعاشِقِ

---

1 و2 - **يقول**: لمقام النور وانضغاط النفس بين العالمين وحضرة التجلي الذاتي من الجانبين ومقام السلم لأهل المعارج من الروحانيين بروق سيوف من بروق مباسم، يقول: مكر عظيم في لطف خفي محجوب بنعمة معشوقة.

وقوله: نوافج مسك، أي مشاهد طيبة تتعالى عن المشام أن تصل إلى إدراك طيب نشرها.

3 - قوله: فإن حوربوا، أي نوزعوا، من قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: 35]. وقوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: 49]. وقوله عليه السلام: **«أعوذ بك منك»**.

سلوا، يقول: جردوا سيوف لحاظهم، إشارة إلى القهر والعظمة، وإن سولموا لم ينازعوا. هدوا عقود المضايق أي حصلوا في عالم الانفساخ.

4 - **قوله**: فنالوا ونلنا لذتين تساويا من باب ما ورد في الأخبار من اشتياق الجناب الأعز إلى أهله. وقوله: تساويا، يريد مقام الصورة التي خلق عليها. فملك لمعشوق وملك لعاشق أي لكل واحد في صاحبه ضرب من التصرف بحسب ما يليق والأحوال تفسره.

قلبٌ معلَّق

1 - رَضِيتُ بَرضْوَى رَوضةً، ومُناخَا ... فـإنّ بـه مَـرْعَـى وفـيـه نُـفـاخَـا
2 - عسىَ أهلُ وُدّي يسمعونَ بخِصْبهِ ... فـيـتّـخِـذُوهُ مَـرْبَـعـاً ومُـنـاخَـا
3 - فـإنّ لَـنـا قـلـبـاً بـهِـنّ مُـعـلَّـقـاً ... إذا مـا حَـدا الـحـادي بـهِـنّ أصـاخَـا
4 - وإن هُـمْ تَـنـادَوْا لـلـرّحِـيـلِ وفَـوّزُوا ... سـمـعـتَ لـهُ خـلْـفَ الـرّكـابِ صُـرَاخَـا
5 - فإن قـصَـدوا الـزّوْرَاءَ كـان أمـامَـهـم ... وإن يَـمّـمـوا الـجَـرْعـاءَ، ثَـمّ أنـاخَـا

---

1 - **رضوى**: فيه تنبيه من مقام الرضى. **روضة**: أصنافاً من العلوم. **ومُناخا**: مبرك الإبل، ؛ وهي الهمم. فإن به مرعى أي غذاء الأرواح. وفيه نفاخا أي صفاء العيش.

2 - **قوله**: عسى أهل ودي، يريد أشكاله يبلغ الهمم ما هو عليه هذا المحل الأعلى من الخصب فيتخذونه مربعاً لهممهم ومناخاً ومحلاً لحط رحالهم لوجود راحة من تعب السفر المعنوي، فإن الأسرار قد تكل ولا سيما إذا كانت حركاتها في طريق الاستدلال.

3 - **يقول عن أشكاله الذين تقدموه إلى مقصوده**: إن له قلباً معلقاً بهم وقد كان تعلقه بالأسرار. ويريد بالرحلة رحلتها عنه في وقت غفلاته ورجوعه إلى حظوظه. وقوله: إذا ما حدا الحادي بهن أصاخا، يقول: إذا ما دعا داعي الحق بهم إليه أصاخ هذا القائل المحب لذلك الدعاء.

4 و5 - **يقول**: وإن هم تنادوا، أي يصيح بعضهم لبعض الرحيل، من قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: 2]. وفوزوا أي طلبوا الفوز في مقامات التجريد. سمعت له يعني قلبه. خلف الركاب يعني الهمم والقلوب الراحلة عن أبدانها. **صراخاً**: يريد بكاء عالياً. فإن قصدوا الزوراء حضرة القطب، وسميت زوراء لميلها إلى جانب الحق المشروع. كان أمامهم يعني بهمته وقلبه لا بعمله فإنه يعجز عنهم، فليس للعاجز إلا تقدم التمني. وإن يمموا قصدوا الجرعاء موطن المجاهدات وتجريع الغصص فإنه سلوك عن حجاب. ثم أناخا، ثم أناخا، يقول: يقيم لا يبرح لأنه لا يطيق حمل تلك=

6 - فما الطّيرُ إلاّ حيثُ كانوا وخيّموا فـإنّ لـهُ فـي حـبّـهِـنّ فِـرَاخَـا
7 - تحارَبَ خَوْفٌ لي وخَوْفٌ منَ أجلها ومـا واحِـدٌ عـن قِـرنـهِ يَـتَـرَاخَـا
8 - إذا خَطَفَتْ أبصارَنا سُبُحاتُها أصَمّ لها صوْتُ الشهِيقِ صِماخَا

= المشاق. وقد يريد أيضاً بقوله: ثم يعني الجرعاء، أنه يقيم في مواطن المجاهدات الشاقة من أجل نيل مقصوده.

6 - **يقول**: ما تقصد الهمم إلا المواطن التي تناسبها بحكم الأصل، فالعارف أبداً حنينه إلى التحقق كشفاً بالأسماء الإلهية.

7 و8 - **قوله**: تحارب خوف لي وخوف من أجلها، يقول: في قلبي خوفان خوف من أجلي وخوف من أجلها وهما قرنان قويان كل واحد منهما لا يسأل عن صاحبه، فالخوف الذي من أجلي هو على بصري عند التجلي أن تخطف نوره سبحاتها، والخوف الذي هو عندي من أجلها هو على سمعها لئلا يصم من صوت بكائي عليها، وجعل المطلوب هنا قد تجلى له في صورة برزخية في عالم المثال فنسب إليه ما ينسب إلى الصور لما نزلت إليها احتاج هو أن ينزل في العبارة، وهكذا أوردت النبوات في كلامها، ولا سيما وقد ورد: «**ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن**» أي ما استمع.

عِناقُ الوداعِ

1 - إذا ما التقَينا للوَداعِ حَسِبتَنا لدَى الضَمّ، والتعنيقِ حَرْفاً مشدَّدا
2 - فنحنُ، وإن كنّا مثنًى شخوصُنا فما تَنظُرُ الأبصَارُ إلاّ موَحَّدا
3 - وما ذاك إلاً من نُحولي، ونُورِه فلَوْلا أنيني ما رَأتْ ليَ مَشهدا!

---

1 و2 - **الحرف المشدد**: حرفان مبطون أحدهما في الآخر.
يقول: النفس عند المفارقة للجسم تحن بهذه الحالة، فنحن وإن كنا اثنين في المعنى فما تقع العين إلا على شخص واحد، وسبب تعشقها به كونها ما نالت الذي نالت من المعارف إلا بحبسها فيه واستعمالها له فيما أمرت به من الخدمة الموضوعة الإلهية، والإشارة هنا أيضاً إلى قوله:
أنا من أهوى ومن أهوى أنا
وللوداع المذكور مع هذه الإشارة هو أن يتميز ما ينبغي له عما لا ينبغي لمحبوبه فيأخذ هذا صفاته وهذا صفاته.
3 - **قوله**: وما ذاك إلا من نحولي، يريد أنه من عالم اللطف ونوره يعني لقوته ذهب ببصره عن إدراكه ولطافتي. وقوله: فلولا أنيني(1)، يريد ما أراد المتنبي بقوله:
لولا مخاطبتي إياك لم ترني
وقال الآخر:
فاطلبوا الجسمَ حيث كان الأنين.

---

(1) ومثله قول سلطان العاشقين ابن الفارض:
خافياً عن عائدٍ لاح كما لاح في بُرديه بعد النشر طيْ
كهلالِ الشكِ لولا أنّه أَنّ، عيني عينه لم تتأيْ!
وهذه الصورة كناية عن شدة النحول.

كلُّ مَلَك صَاحبَه

1 - وقالوا: الشموس بدارِ الفلَكْ وهل منزِلُ الشمس إلاّ الفَلَكْ؟
2 - إذا قامَ عَرْشٌ على ساقِهِ فلم يبقَ إلاّ استِوَاءُ المَلِكْ
3 - إذا خلصَ القلبُ من جهلِهِ فما هُوَ إلاّ نُزُولُ المَلَك
4 - تمَلّكني وتمَلّكتُهُ فكُلٌّ لصَاحِبِهِ قدْ مَلَك
5 - فكَوْنِيَ مُلكاً لهُ بَيِّنٌ ومُلكي لهُ قَولُهُ هيتَ لَكْ
6 - فيا حاديَ العِيسِ عَرِّجْ بِنا ولا تَغدُ بالفُلْكِ دارَ الفَلَكْ
7 - أعلّكَ دارٌ على شاطىءٍ بقُربِ المُستَى، وما علّلَكْ

---

1 - **يقول**: وقالوا الأنوار الإلهية بدار الفلك يعني القلب لاستدارته. أشار به إلى قوله: وسعني قلب عبدي المؤمن.

2 - وقوله: إذا قام عرش، البيت بكماله، فالإشارة به إلى قوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: 29]. وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: 5]. وقوله تعالى: ﴿فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: 7]. كل هذا إشارة إلى المعنى. ولا بد للملك مهيإ من ملك يقوم عليه وبه.

3 - **يقول**: إذا قام القلب من جهله في مقام الإخلاص فما هو إلا تنزل الروحانيات العلى له. عبر عنه بالتخلص من الجهل لقيام العلم به.

4 و5 - قوله: تملكني، من حيث إنني مقيد به. وتملكته من حيث إنه ليس للأسماء ظهور إلا في الممكن. فمن هذا الوجه أيضاً يكون نسبة صورته تحت حيطة الخبر النبوي. وقد فسر ذلك في البيت الآخر في قوله: فكوني ملكاً له بين، وهو التقييد الذي ذكرناه. وملكي له قوله هيت لك، لظهور الأسماء فإني لو لم آخذها لم يظهر لها أثر إذ لا أثر في القدم ولا في القديم.

6 و7 - **يقول**: فيا داعي الهمم عرج بنا نحو دار الفلك الذي هو القلب لأنه بيت التجلي=

8 - فَلَيْتَ الذي بي وحُمّلتُهُ ... من الحُبّ رَبّ الهوَى حَمّلَكْ
9 - فليسَ زَرُودٌ ولا حاجِرٌ ... ولا سَلَمٌ مَنزِلٌ أنحَلَكْ
10 - ظَلَلْتُ لحَرّ الهوَى طالِباً ... سَحابَ الوِصالِ وما ظَلّلَكْ
11 - أذَلّكَ عِزٌّ لسُلطانِهِ ... فليتَ كما ذَلّلَكْ ذَلّ لَكْ
12 - ويا ليتَهُ إذْ أبَى عِزّةً ... تَدَلُّلُهُ ليتَهُ دلَّ لَكْ

= والسعة الإلهية. ودار الفلك دار ببغداد موقوفة على النساء المتعبدات على شاطىء دجلة بقرب المسنى دار الإمام ﷺ.

فقال: أعلك أي أورثك ذلك القرب علة الهوى. وقوله: على شاطىء، يريد نهر الحياة والصدق فإنه في مقابلة الضد، فهو على التفاؤل، كما يقال في اللديغ: سليم، وفي الزفت: بياض، وكذلك دجلة وإن كانت موضوعة للكذب فإن المراد بها هنا ضد ذلك وهو الصدق، وذلك لإزالة عين الناظر رداً لعينه لئلا تصيبها. وقوله: بقرب المسنى، مقام القطب إذ كان دار الخليفة. وما عللك من التعلل، كأنه يقول: أمرضك وما مرضك.

8 - **يقول لعاذله**: فليت الذي بي من ألم الهوى وحملته من أثقال المحبة يحملك الله أمثالها من غير هذا الباب.

9 - **قوله**: فليس زرود، البيت بكماله، يقول: وما أنحلك ممكن أصلاً ولا مقام. يشير إلى أن حبه لمشهد ذاتي أنزه أقدس يتعالى عن التقييد بالأماكن.

10 - **يقول**: أقمت تطلب لما أصابك من حر الهوى سحابة وصل تظلل عليك لتنعم وتستريح فما فعل معك ذلك لأنك محجوب فلو كشفت قربه منك وأنه سمعك وبصرك لم يكن شيء مما ذكرت.

11 و12 - **قوله**: أذلك عز لسلطانه، يقول: تجلى لك في مقام العزة فذللت للمقام لا له فقد كنت تعرفه وما ظهر، أي حال ذله مثل ما ظهر عليك عند تجليك في مقام العزة، فقد يكون ذلك طعناً في معرفتك. وقوله: فليت كما ذللك، يقول: كما أكسبك الذل ليته نزل إليك نزول لطف وأنس ويا ليته إذ أبى عزة هذا التنزل ليته يقيمك في مقام الإدلال لتنبسط نفسك ويرتاح سرك ولا يبقيك في هذا المقام الذي أنت فيه.

الشوقُ غَيباً ومَحضَراً

1 – أغيبُ، فيُفني الشوْقُ نفسي، فألتقي فلا أشتفي، فالشَّوقُ غَيباً ومَحضَرَا

2 – ويُحدِثُ لي لُقياهُ ما لم أظنّهُ فكانَ الشِّفا داءً من الوَجدِ آخَرا

3 – لأنّي أرَى شخصاً يَزِيدُ جَمالُهُ إذا ما التقينا نَفرَةً وتكبُّرا

4 – فلا بُدّ من وَجدٍ يكونُ مُقارِناً لما زادَ من حُسنٍ نِظاماً مُحرَّرا

---

1 – 3 – **يقول**: في الغيبة يهلكه الشوق وفي اللقاء يهلكه الاشتياق فلا يزال معذباً فهو في الآم الغيبة يرجو الشفاء باللقاء فإذا التقى يزيد وجده، وذلك أن التجليات لا تتكرر وأنه ينتقل من عال إلى أعلى فيكون الثاني أعلى من الأول عند الرائي فلا بد أن يكون له فيه أثر يحدث عنده مزيد تعلق ومحبة به فيه ضاعف حبه فيتضاعف شوقه فيزيد ألمه. وذكر لفظة الشخص للخبر الوارد.

تاجٌ كالعذراء

1 - القصر ذو الشُّرفاء من بَغدادِ ... لا القصر ذو الشرفات من شدّادِ
2 - والتّاجُ من فوْقِ الرّياضِ كأنّهُ ... عَذْرَاءُ قد جُلِيتْ بأعطَرِ نَادِ
3 - والرّيحُ تلعبُ بالغُصُون، فتنثني ... فكأنّهُ منها على مِيعادِ
4 - وكَأنّ دِجلةَ سِلكُها في جِيدِها ... والبَعلَ سَيّدَنا الإمامُ الهادي
5 - النّاصرُ المنصُورُ خيرُ خليفَةٍ ... لا يَمتطي في الحَرْبِ مَتنَ جَوادِ

---

1 - **يقول**: الحضرة المعلمة من حضرة القطب هو المطلوب لأصحاب الهمم في المقامات أن ينالوها لأنها حضرة التصرف والاستخلاف والتحكم ظاهراً وباطناً لا القصر ذو الشرفات من شداد. يقول: لا هذه المملكة الدنيوية التي لا يدري مالكها ما يراد به ولا يفرق بين عدوه وحبيبه ويخاف من دخول الخلل عليه ويحتاج إلى الآراء ومشورة العقلاء في تدبيره لئلا يختل عليه ملكه.

2 - **يقول**: **والتاج**: يريد مقام الملك. من فوق الرياض ما يحمله من المعارف. فكأن هذا الملك عذراء مجلوة في روضة طيبة الروائح فتكون معشوقة للنفوس. ويقول: الملك والعلم لا شيء أحسن منه.

3 - **يقول**: والهمم تتعلق بالقيومية الإلٰهية فيعطفها عليه جوداً ومنة فكأنهما متواعدان على ذلك لما رأوا أن تعلقها لا يخيب وأنها مهما تعلقت انعطفت عليها.

4 - **يقول**: وكأن مقام الحياة في جيد هذا المقام سلك فلا ينظر إلى شيء إلا حيي به ذلك الشيء إما حياة علمية أو حسية أو عملية. ولما وصف المملكة بما توصف به النساء احتاج إلى بعل فذكر الإمام الذي هو الغوث وقطب العالم الذي عليه مداره وبيده مصالحه، وسماه الهادي للتخلف الذي عنده.

5 - **يقول**: إنه ناصر من حيث الهمة ومنصور من حيث العناية الإلٰهية. وقوله: لا يمتطي في الحرب متن جواد، يقول: نزوله عن هذا المركب الطبيعي ومفارقته له بوقوفه على حقيقته من حيث نسبته لربه ومن ذلك الوجه الذي يكون له به الشرف عنده.

6 - صلّى عَليهِ الله ما صَدَحَتْ بهِ وَرْقَا مُطوَّقَةٌ على مَيّادِ
7 - وكذاكَ ما بَرِقَتْ بُرُوقُ مَباسِمٍ سحّت لها من مُقلتَيّ عَوادِ
8 - من خُرّدٍ كالشمس أقلعَ غَيثُها فبدَتْ بأنوَرَ مستنيرٍ بادي

6 - يدعو لهذا الإمام وإن كان أعلى منه كما أُمرنا بالصلاة على محمد والدعاء له بالوسيلة مع كونه أرفع منا عند ربه بل لا مناسبة في الرفعة. وقوله: ما صدحت به، أي ما ذكرته نفس. **مطوّقة**: محصورة في عالم الطبيعة، على مياد إشارة إلى هذا الجسم الذي هو منا لها كالغصن للطائر المغرد عليه.

7 - **قوله**: وكذاك ما برقت، يقول: وكذلك ما لاحت له أنوار المشاهدة الفهوانية من الجناب العزيز فبكت لها عيني فرحاً أي جرت الدموع لذلك من الفرح والسرور، فقد تجري الدموع للسرور من غير بكاء ولا يكون البكاء إلا مع الحزن.

8 - **قوله**: من خرد، البيت بكماله، يعني من أحول من مقام الحياء كالشمس إذا ظهرت بعد ارتفاع الغيث فيصفو الجو من الغبار فيكون النور أخلص وأصفى.

يقول: فنورها مثل هذا النور وإن كان الممثّل به دونه في المرتبة:

فالله قد ضربَ الأقلَّ لنورِه مثلاً من المشكاة والنبراس[1]

(1) القائل هو أبو تمّام حبيب بن أوس الطائي، والبيت وقصته مشهورة في كتب الأدب العربي، يجعلونه شاهداً على سرعة البديهة عند أبي تمّام.

اللقاء السري

1 - ألا يا نسيمَ الرّيح بلّغ مَهَا نَجدِ ... بأنّي على ما تعلَمون من العَهْدِ
2 - وقُلْ لِفتاةِ الحيّ موْعِدُنا الحِمى ... غُدَيّةَ يوْمَ السّبْتِ عندَ رُبى نجدِ
3 - على الرّبوَةِ الحمرَاء من جانبِ الضَّوَى ... وعَن أيمنِ الأفلاجِ والعَلَمِ الفرْدِ
4 - فإنْ كانَ حَقًّا ما تَقولُ، وَعندَها ... إليّ من الشّوْقِ المُبرِّحِ ما عِندي
5 - إلَيْها، فَفي حَرِّ الظَّهيرَةِ نَلتقي ... بخَيْمَتِها سِرًّا على أصْدَقِ الوَعْدِ

---

1 - يخاطب الرقيقة الروحانية التي يتخذها العارفون سفيراً بينهم وبين ما يريدونه. وقوله: بلّغ مها نجد، الأرواح العلوية، بأني على ما فارقتهم عليه من العهد في وقت انفصالي عنهم وحبسي في هذا الهيكل الطبيعي.

2 - **قوله**: قل لفتاة الحي، يريد الروح المناسب له من هذه الأرواح خاصة. وقوله: موعدنا الحمى، يريد حجاب العزة في مشهد من المشاهد أو عند انفصاله من تدبير هذا الجسم بالموت. وأما قوله: غدية، أول زمان التجلي، وجعله يوم السبت لأنه يوم الراحة والفراغ من الخلق. كما ورد في الخبر: عند ربى نجد، يريد المقام العالي.

3 - **قوله**: على الربوة الحمراء، مقام الجمال لأن الذين قسموا الألوان يقولون لون الحمرة أجمل. وقوله: من جانب الضوى، العالي من المراتب، وعن أيمن الأفلاج موطن السرور. والعلم الفرد حضرة الفردانية التي هي دون الأحدية.

4 و5 - **يقول**: هذه الحقيقة الروحانية المناسبة له من ذلك العالم الناظرة إليه إن كان حقاً ما تقول في طلبك إيانا وعندك من الشوق إلى ذلك مثل الذي عندنا إليك فعند الاستواء الذي هو عدم الميل وهو وقت حصول الشمس في الوقف فتكون نسبتها إلى كل شيء على السواء كالنقطة من المحيط. وخيمتها المقام الذي أقوم فيه فينزلها علي إن ينزلني عليها على حسب الحال الحاكم في الوقت. وقوله: «سراً» يريد مقام الكتم مع ضرب من الالتحام عند الاجتماع. وقوله: على أصدق الوعد، يريد وعد المناسبة والحال فإنه أصدق من وعد المقال.

6 - فتُلقي ونُلقي ما نلاقي مَن الهوَى ومِنْ شِدّةِ البَلوَى ومن ألم الوَجدِ
7 - أأضغَاثُ أحْلامٍ، أبُشرَى مَنامَةٍ أنُطقُ زَمانٍ كان في نُطقهِ سَعدي
8 - لعَلّ الّذي ساقَ الأماني يَسوقُها عياناً، فيُهدي رَوضُها لي جَنى الوَرْدِ

---

6 - **يقول**: فتلقي إلي ونلقي إليها كل واحد مما عنده مما يحتاج إليه. وذكر شدة الاختبار، فإن الحق جعل هذا تمحيص عباده فقال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك: 2] وقال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ [البقرة: 155].

7 - **قوله**: أضغاث أحلام، يقول عن هذا الاجتماع: مع حبسي في هذا الهيكل المظلم ما أظن يتصور على حسب ما أريد وما ينبغي إلا بانقطاع العلاقة من جميع الوجوه، وقطع العلاقة عن الجسم والجسد في حق هذا الروح الجزئي محال لأنه أصله وعنه ظهر فقوته فيه بخلاف الملإ الأعلى. أبشرى منامه، يقول: أوحي نبوي أو لسان الزمان وهو القال وذلك لعزة هذا الاجتماع، يقول: كأنه محال وقوعه وإنما هذا والله أعلم لسان الزمان نطق به أو مبشرة أو أضغاث أحلام أي لا حقيقة لها.

8 - **يقول**: لعل هذا يكون كلمة وافقت قدراً. وقوله: فيهدي روضها لي جنى الورد، يشير إلى ما يحصل له من الذوق فعبر عنه بالجنى.

الوِدَادُ الصحيحُ

1 -ألا هلْ إلى الزُّهرِ الحِسانِ سَبيلُ وهَلْ لي على آثارِهِنّ دَلِيلُ
2 -وهلْ لي بخيماتِ اللِّوَى من معرَّسٍ وهل ليَ في ظلّ الأرَاكِ مَقِيلُ
3 -فقالَ لِسانُ الحالِ يُخبِرُ أنّهَا تقولُ: تَمَنّ ما إليهِ سَبِيلُ
4 -وَدادي صحيحٌ فيكِ يا غايةَ المُنى وقلبيَ من ذاكَ الوَدادِ عَلِيلُ
5 -تعاليتَ من بدرٍ على القُطبِ طالِعٍ وليسَ لهُ بعدَ الطّلوعِ أُفولُ
6 -فديتُكَ يا مَن عزّ حُسناً ونخوَةً فليسَ لَهُ بَينَ الحِسانِ عَدِيلُ
7 -فَرَوْضُكَ مَطلولٌ، وَوَرْدُكَ يانعٌ وحُسنُكَ مَعشوقٌ عليهِ قبولُ

---

1 و2 -**يقول**: ألا هل إلى هذه المعارف الحاصلة من التجليات الذوقية من اسمه الجميل طريق إلى نيلها وهل لي دليل على الطريق الموصل إليها وهل لي بمقامات العطف الإلهي من إقامة وتعريس وهل لي في نعيم المشاهدة في حضرة التقديس والتطهير نصيب.

3 - **يقول**: فقال لسان الحال يريد أن الحال يشهد بأن ذلك لا يكون وأن هذا المقام لا يحصل إلا لأهل الجد والاجتهاد والتوجه الصادق لا يحصل بالتمني، اسلك تصل.

4 - **يقول**: ما هو تمن بل هو ود صحيح يحملني على ارتكاب الشدائد في رضى المطلوب رجاء أن يحصل منه ما يمتن به علي. وجعله منتهى أمله ووصف قلبه بالعلة حين وصف وداده بالصحة، يريد ما أثر الهوى فيه من الشدة والكرب.

5 - **قوله**: تعاليت من بدر، إشارة إلى حصول صفة الكمال لها، وقوله: ليس له بعد الطلوع أفول، نبه على أن الحق ما تجلى لشيء ثم انحجب عنه بعد ذلك، هكذا تعطى الحقائق.

7 - كنى بالروضة عن مجموع خلقه. وبالطل عن مكارمها واستمدادها بظهور الأخلاق الإلهية عليها. وبالورد اليانع مشهد مخصوص يهلك كل صفة مذمومة. وبالحسن المعشوق عن العلاقة التي بينك وبينه. وقوله: عليه قبول، يريد أنه محبوب لذاته.

8 - وزَهرُكَ بَسّامٌ. وغُصْنُكَ ناعِمٌ تَـمِيـلُ لـهُ الأرْوَاحُ حـيـثُ يَـمِـيـلُ

9 - وظَرْفُكَ فتّانٌ، وطَرْفُكَ صارمٌ بـهِ فـارِسُ الـبَـلْـوَى عـلـيّ يَـصُـولُ

8 و9 - **قوله**: زهرك بسام، يريد قبول المعارف على القلب. وقوله: وغصنك ناعم، يريد حاملاتها منك. وقوله:

تـمـيـل لـه الأرواح حـيـث يـمـيـل

لارتباطها به ارتباط الظل بالشخص يسكن بسكونه ويتحرك بحركته. وقوله: وظرفك فتان؛ يريد مقام الأدب، **وفتّان**: محل الاختبار. **وطرفك صارم**: مشهور قاطع. وقوله: به فارس البلوى علي يصول، يقول: باعث الحق في العبد اختباراً من الحق له.

مُنَى نلتها بِمِنى

1 - لِطَيْبَةِ ظَبْيٍ ظُبى صارمٍ   تَجَرّدَ من طَرْفِها السّاحِرِ
2 - وفي عرَفاتٍ عرَفْتُ الّذي   تُريدُ، فلم أكُ بالصّابِرِ
3 - وليلةَ جمعٍ جمعنا بِها   كما جاءَ في المَثَلِ السّائرِ
4 - يَمِينُ الفَتَاةِ يَمِينُ، فلا   تَكُنْ تَطمئِنُّ إلى غادِرِ
5 - مُنَى بمِنَى نِلتُها ليتَها   تدومُ إلى الزّمنِ الآخرِ
6 - تولّعتُ في لَعْلَعٍ بالّتي   تُرِيكَ سَنَا القَمرِ الزّاهرِ

---

1 - **قوله**: لطيبة ظبي، مرتبة محمدية يقال لها نظر صائب. تجرد، يقول: ظهر من طرفها من نظرها الساحر الحاكم على عالم الامتزاج.

2 - **قوله**: في عرفات، مقام الجمعية في باب المعرفة، عرفت الذي تريده مني فلم أك بالصابر، يقول: استعجلت في قضاء ذلك.

3 - **قوله**: وليلة جمع، يقول: أقمنا في مقام القربة فجمعني علي ولكن لفتة لأنها ليلة، يعني ثم افترقنا، فقال كما جاء في المثل السائر وهو قولهم: فما سلم حتى ودعا، أي كان سلامه وداعاً.

4 - 6 - **يقول**: قسم الصفة التي لا قيام لها بنفسها فهي مفتقرة إلى غيرها لا يعول عليه لكونها محجوبة عن افتقارها فقد لا يساعدها فيما تريد من هي مفتقرة إليه ولا تظهر إلا به فقد يكذب يمينها ولا يصدقه.

يقول: من هذه صفته لا يعتمد على قوله ولا تطمئن إليه.

وقوله: منى، يريد ما كان يتمنى بمنى مقام الجمع فليته يدوم إلى الزمن الآخر وهو مقام الأنفاس.

وقوله: تولعت في لعلع، أي مقام الفرح بالحب بالتي تظهر في صورة القمر ليلة البدر، إشارة إلى صفة كمال في التجلي.

7 - رَمَتْ رامةٌ وصَبَت بالصَّبا وحجَّرَتِ الحَجْرَ بالحاجرِ
8 - وشامَتْ بريقاً على بارِقٍ بأسرَعَ من خَطرةِ الخاطِرِ
9 - وغاضَتْ مياهُ الغضا من غَضًى بأضلُعِهِ من هوًى ساحرِ
10 - وبانَتْ ببانِ النَّقا، فانتقَتْ لآلىءَ مَكنونَةِ الفاخِرِ
11 - وأضلَتْ بذاتِ الأضَا القهقرَى حِذاراً من الأسدِ الخادِرِ
12 - بذي سَلَمٍ أسلَمَتْ مُهجَتي إلى لحظِها الفاتِكِ الفاتِرِ

---

7 - **يقول**: رمت ما كانت ترومه لأنها رأت الأمر على خلاف ما كانت تعتقده. وقوله: وصبت بالصبا؛ أي مالت إلى جانب التجلي. **وحجرت**: منعت، المنع بمقام العزة الأحمى.

يقول: إن المراد حصل فإن المنع إذا منع كان عطاء فإن عدم العدم وجود.

8 - وشامت بريقاً على بارق، **الشيم**: النظر إلى البرق.

يقول: أشهدت مشهداً ذاتياً. وبارق: هنا الكثيب وما في معناه، يريد حيث كان التجلي فهو بارق. وقوله: بأسرع من خطرة الخاطر، يقول: لا يثبت لعزته.

9 - **قوله**: **غاضت**؛ أي نقصت مياه الغضا.

يقول: خبأت نيران الهوى من غضى يعني نار قلبه الذي أضرمه هوى هذه الفتاة. والماء من عادته تجففه الحرارة فلهذا قال غاض.

10 - 12 - **قوله**: وبانت، يقول: ظهرت ببان النقا روضة الكثيب الذي هو مشهد الرؤية. وقوله: فانتقت لآلىء مكنونة الفاخر، **يقول**: أشهدت في أحسن صورة. وقوله: **وأضلت**: رجعت **بذات الأضا**: موضع تجلي الأنوار. **القهقرى**: إلى الخلف.

يريد رجوعها إلى عالم طبيعتها لئلا تحرقها تلك الأنوار فكان الرجوع حجاباً عن ذلك النور المحرق حذراً من سطوته، وسماه أسداً لشدته، وخادراً لأن شدة غيره تتخدر عنده، كما سمى الشجاع بطلا أي يبطل شجاعة غيره.

وقوله: بذي سلم، مقام الاستسلام. **أسلمت**: تركت. **مهجتي**: حقيقة ذاتي. إلى لحظها يريد مشهدها في باب الرؤية. الفاتك يريد القاتل لأهل الخلوات خاصة. **الفاتر**: اللطيف بأهل الخلوات. فإن العارفين يهلكون بنظر الحق ويفنون والعامة لا

13 - حمَتْ بالحِمى ولَوَتْ باللّوَى كَعَطفَةِ جارِجِها الكاسِرِ
14 - وفي عالِجٍ عالجَتْ أمرَها لتُفلِتَ من مِخلَبِ الطّائِرِ
15 - خَوَرْنَقُها خارِقٌ للسماءِ يسمو اعتلاءً عَلى النّاظرِ

يطرأ عليهم شيء من ذلك مع نظرهم إلى الحق وذلك لعدم المعرفة، وهنا سر وهو هلاك نفسك على الحقيقة في مثل هذه المشاهدة منك إلا أن يكون الأمر ذاتياً فحينئذٍ يكون منه ومنك بحيث إنك مستعد للتأثير لا غير.

13 - **يقول**: قامت في مقام العزة تخلقاً، ولوت أي عطفت بالعطفات الإلهية تخلقاً أيضاً.
وقوله: كعطفة جارحها، يريد عزمها الماضي الكاسر كل عزم. كما قلنا:
إذا فلَّ سيفي لم تفل عزائمي فلي عزمات شاحذات صوارمي

14 - وفي عالج من المعالجة لتفلت من مخلب الطائر.
يقول: ما تحب الأخذ وهي في قبضة الأرواح وإنما تحب أن تأخذ وهي في قبضة الحق ذوقاً لا علماً، فإن الأخذ من الحق قد يكون بوساطة الأرواح العلوية وقد يكون بارتفاع الوسائط.

15 - قوله: خَوَرنقها، موضع مملكتها، خارق للسماء له أثر في العلويات يسمو اعتلاء على الناظر، يريد يفوق البصر، والإشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: 103].

أَلِمْ بمنزلهم

1 - ألِـمْ بـمَـنـزِلِ أحـبـابٍ لـهـم ذِمَـمُ سحّتْ عليهِمْ سَحابٌ صَوبُها دِيَمُ
2 - واستنشِقِ الرّيحَ من تلقاءِ أرضِهِمُ شـوْقـاً لـتُـخـبِـرَكَ الأرْوَاحُ أيـنَ هـمُ
3 - أظنُّهـم خَيّمـوا بـالبـانِ من إضَمٍ حيثُ العَرَارُ، وحيثُ الشِّيحُ والكَتَمُ

1 - **يقول**: انزل بمنزل أحباب، يريد الأرواح العلوية. **لهم ذمم**: عهود. وقد يريد أخذ المواثيق الإلٰهية المأخوذة على أرواح الأنبياء، عليهم السلام. سحت عليهم، يقول: سكبت على ذلك المنزل. سحاب يعني من المعارف. **صوبها ديم**: تنزلاتها دائمة.

2 - **قوله**: واستنشق الريح من تلقاء أرضهم، **معناه**: إني لأجد نفس الرحمٰن من قبل اليمن. شوقاً يريد محبة، لتخبرك الأرواح يريد عالم الأنفاس. أين هم من المقامات، فإنه قال فيهم ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: 164].

3 - قوله: أظنهم، أعلم أنهم، والظن هنا بمعنى اليقين[1]، كما قال الشاعر:

قلت لهم ظنوا بالغي مذحج

وقال تعالى: ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ [التوبة: 118]، يريد تيقنوا. وقوله: خيموا بالبان؛ أي نزلوا بمقام الظهور والتنزيه. من إضم موضع بالحجاز، يريد القصور الإلٰهية.

حيث العرار وحيث الشيح والكتم

يقول: حيث الأعراف الطيبة من المناظر الحسان، فإن طيب الروائح من الروضات أحسن من غيرها للجمع بين الرائحة الطيبة والمنظر الحسن والهواء الطيب.

(1) اليقين: التصديق بالغيب بإزالة كل ظن، وقيل: هو المكاشفة. وأهل اليقين على ثلاثة أحوال: الأصاغر وهم المريدون، والأواسط (الخواص)، والأكابر (خصوص الخصوص).
انظر الموسوعة الصوفية، ص1014 - 1015.

ميّاد فوق ميّاد

1 - ألا يــا بَــانَــةَ الــوَادي بِــشــاطــي نَــهْــرِ بَــغْــداد
2 - شــجــانــي فِــيــكِ مــيّــادٌ طَــرُوبٌ فــوْقَ مَــيّــادِ
3 - يُــذكّــرُنــي تَــرنُّــمُــهُ تَــرنُّــمَ رَبّــةِ الــنّــادي
4 - إذا اسـتَــوَتْ مَــثالــثُــهــا فــلا تــذْكُــرْ أخــا الــهــادي
5 - وإنْ جــادَتْ بــنَــغْــمــتِــهــا فــمِــن أنــجِــشَــةِ الــحــادي

---

1 - يقول: للشجرة المباركة من جانب الوادي الظاهر، وبغداد منزل الإمام، يريد مقام القطب وهي شجرة النور، فإن دهن البان له أثر في النور. وجعلها بالشاطىء لأنها أكشف. وجعله نهراً لاتساع الرحمة.

2 - قوله: شجاني، يقول: أحزني فيك طائر، يريد روحاً علوياً، طروب، يقول: مطرب صوته إلا أن المحزون يبكيه فهو شجو في حقه وغناء في حق المسرور، وقوله: مياد، يشير إلى النشأة الإنسانية في مقام القيومية(1).

3 - يقول: يذكرني بنغمته نغمة سيد المجلس، وهي كل حقيقة لها الحكم في عالمها.

4 و5 - قوله: إذا استوت مثالثها، يعني الجسم، وجعله مثالث للطول والعرض والعمق، وقد يريد بالمثالث مراتب الأسماء الثلاثة التي هي منزل الإمامين والقطب. وقوله: فمن أنجشة الحادي، حاد كان يحدو في زمن رسول الله، ﷺ، كان يهلك الإبل بحسن صوته. وقوله: فلا تذكر أخا الهادي، هو أمير المؤمنين عم المأمون كان من أهل الغناء والتلحين، يقول: هي أحسن منه.

---

(1) مقام القيومية: القيوم من أسماء الله الحسنى، ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: 255]. القيوم: بمعنى شديد الحفظ. والصوفي الذي يصل إلى معرفة أن الله هو القيوم؛ فإنه لا يركن لمخلوق.

6 - بذي الخَصَماتِ من سَلمى يــمِـيـنــاً ثــمّ سِــنْــدادِ
7 - لـقـدْ أضبـحتُ مَشغُـوفاً بـمَــنْ سَـكَـنَـتْ بـأجـيـادِ
8 - غـلِـطْـنـا إنّـمـا سكَـنَـتْ سُـوَيْـدا خِـلْـبِ أكْـبـادِ
9 - لـقـد تـاهَ الـجَـمـالُ بـهـا وفـاحَ الـمِـسـكُ والـحـادي

---

6 - 8 - أقسم بذي الخصمات وهو حال عام كلي جامع. وقوله: من سلمى، يريد مقاماً سليمانياً فأنزله باسم الأنثى لتجانس الغزل والتشبيب. وقوله: يميناً؛ أي قسماً، ثم أقسم بمنازل الملوك. وقوله: «سكنت بأجياد»، إشارة إلى مجاري الأنفاس، أي سكنت مجرى نفسي، وهو موضع بمكة، لكن الإشارة إلى أنه جمع جيد وهو العنق. ثم قال: بل مسكنها الكبد. يقول: هي غذائي وروحي لأن الغذاء مادة الروح فلهذا وقع الغلط وجعلها في محل الإمداد لا في محل الاستمداد أي تمد ولا تستمد.

9 - قوله: لقد تاه؛ أي حار الجمال فيها من حسنها. «**وفاح المسك والحادي**» أي الذوات الطيبة الريح، إنما يكسب الطيب من ريحها لطيب نفحتها.

قال المؤلف رحمه الله ونفعنا به والمسلمين: كان سبب شرحي لهذا «**الترجمان**» الذي أنشأته بمكة شرّفها الله تعالى وعظّمها، سؤال صاحبي المسعودي أبي محمد عبد الله بدر بن عبد الله الحبشي الخادم وسؤال الولد البار إسماعيل بن سودكين نوري[1] بمدينة حلب وقد سمع من بعض الفقهاء قولاً أنكره وهو أنه سمعه يقول: قول الشيخ في أول هذا «**الترجمان**»: إنه قصد بما فيه من الأبيات الغزلية علوماً وأسراراً، وحقائق ليس بصحيح، والله أعلم. وإنما فعله تستراً حتى لا ينسب إليه لسان الغزل مع ما هو عليه من الدين والصلاح. فذكر ذلك لنا الولد شمس الدين إسماعيل فشرعت في شرحه بحلب وحضر سماع بعضه ذلك الفقيه المتكلم، وجملة من الفقهاء بقراءة كمال الدين أبي القاسم ابن نجم الدين القاضي ابن عَديم[2] بمنزلنا، وفقه الله، وأعجلنا السفر فأتممناه بأقصر أي في التاريخ المذكور، ولما سمعه ذلك القائل، قال لشمس الدين إسماعيل: «ما بقيت بعد هذا الأمر أتهم أحداً من أهل هذه الطريقة فيما يتكلمون به من الكلام المعتاد ويزعمون أنهم يشيرون به إلى علوم اصطلحوا عليها بهذه الألفاظ» وحسن ظنه فانتفع.

فهذا كان سبب شرحي لهذا «**الترجمان**».

ولله الحمد، والمنة، وبه الحول والقوة.

---

(1) **إسماعيل بن سودكين** بن عبد الله، شمس الدين النوري: صوفي حنفي تونسي. من أصحاب محيي الدين ابن عربي. له كلام وشعر. ومن آثاره: «**شرح التجليات الإلهية**» لابن عربي. كانت وفاته سنة (646 هـ = 1248م). انظر الأعلام: 1/ 314.

(2) **ابن عَديم**: سبقت ترجمته في صدر هذا الكتاب.

ملحق

اصطلاحاتُ الصّوفيَّة
الوارِدة في «الفتوحات المكيَّة»

للإمام

مُحيي الدين أبي عبد الله محمد بن عليّ ابن عربي

اصطلاحاتُ الصّوفيّة
الوارِدة في «الفتوحات المكيَّة»[1]
للإمام محيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي ابن عربي

الحمُد لله وسلامه على عبادِه الذين اصطفى، وعليك أيها الوليُّ الحميمُ والصفيُّ الكريم رحمةُ الله وبركاته

أما بعدُ: فإنك أشرتَ إلينا بشرحِ الألفاظ التي تداولها الصوفية المحققون من أهل الله بينهم لما رأيت كثيراً من علماء الرسوم وقد سألونا في مطالعة مصنفاتنا، ومصنفات أهل طريقنا، مع عدم معرفتهم بما تواطأنا عليه من الألفاظ التي بها يفهم بعضنا عن بعض كما جرتْ عادة أهل كل فنٍ من العلوم فأجبتك إلى ذلك، ولم أستوعب الألفاظ كلها، ولكن اقتصرتُ منها على الأهمّ فالأهمّ، وأضربتُ عن ذِكْرِ ما هو مفهوم من ذلك عند كل من ينظر فيه بأول نظرة لما فيها من الاستعارة والتشبيه وقد أوردنا ذلك لفظة، لفظة، والله المؤيد والنافع بمنّه لا ربّ غيره، فمن ذلك:

الهاجسُ: يعبّرون به عن الخاطر الأول وهو الخاطر الرباني وهو لا يخطىء أبداً، وقد يسميه سهل: السبب الأول ونقر الخاطر فإذا تحقق في

---

(1) اصطلاحات الصوفيّة الواردة في **«الفتوحات المكية»**: رسالة صغيرة الحجم، غزيرة الفوائد جمع فيها ابن عربي المصطلحات الصوفية التي وردت في كتابه **«الفتوحات المكية»**. ويبدو أنه كتبها بعد أن أشار إليه أحد أصدقائه وأصفيائه أن يشرح الألفاظ الواردة على ألسنة الصوفية المحققين، من أهل الله.
ويشير ابن عربي أنه لكل أهل فنّ من العلوم ألفاظ اصطلحوا عليها.
ونحن إنما ألحقناها بـ «ترجمان الأشواق» لأننا وجدنا معظم هذه الاصطلاحات قد تكرر في ثنايا شرح ترجمان الأشواق. والله نسأل أن ينفع بها.

النفس سمّوه إرادة فإذا تردد الثالثة سمُّوه همة، وفي الرابعة سموه عزماً وعند التوجه إلى القلب إن كان خاطر فعل سموه قصداً، ومع الشروع في الفعل سموه نية.

المريد: هو المتجرد عن إرادته. وقال أبو حامد[1]: هو الذي فتح له باب الأسماء ودخل في جملة المتوصلين إلى الله بالاسم.

المراد: عبارة عن المجذوب عن إرادته مع تهيىء الأمور له فَجاوز الرسوم كلها والمقامات من غير مكابدة.

السالك: هو الذي مشى على المقامات بحاله لا بعلمه فكان العلم له عيناً.

المسافر: هو الذي سافر بفكره في المعقولات والاعتبارات فعبر من عدوة الدنيا إلى عدوة القصوى.

السفر: عبارة عن القلب إذا أخذ في التوجه إلى الحق تعالى بالذكر.

الطريق: عبارة عن مراسم الحق تعالى المشروعة التي لا رُخصةَ فيها.

الوقت: عبارة عن حالك في زمان الحال لا تعلق له بالماضي ولا بالمستقبل.

الأدب: يريدون به أدب الشريعة ووقتًا أدب الخدمة ووقتًا أدب الحق، وأدب الشريعة الوقوف عند رسومها، وأدب الخدمة الفناء عن رؤيتها مع المبالغة فيها، وأدب الحق أن تعرف ما لك وما له والأديب من أهل البساط.

المقام: عبارة عن استيفاء حقوق المراسم على التمام.

الحال: هو ما يرد على القلب من غير تعمّدٍ ولا اجتلاب ومن شرطه أن يزول ويعقبه المثل وأن يبقى ولا يعقبه المثل، فمن أعقبه المثل قال بدوامه ومن لم يعقبه المثل قال بعدم دوامه، وقد قيل الحال تغير الأوصاف على العبد.

(1) أبو حامد: هو حُجَّة الإسلام أبو حامد الغزّالي.

عين التحكم: هو أن يتحدى الولي بما يريده إظهاراً لمرتبته لمن يراه.

الانزعاج: هو أثر المواعظ الذي في قلب المؤمن وقد يطلق ويراد به التحرّك للوجد والأنس.

الشطح: عبارة عن كلمة عليها رائحة رُعونة ودعوى وهي نادرة أن توجد من المحققين.

العدل والحق المخلوق به: عبارة عن أول موجود خلقه الله وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر: 85].

الأفراد: عبارة عن الرجال الخارجين عن نظر القطب.

القطب: وهو الغوث: عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان وهو على قلب إسرافيل عليه السلام.

الأوتاد: عبارة عن أربعة رجال منازلهم على منازل أربعة أركان من العالم شرق وغرب وشمال وجنوب مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة.

البدلاء: هم سبعة ومن سافر من القوم عن موضعه وترك جسداً على صورته حتى لا يعرف أحد أنه فقد فذلك هو البدل لا غير، وهم على قلب إبراهيم عليه السلام.

النقباء: هم الذين استخرجوا خبايا النفوس وهم ثلاثمائة.

النجباء: هم أربعون وهم المشغولون بحمل أثقال الخلق فلا يتصرفون إلا في حق الغير.

الإمامان: هما شخصان أحدهما عن يمين الغوث ونظره في الملكوت والآخر عن يساره ونظره في الملك وهو أعلى من صاحبه وهو الذي يخلف الغوث.

الأمناء: هم الملامتية.

الملامتية: هم الذين لم يظهر على ظواهرهم مما في بواطنهم أثر البتة وهم أعلى الطائفة، وتلامذتهم يتقلبون في أطوار الرجولية.

المكان: عبارة عن منازل في البساط لا تكون إلا لأهل الكمال الذين تحققوا بالمقامات والأحوال وحازوهما إلا المقام الذي فوق الجلال والجمال فلا صفة لهم ولا نعت.

القبض: حال الخوف في الوقت، وقيل: وارد يرد على القلب يوجب الإشارة إلى عتاب وتأديب، وقيل أخذ وارد الوقت.

البسط: هو عندنا حال من يسع الأشياء ولا يسعه شيء، وقيل: هو حال الرجاء، وقيل: هو وارد يوجب الإشارة إلى رحمة وأُنس.

الهيبة: هي أثر مشاهدة جلال الله في القلب وقد يكون عن الجمال الذي هو جمال الجلال.

الأُنس: أثر مشاهدة جمال الحضرة الإلٰهية في القلب وهو جمال الجلال.

التواجد: استدعاء الوجد، وقيل إظهار حالة الوجد من غير وجد.

الوجد: ما يصادف القلب من الأحوال المفنية له عن شهوده.

الوجود: وجدان الحق في الوجد.

الجلال: نعوت القهر من الحضرة الإلٰهية.

الجمع: إشارة إلى حق بلا خلق.

جمع الجمع: الاستهلاك بالكلية في الله.

الفرق: إشارة إلى خلق بلا حق، وقيل مشاهدة العبودية.

البقاء: رؤية العبد قيام الله على كل شيء.

الفناء: عدم رؤية العبد لفعله بقيام الله على ذلك.

الغيبة: غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لشغل الحس بما ورد عليه.

الحضور: حضور القلب بالحق عند الغيبة عن الخلق.

الصحو: رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة بوارد قويّ.

السكر: غيبة بواردٍ قويّ.

الذوق: أول مبادىء التجليات الإلٰهية.

الشرب: أوسط التجليات التي غاياتها في كل مقام.

المحو: رفع أوصاف العادة، وقيل إزالة العلة.

الإثبات: إقامة أحكام العبادة، وقيل إثبات المواصلات

القرب: القيام بالطاعة، وقد يطلق القرب على حقيقة قاب قوسين.

البعد: الإقامة على المخالفة، وقد يكون البعد منك ويختلف باختلاف الأحوال، فيدل على ما يراد به قرائن الأحوال ولك القرب 7.

الحقيقة: سلب آثار أوصافك عنك بأوصافه بأنه الفاعل بك فيك منك لا أنت - ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾ [هود: 56] -.

النفس: روح يسلطه الله تعالى على نار القلب ليطفىء شرارها

الخاطر: ما يرد على القلب والضمير من الخطاب ربانياً كان أو ملكياً أو نفسياً أو شيطانياً من غير إقامة، وقد يكون كل وارد لا تعمل لك فيه.

علم اليقين: ما أعطاه الدليل.

عين اليقين: ما أعطته المشاهدة.

حق اليقين: ما حصل من العلم بما أريد به ذلك الشهود.

الوارد: ما يرد على القلب من الخواطر المحمودة من غير تعمل، ويطلق بإزاء كل ما يرد على كل اسم على القلب.

الشاهد: ما تعطيه المشاهدة من الأثر في القلب فذلك هو الشاهد، وهو على حقيقة ما يظهر للقلب من صورة المشهود.

النفس: ما كان معلولاً من أوصاف العبد.

الروح: يطلق بإزاء الملقى إلى القلب من علم الغيب على وجه مخصوص.

السر: يطلق فيقال سر العلم بإزاء حقيقة العالم به، وسر الحال بإزاء معرفة مراد الله فيه، وسر الحقيقة ما تقع به الإشارة.

الوله: إفراط الوجد.

الوقفة: حبس بين المقامين.

الفترة: خمود نار البداية المحرقة.

التجريد: إماطة السوى والكون عن القلب والسر.

التفريد: وقوفك بالحق معك.

اللطيفة: كل إشارة دقيقة المعنى تلوح في الفهم لا تسعها العبارة، وقد تطلق بإزاء النفس الناطقة.

العلة: تنبيه الحق لعبده بسبب أو بغير سبب.

الرياضة: رياضة أدب، وهو الخروج عن طبع النفس ورياضة طلب، وهو صحة المراد له، وبالجملة هي عبارة عن تهذيب الأخلاق النفسية.

المجاهدة: حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى على كل حال.

الفصل: فوت ما ترجوه من محبوبك، وهو عندنا تميزك عنه بعد حال الاتحاد.

الذهاب: غيبة القلب عن حس كل محسوس بمشاهدة محبوبه كائنا المحبوب ما كان.

الزمان: السلطان

الزاجر: واعظ الحق في قلب المؤمن، وهو الداعي إلى الله.

السحق: ذهاب تركيبك تحت القفر.

المحق: فناؤك في عينه.

الستر: كل ما يسترك عما يفنيك، وقيل غطاء الكون، وقد يكون الوقوف مع العادة، وقد يكون الوقوف مع نتائج الأعمال.

التجلي: ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب.

التخلي: اختيار الخلوة والإعراض عن كل ما يشغل عن الحق.

المحاضرة: حضور القلب بتوارد البرهان ومجاراة الأسماء الإلهية بما هي عليها من الحقائق.

المكاشفة: تطلق بإزاء الأمانة بالفهم، وتطلق بإزاء تحقيق زيادة الحال، وتطلق بإزاء تحقيق الإشارة.

المشاهدة: تطلق على رؤية الأشياء بدلائل التوحيد، وتطلق بإزاء رؤية الحق في الأشياء، وتطلق بإزاء حقيقة اليقين من غير شك.

المحادثة: خطاب الحق للعارفين من عالم الملك والشهادة كالنداء من الشجرة لموسى عليه السلام.

المسامرة: خطاب الحق للعارفين من عالم الأسرار والغيوب نزل به الروح الأمين على قلبهم.

اللوائح: هي ما يلوح من الأسرار الظاهرة من السمو من حال إلى حال، وعندنا ما يلوح للبصر إذا لم يتقيد بالجارحة من الأنوار الذاتية لا من جهة القلب.

الطوالع: أنوار التوحيد تطلع على قلوب أهل المعرفة فتطمس سائر الأنوار.

اللوامع: ما ثبت من أنوار التجلي وقتين وقريبًا من ذلك.

البواده: ما يفجأ القلب من الغيب على سبيل الوهلة إما موجب فرح أو موجب ترح.

الهجوم: ما يرد على القلب بقوة الوقت بغير تصنع منك.

التلوين: تنقل العبد في أحواله، وهو عند الأكثرين مقام ناقص، وعندنا هو أكمل المقامات، وحال العبد فيه حال قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: 29]

التمكين: عندنا: هو التمكين في التلوين، وقيل حال أهل الوصول.

الرغبة: رغبة النفس في الثواب، ورغبة القلب في الحقيقة، ورغبة السر في الحق.

الرهبة: رهبة الظاهر في تحقق الوعيد، ورهبة الباطن لتقليب العلم، ورهبة لتحقق أمر السبق.

المكر: أداء النعم مع المخالفة وإبقاء الحال مع سوء الأدب وإظهار الآيات والكرامات من غير أمد ولا حد.

الاصطلام: نوع وله يرد على القلب فيسكن تحت سلطانه.

الغربة: تطلق بإزاء مفارقة الوطن في طلب المقصود، وتقال الغربة في الاغتراب عن الحال من النفوذ فيه، والغربة عن الحق غربة عن المعرفة من الدهش.

الهمة: تطلق بإزاء تجريد القلب للمنى، وتطلق بإزاء أول صدق المريد، وتطلق بإزاء جمع الهمم لصفاء الإلهام.

الغيرة: غيرة في الحق لتعدي الحدود، وغيرة تطلق بإزاء كتمان الأسرار والسرائر، وغيرة الحق ضنته بأوليائه وهم الضنائن.

المطالعة: توفيقات الحق للعارفين ابتداء عن سؤال منهم فيما يرجع إلى حوادث الكون.

الفتوح: فتوح العبادة في الظاهر، وفتوح الحلاوة في الباطن، وفتوح المكاشفة.

الوصل: إدراك الغائب.

الاسم: الحاكم على حال العبد في الوقت من الأسماء الإلٰهية.

الرسم: نعت يجري في الأبد بما جرى في الأزل.

الزوائد: زيادة الإيمان بالغيب واليقين.

الخضر: يُعبَّر به عن البسط.

اليأس: يُعبَّر به عن القبض.

الغوث: هو واحد في كل الزمان بعينه إلا أنه إذا كان الوقت يعطى الالتجاء إلى عناية.

الواقعة: ما يرد على القلب من ذلك العالم بأيّ طريق كان من خطاب أو مثال.

العنقاء: هو الهباء الذي فتح الله فيه أجساد العالم.

الورقاء: النفس الكلية وهو اللوح المحفوظ.

العقاب: القلم وهو العقل الأول.

الغراب: الجسم الكلي.

الشجرة: الإنسان الكامل.

السمسمة: معرفة تدق عن العبارة.

الدرة البيضاء: العقل الأول.

الزمردة: النفس الكلية.

السبحة: الهباء المسمّى بالهيولى.

الحرف: اللغة وهو ما يخاطبك الحق به من العبارات.

السكينة: ما تجده من الطمأنينة عند تنزل الغيب.

التداني: معراج المقربين.

التدلي: نزول المقربين ويطلق بإزاء نزول الحق إليهم عند التداني.

الترقي: التنقل في الأحوال والمقامات والمعارف.

التلقي: أخذك ما يرد من الحق عليك.

التولي: رجوعك إليك منه.

الخوف: ما تحذر من المكروه في المستأنف.

الرجاء: الطمع في الأجل.

الصعق: الفناء عند التجلي الرباني.

الخلوة: محادثة السر مع الحق حيث لا ملك ولا أحد سواه.

الجلوة: خروج العبد من الخلوة بالنعوت الإلهية.

المخدع: موضع ستر القطب عن الأفراد الواصلين.

الحجاب: كل ما ستر مطلوبك عن عينك.

النوالة: الخلع التي تخص الأفراد، وقد تكون الخلع المطلقة.

الجرس: إجمال الخطاب بضرب من القهر.

الاتحاد: تصيير ذاتين واحدة ولا يكون إلا في العدد وهو محال.

القلم: علم التفصيل.

الأنانة: قولك: «أنا».

النون: علم الإجمال.

الهوية: الحقيقة في عالم الغيب.

اللوح: محل التدوين والتسطير المؤجل إلى حد معلوم.

الأنانية: الحقيقة بطريق الإضافة.

الرعونة: الوقوف مع الطبع.

الإلهية: كل اسم إلهي مضاف إلى البشر.

التختم: علامة الحق على القلب من العارفين.

الطبع: ما سبق به العلم في حق كل شخص.

الآلية: كل اسم إلهي مضاف إلى ملك أو روحاني.

المنصة: تجلي الأعراس وهي تجليات روحانية.

السوى: هو غير الجسد كل روح ظهر في جسم ناري أو نوري.

النور: كل وارد إلهي يطرد الكون عن القلب.

الظلمة: قد يطلق على العلم بالذات فإنها لا يكشف معها غيرها.

الظل: مرورية الأغيار بغير وجود الواجد خلف الحجاب.

القشر: كل علم يصون فساد عين المحقق بالتجلي له.

اللب: ما صين من العلوم عن القلوب المتعلقة بالكون.

اللب: مادة النور الإلهي.

العموم: ما يقع من الاشتراك.

الخصوص: أحدية كل شيء.

الإشارة: تكون مع القرب، ومع حضور الغيب، وتكون مع البعد.

الغيب: كل ما ستره الحق منك لا منه.

عالم الأمر: ما وجد عن الحق بغير سبب ويطلق بإزاء الملكوت.

عالم الخلق: ما وجد عن السبب ويطلق بإزاء عالم الشهادة.

العارف والمعرفة: من أشهده الرب عليه فظهرت الأحوال عن نفسه، والمعرفة حاله.

العالم والعلم: من أشهده الله ألوهية ذاته ولم يظهر على حال والعلم حاله.

الحق: ما وجب على العبد من جانب الله وما أوجبه الحق على نفسه.

الباطل: هو المعدوم.

الكون: كل أمر وجودي.

الرداء: الظهور بصفات الحق.

الأرين: محل الاعتدال في الأشياء.

الكمال: التنزيه عن الصفات وآثارها.

البرزخ: العالم المشهود بين عالم المعاني والأجسام.

الجبروت عند أبي طالب(1): هو عالم العظمة، وعند الأكثرين العالم الوسط.

الملك: عالم الشهادة.

الملكوت: عالم الغيب.

مالك الملك: هو الحق في حال المجازاة للعبد على ما كان منه بعين الحق ما أمر به.

---

(1) أبو طالب: هو أبو طالب المكّي: محمد بن علي بن عطية الحارثي: واعظ، زاهد، فقيه.
نشأ واشتهر بمكّة ت (386) هـ. له «قوت القلوب» في التصوف قال الخطيب البغداديّ: ذكر فيه أشياء منكرة مستشفة في الصفات. الأعلام: 6/ 274.

المطلع: النظر إلى عالم الكون والناظر حجاب العزة وهو العماء والحيرة.

المثل: هو الإنسان وهي الصورة التي يظهر عليها.

العرش: مستوى الأسماء المقيدة.

الكرسي: موضع الأمر والنهي.

القدم: ما ثبت للعبد على علم الحق.

العيد: ما يعود على القلب من التجليات بإعادة الأعمال.

الحد: الفصل بينك وبينه.

الصفة: ما طلب المعنى كالعالم.

النعت: ما طلب النسبة كالأول.

الرؤية: المشاهدة بالبصر لا بالبصيرة.

كلمة الحضرة: «كن».

اللسن: ما يقع به الإفضاء الإلٰهي لآذان العارفين.

الهو: الغيب الذي لا يصح شهوده.

الفهوانية: خطاب الحق بطريق المكافحة في عالم المثال.

السواء: بطون الحق في الخلق والخلق في الحق.

العبودة: من شاهد نفسه في مقام العبودية لربه.

الانتباه: زجر الحق للعبد على طريق العناية.

اليقظة: الفهم عن الله في زجره.

التصوف: الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهراً وباطناً وهي الأخلاق الإلٰهية، وقد يقال بإزاء إتيان المكارم للأخلاق وتجنب سفسافها لتجلي الصفات الإلٰهية. وعندنا الاتصاف بأخلاق العبودية، وهو الصحيح فإنه أتم.

سرُّ السر: ما انفرد به الحق عن العبد.

مكتبة لسان العرب
أ. علاء الدين شوقي
lisanarabs.blogspot.com

الفهرس

lisanarabs.blogspot.com

lisanarabs.blogspot.com

lisanarabs.blogspot.com

مكتبة لسان العرب
lisanarabs.blogspot.com

التنفيذ الطباعي: دار القماطي للطباعة
٠١\٤٥٠٤٥٤ـ٠١\٤٥٠٤٦٧ – بيروت, لبنان

lisanarabs.blogspot.com

دار المعرفة

للطباعة والنشر
هاتف: 834301 - 834332 - 858830(01)
فاكس: 835614(01) ــ ص.ب: 11/7876 بيروت ــ لبنان
البريد الإلكتروني e. mail: info@marefah.com
http://www.marefah.com

ISBN 9953-446-40-7

TIHAMA تهامة
DIWAN TORJMAN
30905526 SR-15